حضارة اليوم

✳

يحتدم النقاش أحيانا في بلاد الشرق حول السبيل الامثل الذي يجب على هذه البلاد ان تسلكه لبلوغ التقدم . وفي غمرة هذا النقاش ترد الفاظ متعددة مثل الحضارة الغربية وغيرها من الحضارات ، حاملة بذلك مفاهيم مختلفة متضاربة بحيث يقضي عليها الغموض . وبهذا يستديم النقاش وتذوب جدواه .

الواقع ان من الامور التي يتميز بها عصرنا الحاضر انه لايتسع لقيام حضارات متنوعة متباينة ، اذ ان وضع الانسان فيه مختلف عما كان في غابر الازمنة . فلقد كانت تقوم في الماضي حضارة معينة ثم يزول سلطانها او يضمحل بتأثير الاحداث السياسية اوبفعل نشوء حضارة اخرى واحتكاكها بها ، كما كانت الحضارات تتعايش احيانا في مناطق متباعدة من العالم . غير ان حياة الانسان اليوم هي غير حياته بالامس .

لقد تطورت الانسانية تطورا جوهريا في حياتها ، فبعد ان كانت الامم تعيش منعزلة في بوتقات منفردة ، اصبحت اليوم تحيا حياة جماعية مشتركة في جميع عناصرها ، وذلك بفضل ما طرأ على الحياة العامة من كثرة وسائل الاتصال بسائر انواعه ، ومن سرعته الفائقة . فقد ساعد هذا الاتصال على انتشار الافكار والانباء في حينها ، ولم يعد هناك من تأثير للحواجز الجغرافية والمسافات الشاسعة ، بحيث ان الانسانية جمعاء غدت تعيش وكأنها اسرة واحدة تحت سقف واحد . وقد كان من شأن هذا التطور ان جعل لهذه الانسانية كلها اليوم رسالة واحدة، هي حمل مشعل حضارة لا يمكن الا ان تكون واحدة . اما هذه الحضارة فمن العسير ان لا تكون خلاصة نتاج الفكر الانساني في جميع مراحله ، اذ انها لا تستطيع ان تتجاهل الماضي او جزءا منه ، لانه كان الطريق الى الحاضر ، ولان جميع الشعوب تسهم اليوم في المجهود المشترك بحيث يحمل سماتها كافة ، كما انها لا تستطيع ان تقف عند الماضي او جزء منه ، لان سنة التطور لا تسمح بذلك . فحضارة اليوم حضارة انسانية شاملة ، ولئن كان للشعوب الاوروبية نصيب وفير في ابداعها ، واكسابها طابعا خاصا ، فان ذلك لا يجيز اعتبارها حضارة اوروبية المصدر ، لان هذا الابداع لم ينتج الا عن عملية تاليفية تم فيها انصهار جميع الحضارات السالفة وما تلاها من عناصر اساسية أدى اليها التطور المنطقي للفكر الانساني، ومن مظاهر الحذف والتهذيب لتلك الحضارات التي قضى بها هذا التطور .

ان حمل مشعل الحضارة الحديثة هو اليوم رسالة جميع الامم ، وعلى الامم كافة ان تسهم في ايقاد جذوته ، كل منها بما في طاقتها ومقدورها . وليس من مجال اليوم للتمييز بين رسالة امة ورسالة امة اخرى . فهذه الرسالة تعين اعباء، وعلى كل امة يقع نصيب من هذه الاعباء ،وقيمة كل امة تتعين بمقدار ما تأخذ على نفسها القيام به من هذه الاعباء وتنهض به فعلا ، وبقيمة هذه الاعباء واهميتها بالنسبة الى الهدف المشترك .

ونحن حين نتحرى روح هذه الحضارة نجد انها قمة في سلم تطور الانسان كانسان . فمن عناصرها الفكر العلمي ، بما يتضمنه من عاملي الذكاء الناتج عن الثقافة الواسعة ،والجهاد المتجرد في سبيل المعرفة . وقد أدى هذا العنصر الى ازدهار الصناعة وتبدل أحوال المعيشة . ومن عناصرها الروح الاجتماعية التي قضت بازدياد اسباب التعاون ونشوء كثير من العادات المساعدة على نمو الحياة الاجتماعية وتقدمها . ومن عناصرها الاخيرة تكون الراي العام العالمي وظهوره كقوة ذات تاثير في الشؤون السياسية ونحوها . على اننا لدى تأمل هذه العناصر نلمس انها جميعا تصدر عن اساس واحد هو مفهوم الحرية . فالحرية هي روح سائر الجهود علمية كانت أم اجتماعية . ولذا كانت مظاهر التحرر القومي من اهم ما نتج عن هذه الحضارة في المجال السياسي . أما بقية قوى العدوان الاستعماري فلا عبرة بها ، لانها لا تقوم الا عند شرذمة من سياسيين لا يمثلون ــ كما أثبتت الاحداث ــ ارادات شعوبهم .

ان كون الحرية روح الحضارة الحديثة هو ما يؤكد انها في قمة من التطور الانساني، لان الانسان في جوهره ليس الا حرية خالصة، وقد مشت به حضاراته اليوم الى لقاء هذا الجوهر وتقمصه فعلا بعد ان صادف الكثير من العقبات . ولذا جاز لنا القول ان مصير كل امة معلق على أداء رسالتها في خدمة هذه الحضارة .

محمد وهبي

فلسفة التربية

بقلم الدكتور كمال الحاج

الباب الثاني

في وحدة نفس الطفل وتقسيمها الى مراحل

٥
٥ ٥

قلنا بان الطفل هو محور التربية. هو نقطة التقاء مناهجها. هو انسان. وقلنا بانه يجب علينا ان نحترم فيه وجود هذا الانسان. هو انسان على طريقته لا رجيل يحمل في جنبيه ما عند الكبير من ملكات ناضجة. ولا شك في ان روسو كان من المربين الاولين، الذين خدموا الاطفال خدمة عظيمة. لقد انتصر لهم، ودافع عن حقوقهم، وحررهم من كابوس الاغاليط. وربما عادالى كتبه ما القي، في نفوس الافرنسيين، من بذور الثورة... وما استحرت به اذهانهم من حب تكسير الاغلال، يومذاك. ان كتاب «اميل» حادثة كبرى في تاريخ التربية، بل في تاريخ الفكر البشري عامة. لقد خفف من ضغط الولاية الابوية، وشحل من ثقل الاطاعة العمياء. كان ثورة على صلابة المعاملة الباردة، وتشديدا على تحرر الطفل من قيود التكلف، في سبيل اعلاء شانه، ورفع قدره. على التربية ان توصل معنى الخير الى نفس الطفل، لا ان تقسو بلا مبرر. اذن يجب ان نبدأ بالطفل. ان ندرك طبعه، اولا، لنتمكن من تسديد خطواته، بعد ذلك، نحو البلاغ. لنشرع بالطفل... منذ البداية. ونتساءل كيف تكون حالته النفسية فور ولادته.

تضاربت الاراء، كثيرا، حول تلك البداية. منهم من قال بان الطفل يحمل بالفطرة بين جنبيه (اذ يرى النور) كل الحقائق التي يستضيء بها المرء، في هذا الوجود هؤلاء هم الفطريون. ومنهم ايضا من قال بان الطفل يأتي الحياة الدنيا صحيفة بيضاء، فتخط عليها التجارب كل الحقائق التي يستضيء بها المرء، في هذا الوجود. هؤلاء هم التجريبيون. الاولون يؤمنون بفاعلية الوراثة. الاخرون يؤمنون بفاعلية البيئة.

لو سلمنا بان الطفل يأتي الحياة، وفي جنبيه كل الحقائق، لبطلت التربية. اذ كيف نستطيع ان نربي من كانت الحقائق، في عنقه، منذ اول البداية؟ التربية انماء. ولهذا تقتضي ان يكون الطفل ناقصا بالفعل، ليصير قابلا للاستزادة عن طريق التربية. ولو سلمنا بان الطفل يأتي الحياة صحيفة بيضاء، فقط، لبطلت التربية ايضا. اذ كيف نستطيع ان نربي من الغي، من عنقه، كل ميل الى الحقائق؟ لو كان الانسان كله خيرا محضا بعينه (اي بفطرته) لما وجبت التربية، ولا امكن التهذيب. اذ لا يعود من داعية الى اصلاحه، وتخييره. ولو كان الانسان كله شرا محضا بعينه (اي بفطرته) لما وجبت التربية، ولا امكن التهذيب. اذ لا يعود من نفع في محاولة تخييره، وتطهيره.

ان بطلان هذين القولين ظاهر من اساسه، والا لما اقدم المتشرعون على سن القوانين، وتقرير الاحكام والحث على الترغيب هنا والترهيب هناك.. ولما كان مرتبطا بالله ان يوجد نارا للاشرار، وجنة للابرار. ان تخصيص النعيم للصالحين، والجحيم للطالحين، يضع اهلية اصيلة، في الانسان، لاحدى القيمتين. اذن التربية واقع. وهي تكملة. لهذا تقتضي ان يكون الطفل كاملا بالقوة، ليصير قابلا للاستزادة عن طريق التربية. معنى كل ذلك ان التربية واقع اساسي، في حياة الانسان، لايمكن لاحد منا ان ينكرها. ولذا تفرض علينا ان نسلم بالنظريتين معا. بالوراثة (اي بمبدأ القوة). تلك هي الفطرية. وبالبيئة (اي بمبدأ الفعل) تلك هي التجريبية. بناء عليه نقول:

١ – للوراثة اثر بعيد في تكوين شخصية الانسان. ولهذا ينبغي لكل مرب ان يبني على اساس الوراثة، عمله التربوي. ذلك لان ثمة شبها نوعيا فيما بين الكائنات الحية. الكلب يلد كلبا. والفرس يلد فرسا. والثور يلد ثورا. وهكذا الانسان. فهو يلد انسانا. هذا من حيث النوع، الذي لا يمكن ان يتغير عينه، والذي يفرض توارث الخصائص العامة. وقد نذهب الى ابعد من ذلك في الدقائق فنقول بان الزنجي يلد زنجيا. والمتوحش يلد متوحشا. والذكي يلد ذكيا. والغبي يلد غبيا. لقد اصبح ثابتا ان في اجيال البشر انواعا من القابليات، هي استعدادات وراثية، يتناولها الابناء من الاباء، والاباء من الاجداد. يعني ان العمران ينتقل بالوراثة، من جيل الى جيل. هناك، اذن، مراسيم سابقة لخلق الطفل، تحدد فيه درجة استعداده، من تصورات غريزية وقوى حدسية ومواهب خلقية هناك فيض خفي، هوذاته العمران البشري الذي نتوارثه. وقد تصح الوراثة في غير هذه الصفات الانسانية الاولى... في غير هذه الخصائص البديهية. فتحدث في سلوك المرء، وخلقه. اذ كثيرا ما نرث عن والدينا ما لهما من شعور، ومزاج، وطبع، وكفاءة، كما نرث عنهما ايضا القامة والهيئة. ان بعض الابحاث النفسية تميل الى القول بان النبوغ يجري وراثة في بعض الاسر. مثلا اسرة باخ الموسيقية. وقد اجريت دراسات كثيرة على اقارب العظماء، من قضاة، ومحامين، وادباء، وفنانين، واطباء، وسياسيين. وكان يبين ان للعظماء اباء عظماء، او اجدادا عظماء، او اعماما عظماء... الخ. وهم ينجبون في العادة ابناء عظماء، او احفادا عظماء. وقد يعود النقص العقلي (عند الاولاد) الى نقص في الجرثومة (عند الوالدين). لهذا كتب احد الاباء، الذين ولدوا معتوهين، يقول: هو اليوم الوحيد، الذي كنت فيه سكرانا. وكتب احد الاطباء، بصدد الاولاد المعتوهين، يقول: كنت اجددائما، على وجه التقريب – عندما يتسنى لي ان اكشف الجهة الحميمية في العلاقات الزوجية – كنت اجد ان الولد تصور به عندما كان ابوه سكرانا (1)

من الدراسات الكلاسيكية، في هذا الموضوع، ما كتب عن اسرة الكاليكا. حكاية هذه الاسرة كما يلي: انجب مارتن كاليكا، وهو جندي في جيش الثورة الامريكية، ولدا غير شرعي من فتاة ضعيفة العقل. فنشأ عن هذا الزواج، على مر الاجيال، اسرة تتالف من ٤٨٠ فردا. وتمكن الدكتور غودارد من تتبع ذراري تلك الفتاة في الاجيال المتعاقبة. وقد وجد ان ٦٤ شخصا، فقط، من بينهم هم عاديون.

---

١ Léon Mac — Auliffe : La Personnalité et l'Hérédité

اما الباقون فبينهم ضعاف عقول ، ومعتادو سكر ، وفاسدو اخلاق جنسية ، ومصابو صرع ، ومجرمون ... الخ . ثم تزوج ذلك الجندي عينه بفتاة سليمة العقل من اسرة طيبة . فنشأ عن هذا الزواج ، على مر الاجيال ، اسرة تتألف من ٤٩٦ فردا . وتمكن الدكتور غودارد من تتبع ذراري تلك الفتاة في الاجيال المتعاقبة . وقد وجد ان ذراري تلك الفتاة السليمة العقل عاديون شغلوا مناصب اطباء ، ومحامين ، وتجار ، وحكام ، وعمداء جامعات ، ورؤساء كليات ، ومعلمين واساتذة . ولم يشذ عن هذه القاعدة الا اثنان فقط من افراد تلك الاسرة الثانية (٢) .

نستطيع ، بعد هذا ، ان نقسم الصفات المتناقلة الى فئتين :الصفات الوراثية الاصيلة التي تنتقل حتما من السلف الى الخلف ، والتي تكون النوع البشري الثابت على مر الاجيال . والصفات الاكتسابية التي يجنيها الفرد من محيطه ، والتي تصبح غريزة فيه ، فتنتقل الى نسله . وقد احتدم الجدل ، بين العلماء ، حول تلك النقطتين . فمنهم من دحض ، ومنهم من اثبت .

هل نستنتج ، مما سبق ، ان الطبيعة تسمح بتطبيق الوراثة بشكل تام ؟ هل اصبحت قضية الوراثة في نطاق العلم الجبري ؟ هل نستطيع ان نتصرف بالنسل ، كما نريد نحن ؟ يجب الاعتراف ، هنا ، ان قضية النسل ما زالت على صعيد النظر . ما زالت فكرة . الوراثة واقع ، ولكنها واقع لعوب . ذلك لان الصفات لا تنتقل الا عن طريق جرثومة البويضة . البويضة هي التي تحمل الشيء الموروث من جيل الى جيل . ولهذا كانت الوراثة تقتضي تغييرا جرثوميا ، كي يحصل الانتقال من السابق الى اللاحق . وقد تبين ان الجرثومة في البويضة لا تحمل ، بين جنبيها ، الا النوع البشري . الانسان يلد انسانا . هذا شيء حتمي . اما التعديلات ، التي تطرأ ، والتي هي صفات مكتسبة تثبت بالاستعمال والتدريب ، فهي من بنات الظروف الخارجية . وقد ظلت لا جبرية . ان العلم لم يستطع ، حتى الان ، اثبات انتقال الصفات المكتسبة . ولا يعقل ان يصبح التوارث عملية جبرية ، فيفقد الانسان حريته ، وتفقد الحياة غنى تنوعها . ان الوراثة ليست جبرية في غير الخصائص الانسانية الكبرى ، اي في غير النوع البشري ، والا ادت بالمجموعة الآدمية الى الافلاس المخيف . اذ يجيء ابن الاعور اعورا . وابن الاعرج اعرجا . وابن الشاعر شاعرا . ان الذي ينتقل من جيل الى جيل ، هو المقدرة العقلية . تلك المقدرة موزعة على البشر بصورة عادلة . وهي تعني ان الجيل الجديد يستطيع ان يتناول ثقافة مساوية في النوع للثقافة التي تناولها الجيل الفائت . الاحتكار هو في المقدرة الذكائية ... في ما اسماه ديكارت بالذوق السليم Le Bon Sens الذي وزع بصورة عادلة ، بين جميع الناس .

يقول ديكارت في اول خطبته حول المنهج ، ما فحواه: ان الذوق السليم هو اعدل الاشياء التي وزعت في العالم . كل واحد منا يعتقد انه اوتي منه الكفاية ، حتى ان الذين يصعب جدا ارضاؤهم بسواه ، لا يرغبون عادة في ان يصيبهم منه ، اكثر مما اعطي لهم . وهذا لا يعني انهم معصومون من الخطأ . لكنه الدليل الساطع الى ان ملكة الحكم بضبط ، او ملكة تمييز الحق من الباطل ـ وهي الملكة التي يطلق عليها حقا اسم الذوق السليم ، او العقل ـ هي متساوية بين جميع الناس ... انا لا اعرف مزايا الاها ، تساعد على كمال النفس ، لانني اميل الى الاعتقاد بان العقل ، او الحس (ما دام هو الشيء الوحيد الذي يصيرنا بشرا ، ويميزنا عن الحيوانات) موجود بتمامه في كل واحد منا ، متبعا في ذلك الراي الشائع بين الفلاسفة ، الذين يقولون انه لا زيادة ولانقصان الا في الاعراض . اما النوع فهو واحد (٣)

لا وراثة جبرية ، اذن ، الا في ما يعود الى النوع البشري .اضف الى ذلك ان التمادي ، في مبدأ الوراثة ، يؤدي الى بعض الاخطار . فقد نرجع الفشل في التربية الى عجز وراثي، كما جاء في التوراة «الآباء يأكلون الحصرم والابناء يضرسون» . وهكذا يدخل التشاؤم ، في التربية ، فتخف المسؤولية الملقاة على الانسان . كثيرون هم الذين يتذرعون بهذا القول في سبيل حماية انفسهم من النقد . وهو قول يدفع الى الخيبة ، واليأس ، ويزيل التبعة ... ثم يبطل كل امكانية تربية .

يبقى ان الوراثة قائمة ، في خطها العريض ، على اساس واقعي . لقد اثبتت عدم كون النفس صحيفة بيضاء رمة . في عنق كل مولود بعض الميول البدائية ، التي يجب علينا ان نحترمها ، وان نسير في اتجاهها . ما من نفس بشرية تأتي العالم ، دون ان تحمل شيئا في ثناياها . لقد اصبح «الميل» امرا شاهده منه . وهذا يوقظ الوالدين الى اهمية الوراثة ، كي يراقبوا سلوكهم باكرا . فقد تنتقل الخصال العاطلة . وهذا ممكن وقوعه في كل نسل . اجل ، ان التربية لا تخلق شيئا من لا شيء. لا تخلق وجودا من عدم . هي توجيه . والتوجيه يقضي بان يكون ثمة ميل ، اولا ، ليعمل من ثم على توجيهه . يقول «الفرد بينه» بان دراسة الميول عند الاطفال من اخطر القضايا التي يجب ان ندرسها بكثير من العناية . ذلك لانها لا تؤثر فقط تأثيرا عمليا على اطفالنا ، من وجهة التعليم في المدرسة بل تحدد ايضا مستقبل كل واحد منهم . ان انتخاب التلميذ للمهنة ، التي سيزاولها في المستقبل ، يجب ان يتم بعد فحص ميوله . اذ ذاك يوجه الى المهنة الملائمة له . هذا الانتخاب يجب ان لا يحصل وفقا للمصادفة ، او وفقا لاراء اعتباطية لا تستند الى شيء واقعي . اما اذا جرى فحص الميول ، واعطي التلميذ المهنة التي تنسجم معه قابلياته ، فان عدد المخفقين والمتذمرين يقل في عملهم ويزداد الانتاج الاقتصادي عند الجميع ، بوضع كل شخص في المهنة التي تلائمه . ولعمري انها ابسط الوسائل ، واحسنها ، واكثرها بداهة لحل ـ ولو جزئيا ـ بعض القضايا الاجتماعية المعقدة التي كثيرا ما اشتغل بها المفكرون ، دون ان يجدوا لها حلا ، وهي تهدد الى حد بعيد الهيئة الاجتماعية الحالية (٤)

لم يعد من شك في ان انتخاب المهنة لا يفرض على التلميذ . من واجب الراشدين ان يتلمسوا اتجاه قابلياته

(٢) Goddard : The Kallikak Family.

(٣) ديكارت : خطاب في المنهج — Discours de la Méthode

(٤) الفرد بينه .ص. ٢٣٧ — Les Idées Modernes sur les Enfants

ان يقتاسوا بميوله المغروسة في نفسه ... وان يخففوا كثيرا من ولايتهم عليه بصورة تعسفية . اجل ! التربية لا تخلق شيئا من لا شيء . لا تخلق وجودا من عدم . هي توجيه ، والتوجيه يقضي بان يكون ثمة ميل ، اولا ، ليعمل من ثم على توجيهه . ولكن هذا الميل هو بحاجة الى مدى يعيش فيه . الى مجال ينمو فيه . هذا المدى ... هذا المجال ... هو البيئة .

٢ ــ البيئة، كما للوراثة ، اثر بعيدفي تكوين شخصية الانسان . وابرز مثل يوضح لنا هذا الاثر البيئيهو ظاهرة اللسان . اذا اخذنا طفلا فرنسيا، فورولادته ، واقصيناه عن والديه الافرنسيين اللذينلا يتكلمان الا اللسان الافرنسي ثم سلمناه الى حاضنة روسية مثلا ، فان اللسان الروسي هو الذي يتحكم بحنجرته . لقد اظهرت التجارب ، ههنا ، ان لا دخل البتة للوراثة . ان اللغة ــ الام لا تنتقل جبرا من الوالدين الى البنين ، الا اذا بقي البنون فيمناخ والديهم . اللغة الام ، التي يتكلمها الولد الافرنسي هذا ، بعد ان سلم الى حاضنة روسية ، هي اللسان الروسي . ان تعلم الولد اللسان الانجليزي ، او الفرنسي ، او العربي ، او الروسي ، معرفة اكتسابية عائدة الى البيئة (٥)

هنا يجب ان نميز بين نوعين من البيئة : البيئة الجغرافية (الطبيعة) والبيئة النفسية (البشر) وقد تبسط ابن خلدون كثيرا ، في الباب الاول من مقدمته حول تاثير البيئة الجغرافية . فقسم الارض الى سبعة اقاليم ، كما قسمها الجغرافيون القدماء ، وراح ينعت كل اقليم بدرجة من الحرارة والبرودة ،تختلف عن درجات الاقاليم الاخرى . ولهذا يصف الاقاليم الثلاثة المتوسطة بالمعتدلة ، ويصف الاقاليم الباقية بالمنحرفة . الاولى تساعد على وفرة العمران . الثانية لا تساعد على ذلك . ان اهل الاقاليم المتوسطة ، اي المعتدلة ، يمتازون بالاعتدال في كل شيء . في خلقهم ، وخلقهم . في المعاش ، والمساكن ، والصنائع ، والعلوم ، والرئاسة ، والملك . فقد كانت فيهم النبوءات ، والشرائع ، والعلوم ، والمباني ، والصنائع . اما اهل الاقاليم الاخرى اي المنحرفة ، فهم متأخرون فيجميع احوالهم . بناؤهم من طين وقصب . اقواتهم من ذرة وعشب ملابسهم من اوراق الشجر ، او الجلود . اكثرهم عرايا من اللباس . ولهذا كانوا قليلي العمران .

وذهب الى القول بان اللون تابع لمزاج الهواء ، وبان شدة الحرارة تسود جلود الناس . اما الافراط فيالبرودة فهو يؤدي الى بياض اللون ، وزرقة العيون ، وبرش الجلود، وصهوبة الشعور . فاذا سكن جماعة من السودان في الاقاليم المعتدلة، او الباردة، تبيض الوان اعقابهم بالتدريج . وبعكس ذلك اذا سكن جماعة من اهل الشمال بالجنوب تسود الوان اعقابهم . وقد انتقد ابن خلدون بشدة الاسطورةالقائلة بان السودان هم ولد حام بن نوح،اختصوا بلون السواد ، لدعوة كانت عليه من ابيه ظهراثرها فيلونه، وفيما جعل الله من الرق فيعقبه . يعتبر هذهالاقاويل خرافات قصاصين ، ويتهم اصحابها بجهلهم « العلم بطبائع الكائنات » (٦)

ولم يغفل ابن خلدون تاثير الطبيعة في الاخلاق . قال في المقدمة الرابعة من الباب الاول ، ما يلي: « خلق السودان على العموم الخفة ، والطيش ، وكثرة الطرب . فتجدهم مولعين بالرقص على كل توقيع ، موصوفين بالحمق في كل قطر . والسبب الصحيح في ذلك ان طبيعة الفرحوالسرور هي انتشار الروح الحيواني وتفشيه وطبيعة الحزن بالعكس وهو انقباضهوتكاثفه . لقد تقرر ان الحرارة مفشية للهواء والبخار ، مخلخلة له زائدة في كميته . ولهذا يجد المنتشي من الفرح والسرور ما لا يعبر عنه ، وذلك بما يداخل بخار الروح في القلب من الحرارة الغريزية التي تبعثها سورة الخمر في الروح من مزاجه، فيتفشى الروح ، وتجيءطبيعة الفرح . وكذلك نجد المتنعمين بالحمامات ، اذا تنفسوا في هوائها ، واتصلت حرارة الهواء في ارواحهم ، فتسخنت . لذلك حدث لهم فرح ، وربما انبعث الكثير منهم بالغناء الناشىء عن السرور . ولما كان السودان ساكنين فيالاقليم الحار ، واستولى الحر على امزجتهم وفي اصل تكوينهم كان في ارواحهم من الحرارة على نسبة ابدانهم واقليمهم ، فتكون ارواحهم بالقياس الى ارواح اهل الاقليم الرابع اشد حرا ، فتكون اكثر تفشيا ، فتكون اسرع فرحاوسرورا، واكثر انبساطا » .

هذا ما قاله ابن خلدون ، وهو على حق صراح . ان مناخ الطبيعة ــ من وديان ، وجبال ، وبحار ، وهواء ــ يطبع الجسم والنفس (الخلق والخلق) ببعض الصفات التي يعسر علينا جدا ان نتملص منها . البيئة القروية غير البيئة المدينية . البلاد الحارة غير البلاد الباردة . ولهذهالفوارق الجغرافية دخل كبير في تزويد الانسان طبائع خاصة . تلك الطبائع لا تعود ابدا الى الوراثة ، التي تحدثنا عنها سابقا . وما من احد يستطيع ، بعد اليوم ، انينكر هذهالاستطالات الجغرافية في الانسان . قبل المرء وليد ارضه .

لكن البيئة الجغرافية لا تؤثر وحدها في الانسان من الخارج . لو وقف هذا التاثير منالخارج عند حد البيئة الجغرافية ، فقط ، لقامت شخصية الانسان على بضع ميزات . الا اننانعلم تمامالعلم كونها اعقد مما تسمح لها الطبيعةالخارجية . هذا التعقيد يأتيمنان الانسانيعيش في بيئة نفسية ... يعيش بين بشر . هناك تفاعل بينه وبين من هم مثله تفاعل يخلقما اتفق على تسميته بالوسط الاجتماعي . ومن هنا تشديد العلوم الفينومينولوجية على صفة الانسان الاجتماعية . هذه الصفة طبع فيه . انه كائن اجتماعي بالضرورة . ما معنى هذا ؟ معناه ان وجود الانسان ، في غير بيئة اجتماعية ، يؤول به الى الفناء . كل حالة وجدانية هي متعدية ، اي انها لا تكتفي بنفسها . لا تقبع في قرارتها . لا تقف عند حد ذاتها . ولكنهاتهدف الى موضوع في الخارج . الى موضوع مغاير لها . فعاطفة الحب ، مثلا ، تستلزم حبيبا ومحبوبا . وعاطفة البغض تستلزم باغضا ومبغوضا . وفعل العقل يستلزم عاقلا ومعقولا . وهكذا دواليك، حتى تشمل تلك الهدفيةشخصية الانسان كلها . ان نمو الحالات الوجدانية يحصل ، اذن ، من الداخل الى الخارج . الحالة هي دائما بحاجة الى نفس اخرى ترتكز عليها . لان التفاعل الذي يقوم بين الانسان والبيئة الجغرافية ، لايكفي وحده ليشفي غليل النفس البشرية . هذا حوار ، بين الانسان والطبيعة ، في اتجاه واحد .. في اتجاه الانسان . ان الطبيعة لا تجيب مثلما

---

(٥) راجع كتابنا « فلسفة اللغة » الفصل الثاني

(٦) راجع المقدمات الثالثة ، والرابعة ، والخامسة ، من الباب الاول .

يجيب الانسان . ولهذا كانت النفس بحاجة الى نفس اخرى حيالها ، من النوع ذاته ، أي من النوع البشري . ذلك لتتمكن من ان تحدث حوارا متبادلا فيما بينهما. الانسان بحاجة الى ان يرى نفسه في نفس غيره .. الى ان يسمع نفسه في نفس غيره ... الى ا ن يخاطب نفسه في نفس غيره . الانطواء على الداخل لا يحدث بصورة صحيحة الا بعد الانضواء في الخارج . بهذا الانفلاش البراني يعود الوجدان الى ذاته عودة اوعى .

ونحن اذا تتبعنا الطفل ، منذ صغره ، رأيناه مجموعة قابليات ، هي قوى كامنة في شقوق نفسه ، تنـزع بالضرورة الى ان تصبح افعالا . هذا الانتقال من القوة الى الفعل لا يتم الا عن طريق الاخرين . ولهذا ركزت في الطفل ملكة التقليد ، التي هي اكبر دليل الى ان الانسان كائن اجتماعي . التقليد واجب . به ينمو الطفل . به تعزز ابعاد شخصيته . به يتأثر بالذين هم حوله . فهو يقلد والديه اولا . يقلدهما في كل شيء . يقلد لسانهما، فيصبح له لسان معين ، وتنتقل اللغة من القوة الى الفعل. يقلد حركاتهما . يقلد تصرفاتهما . ومن هنا امكانية توجيهه نحو الغاية التي يرغب فيها الوالدان . لولا ملكة التقليد ما كان التعليم . التقليد طواعية ، وقابلية تكييف . ولا شك في ان الام هي اقرب الاشخاص الى الطفل . منها يأخذ اولى مداميكه. اولى تصرفاته . اولى الجرعات لاكتساب اتجاه معين. ثم يأتي الوالد، والاخوة، والاخوات فمناخ العائلة كلها . ان الولد يعيش بين اهله في جو من التلقيح الدائم .

وهل يمكن ان يحصل مثل هذا التلقيح لو لم يحمل الطفل في ذاته عاطفة الغيرية؟ اي عاطفة الميل الى الغير ؟ لولا الغيرية Le toi ما كانت الانية Le moi هذه تستلزم تلك جبرا ، والا سبح فكرنا في الفراغ . ان الشعور بالذات لا يكفي . انه يتضمن دائما موضوعا ، في الخارج يتمثله ويقابله . وعليه كانت الغيرية والانية دعامتي الشخصية الانسانية . وما لنا الا ان نستعرض ما كتب عن الاطفال ، او ان نراقبهم في حياتهم اليومية الخاصة ، لنرى كيف ان الطفل يحن الى ربط وجوده بوجود شخص اخر ... وكيف انه يعاني الما كبيرا اذا الفيت تلك الرابطة . ثم ينتقل الطفل من البيت الى المدرسة ، فينوجد في جو آخر من التلقيح الدائم . هنا ايضا يقلد . يقلد استاذه . يقلد تصرفاته . يتبنى افكاره . يقلد رفاقه . يتبنى خصالهم الحميدة والذميمة . يقلد مناخ المدرسة . يتبنى اتجاهها التربوي . يتبنى نظرياتها في الحياة . لولا هذه الملكة في التقليد لما حصل علم . لما حدث تعليم . وهو الفارق الاكبر بين الانسان والحيوان . لا عدوى خصال ، واراء ، من حيوان الى حيوان . قيل : «قل لي من تعاشر اقل لك من انت» العشرة ـ وهي من العشيرة ـ تغمر الانسان كيفما اتجه .

ثم يخرج الولد من المدرسة ، ويرتمي في احضان المجتمع ، حيث يندس بين خيوط الشبكة الكبرى. هنا ايضا يعيش في جو من التلقيح الدائم . هنا ايضا يكتسب خصالا جديدة بسبب انتمائه الى هذه الفئة من المحترفين ، ولا الى تلك الفئة . وقد ظهر تأثير الوسط الاجتماعي ، في الانسان ، باوضح معانيه ، في ما اسمي « النقابات » . النقابة هي مجموعة من المواطنين يزاولون الحرفة ذاتها .. حرفة اكسبتهم خصالا ذهنية وغير ذهنية معينة ،وخلقت فيما بينهم الفة وترابطا ، واقامت منهم « طبقة » . ولقد كان اميل دوركايم من أشد العلماء حماسة لنظرية الوسط الاجتماعي . فهو زعيم مدرسة من هذا القبيل ، ترجع كل اسانيد شخصية الانسان الى المناخ البشري الذي يعيش فيه . وما لنا الا ان نفتح كتابه في « التربية والاجتماع » او كتابه « في التربية الاخلاقية » لنرى الى اي حد يشدد على سيطرة الجو البشري ، في توجيه الطفل ، وتهذيبه، وتركيزه نهائيا . وقد بالغ في التمسك باثر المجتمع الى درجة انه اذاب الفرد ، وارجع كل الفضل في تكوين الشخصية الانسانية الى العشيرة ، بمعناها الواسع . ولا شك في ان نظرية « الوسط الاجتماعي » من اهم النظريات التي فعلت فعلها في اقامة التربية الحديثة على اساسات اصلح.

من اهم الاخطاء ، التي وقع فيها بعض الفلاسفة ، اعتبارهم الانسان في معزل عن البيئة الجغرافية والبيئة النفسية . هذا العزل ... هذا التجريد .. هو الذي ساعد كثيرا على ايجاد المعضلات الفكرية ، التي لا حل لها . الانسان، في حد ذاته ، وحدة لا تتجزأ . اين يبدأ الجسد ، واين تنتهي النفس ؟ اسئلة لا يمكن الاجابة عنها اطلاقا . والعلوم تظهر ، يوما فيوما ، ان التفاعل بينهما شديد . واذا نظرنا الى الانسان ، في علاقته بالطبيعة ، رأيناهما ايضا انهما يكونان وحدة لا تتجزأ . اين تبدأ الطبيعة ، واين ينتهي الانسان؟ اسئلة لا يمكن الاجابة عنها اطلاقا . والعلوم تظهر، يوما فيوما ، ان التفاعل بينهما شديد . واذا نظرنا الى الانسان ، في علاقته بالانسان ، رأينا هنا ايضا وايضا ، انهما يكونان وحدة لا تتجزأ . اين ابدأ انا ، واين ينتهي هو ؟ اسئلة لا يمكن الاجابة عنها اطلاقا . اذن من الخطأ جدا ان نفكك الانسان عن اصوله ، لندرسه في معزل عنها .

الانسان وحدة ، تلك الوحدة ليست وحدة نفس فقط . هي وحدة جسم ونفس . وحدة جسم ونفس وطبيعة ، وحدة جسم ونفس وطبيعة ونفس اخرى . هذا هو الانسان في ارقى معانيه . في اسمى اجوائه . فمن العبث كل العبث ان ندركه في نفسه فقط ... او في نفسه وجسمه فقط ... او في نفسه وجسمه وبيئته الجغرافية فقط . الانسان الانسان هو كل هذا مضافا الى البيئة النفسية . هل يعود بامكاننا ، بعد ذلك ، ان نقف عند حد تأثيرات الطبيعة لا غير ؟ هل يعود بامكاننا ان نرجع كل شخصيته الى الهواء، والماء، والتراب... الخ ؟ وتفاعله مع سواه من البشر ؟ أليس لهذا التبادل اكبر اثر في اعطائه تلك الجهة ، لا هذه ؟ وهل يعود بامكاننا ان نرجع كل شخصية الانسان الى الوراثة ؟ الوراثة قوى . والقوى تميل الى ان تصير افعالا . والافعال تحدث جبرا في مكان وزمان. المكان هو البيئة الجغرافية والزمان هو البيئة النفسية

القوى (اي الوراثة) هي افعال مكموشة . والافعال (اي البيئة) هي قوى مفلوشة . فبأي حق ، او باي مبدأ، نفصل القوى عن الافعال ؟ نفصل الوراثة عن البيئة ؟ نفصل البيئة الجغرافية عن البيئة النفسية ؟ باي حق نفكك هذه الاصول المتماسكة ، فيما بينها ، تماسكا قويا ؟ اما كان ذلك التفكك سببا في تعقيد التفكير الفلسفي ، والعلمي ، والتربوي ، في الاجيال الفائتة ؟ لقد ارادوا ، على ضوء ذلك التفكك ، ان يدربوا بالاستناد الى النفس . ولهذا اهملوا ما للجسد من اسانيد واجبة ، وما للبيئة الجغرافية من اسانيد واجبة ، وما للبيئة النفسية من اسانيد واجبة . ولهذا ايضا اهملوا ما للوراثة من اسانيد واجبة ، فضربوا

عرض الحائط بالميول التي يشعر بها الولـد ، وارادوا ان يفرضوا عليه ما يبين لهم صائبا .

ان العراقيل الشائكة ، التي ارتطم بها المربون في الماضي (والفلاسفة ايضا بوجه عام) ناتجة عن انهم لم ينظروا الى الانسان كوحدة ، لهاارتباطات مع الخارج . ولهذا تاهوا عن معناه الصحيح . تاهوا عنالمنهج الصحيح. تاهوا عن الغاية ،وبلوغ تلك الغاية . فالتربية الحديثة لا يمكنها ، امام تلك الحقائق ، الا ان تأخذ بعين الاعتبارالانسان في امتداداته الخارجية والداخلية. وحدته أبعد مما نـراه بالبصر ، وأعمق مما ندركه بالعقل الواعي . ان للانسان استطالات في ماضي سلالته ، وفي بيئته الجغرافية ، وفي بيئته النفسية ، يجب تناولها عن كثب .

٣ ــ محصول هذا القول ان الوراثة ليست كلشيء، والا استحالت التربية ... وان البيئة ليست كل شيء ، والا استحالت التربية ايضا . لاتربية ، اذن، حيث لا توجيه (هذه هي البيئة) . ولا توجيه حيث لا يوجد ميل يوجه (هذه هي الوراثة) هدف التربية ، والحالة ذه ، ان تزاوج بين عامل القوة وعامل الفعل ... بين الوراثة والبيئة .

لو صح ان الوراثة لا تقوى مطلقا على ايجاد الميول العقلية ، والخلقية ، التي نتسلمها قبل الولادة ، لاستطعنا ان نضع اي ميل في اي ولد ... لاستطعنا ان نخلق المجتمع الذي نريد ، اي مجتمعا اصطناعيا لا حياة فيه . وبذلك تنتفي التربية . ولو صح ان البيئة لا تقوى مطلقا على توجيه امكاناتنا العقلية ، والخلقية ، التي نتسلمها قبل الولادة ، لما استطعنا ان نقوم بعمل تربوي . اذ ما النفع من التربية (وهي توجيه) ما دام كل شيء قد فرض منذ البداية ؟ للوراثة كلمة تقولها ، وللبيئة كلمة تقولها .الانماء واجب . ولكن يجب ان يكون ثمة ميل نقوم بانمائه . الميل يأتينا عن طريق الوراثة . والانماء يحدث في البيئة ... التربية ، اذن ، هي ان نتعهد بيئيا ميولا وراثية .

نقول هذا لانه يصعب علينا ان نرسم خطا فاصلا ، واضحا ، بين الوراثة والبيئة . ما هي الوراثة ، وما هي البيئة ؟ اين تبتدىء الاولى ، وتنتهي... واين تبتدي الثانية ، وتنتهي ؟ انها ، وأيم الحق ، اسئلة عاصية . ذلك لان اثر الوراثة لا يمكن ان يظهر الا في البيئة ... ولان أثر البيئة لايفعل الا في شيء موروث . هـذا ونستطيع القول بان مفهوم البيئة يشمل مفهوم الوراثة ، وبان مفهـوم الوراثة يشمل مفهوم البيئة . ان البيئة تعمل منذ اللحظة الاولى التي تعمل فيها الوراثة . اذ لا يمكن ان يعيشالانسان الا في مجتمع يحيط به . الانسان كائن مجتمعي . هـو لم يكن ، يوما من الايام ، في غير حالة مجتمعية . والمجتمع المقصود ، هنا ، ليس فقط المجتمع الناتج عن شبكةالاحوال الجغرافية، بلالمجتمعالناتجايضا وخصوصا عنروابطالناس بعضهم ببعض . هذا المجتمعما كان بعد ان وجد الانسان . ولذا كانت الوحداتالوراثية ، التي يحملها الطفل بـين جنبيه فور ولادته ، تأتيه هي ايضا من مجتمعاتسابقة . اذن نستطيع ان نرجع الوراثة الى صفات بيئية ، يتلقاها الانسان من بيئات ماضية . ويمكننا ،في الوقت ذاتـه ، ان نرجع البيئة الى الوراثة . ذلك لان حياة الانسان في البيئة ، والتأثر بها ، والتقولب حسب عواملها ،والتكيف بها ... كل هذا هو قابلية وراثية . لولا تلك القابليـة الفطرية ، لما استطاع المرء ان يعيش في البيئة عيشـة دينامية . عيشة كم وكيف. ان خضوعه للبيئة قابليـة (اي قوة) تأتيه بالوراثة . من الصعب ... ان لم يكن من المستحيل ... ان نفصل بين هذين الافعولين : الوراثـة والبيئة ، القوة والفعل . الميل والنمو . الواحد منهمـا يستلزم الاخر . وهكذا يقوم سلوك المرء على نوعين مـن الدوافع : دوافع لاواعية . تلك هي الوحدات الوراثيـة ، او الغريزية . ودوافع واعية . تلك هي الوحدات البيئيـة او العقلية . نحن اذن امام وحدة لا تتجزأ .

ان تحليل النفس يثبت هذه الوحدة في اسانيده.. يثبت ان الميل والنمو لا ينفصل احدهما عن الآخر . لقد أرانا ان الطفل والد الانسان . ان جذورتصرفاتنا اليوميـة (نحن الكبار) هي في تربة ذاك الصغير الذي كناه. انخلف الذات الواعية (البيئة) ذاتا لاواعية (الوراثة) . وهـذا يعني اننا عاجزون عن الفصل بينهما . نحن لا نستطيع ان نقول اين تبدأ الذات الواعية ، ثم تنتهي ..؟ واين تبدأ الذات اللاواعية ، ثم تنتهي ؟ لا نستطيعان نقول اين يبدأ الميل ، واين يبدأ النمو ؟ اين تبدأ الوراثة ، واين تبدأ البيئة ؟ ان كل عمل من اعمالنا يرتبط بعمل سابق ، والسابق باسبق، حتى ندرك القاع الاخير، فنأتي على مجمل حياة الانسان كلها . معنى هذا ان حياة الانسان ، من المهد الى اللحد ، وحدة واحدة . وحدة لا تتجزأ . وعمل التربية هـو ان تظهر ما استكن ، في هذه الوحدة ، من انواع الاستعـداد وضروب القوى .

ولكن هذه الوحدة الواحدة ، التي لا تقبلالتجزئة ــ ولذا تبدأ التربية مع الولادة ، بل قبلها ، ولا تنتهي الا بنهاية الانسان ، لانها تكملة عمل وتهذيب اخلاق ــ قلنا ان هـذه الوحدة لا تتنافى مع فكرة تقسيمها الى مراحل متنوعـة .

اجل ، ان النمو ينبثق من الداخل لا من الخارج (ومن هنا عملية استمراره ما دام الانسان حيا) ولكننا نلاحظ ان هذا النمو يتغير تغيرا واضحا في سياق مظاهره . فهناكالناحية الجسمية ، والناحية النفسية ، والناحية الاجتماعية .ولكل ناحية مراحلتعبر فيها، لامحيصلنا من اخذها بعينالاعتبار.

اجل ! ان النمو ذاته يفرض تقسيمه الى مراحـل ، تتنوع بصورة غير واضحة تمام الوضوح . نقول هذا لان عملية تقطيع النمو ، الى عدة مراحل ، ليست سهـلة كما يظن غالبا . انها مهمة جد عسيرة . ذلك لاننا عاجزون عن ان نحدد خط كل مرحلة تحديدا سكونيا ، فنقول من هنا تبدأ هذه المرحلة ، والى هنا تنتهي . لسنا حيـال جلمود صخر ، او سواه مندائرات المادة اللامتحركـة ، لنقسمه كما نشاء الى اجزاء مخلعة ، متميـزة الحروف بعضها عن بعض . نحن ، هنا ، امام نفس تتحرك ديناميا . امام وحدة واحدة من الحياة الانسانية . مثلهـذه الوحدة الانسانية ، وتقسيمنا اياها الى مراحل كمثل وحدةالشجرة وتقسيمها الى ساق ، واغصان ، واثمار ، واوراق ، وجذور او كمثل وحدة النهار وتقسيمه الى ساعات .. او كمثـل وحدة السنة ، وتقطيعها الى فصول ، وشهور ، واسابيع ، وايام . ولكن اذا صعب التمييز بين شهرين متحاذيين (أعني بين آخر شهر سابق واول شهر لاحق) فسهولة التمييز تكون ابرزجدا بين الصيفوالشتاء . قد لا نلحظ

كمـال يوسف الحـاج

[البقية على الصفحة ٧٣]

دنيـا الاساطير

لكل مكان وكل زمان

بقلـم موسى سليمـان

✳

يعتقـد البعض منا ان الاسطورة خرافة من الخرافات وجدت في عصر بعيد ، قديم ، لتمثل حياة الشعوب البدائية . اما وقد انقرضت هذه الشعوب وبادت فيجب أن تنقرض معهم اساطيرهم وحكاياتهم وتموت ...

وهذا اعتقاد وهمي لا يقوم على اي منطق او برهان . فدارس التاريخ ، في جميع مظاهره ومراحله ، يرى ان المدنية الحديثة مدينة باشياء كثيرة للاساطير .

فهذه الحكايات الطريفة الساحرة التي غذت خيال هوميروس في جاهلية اليونان كانت غذاء روحيا لشعراء العالم المحدثين ، امثال بيرون، وشيلي، وشكسبير، وشوسر وكيتس ، وتنيسن ، وامرسن رالف والدو ، وود باري ، وسبنسر ، وارسكين ، ولونجفلو ، واوسكار وايلد ، وبوب وملتون ، ووليم بلايك ، وكورنواي ، وراسين ، والعشرات لا بل المئات غيرهم من كل امة ومن كل عصر .

كما ان رجال الفن الكلاسيكي ، من مصورين ورسامين ونحاتين ، وجدوا في هذه الاساطير معينا لا ينضب لفنهم، فاستوحوها رسوما رائعة ولوحات خالدة مازالت ، حتى اليوم ، العنوان الصادق والبرهان الساطع على تقدم القوم الروحي وازدهار مدنيتهم الحديثة وتأثرها بالاساطير .

وها انا ، في موضوع اليوم ، مكمل ما بدأت به في الحديثين الماضيين(1) ، عامل على وصل الماضي بالحاضر ، مبرهن ، بامثلة ونوادر منتزعة من صميم الحياة الاجتماعية، على ان الاسطورة الخرافية ، التي عاشت منذ الوف السنين قبل اكتشاف العلوم الحديثة، وقبل اهتداء الجنس البشري الى الاديان السماوية ، اقول :ان هذه الاساطير ما زالت تعيش معنا ، في ادبنا وفي فنوننا ، وفي علومنا ، وفي ذلك ما فيه من دلالة على وعي من رجال الفكر الذين عرفوا كيف يفيدون من القديم ، وفيه دلالة اخرى ، هي ان هذه الحكايات الاسطورية الرائعة لم تخلق لزمان معين ، ولم توجد ليحتكرها جماعة واحدة معينة ، بل كانت لكل زمان ، وصلحت لكل مكان ...

هناك مجموع من أبهى مجاميع النجوم يسميه العرب كوكبة الجبار ويسميه الغربيون اوريون. وهو، كما يقول علماء الفلك ، صورة جميلة هي أجمل الصور الجنوبية كلها. وهي على هيئة رجل قائم في ناحية الجنوب عند دائرة البروج ، بيده اليمنى دبوس وبيده اليسرى ترس هو رأس اسد ، وعلى وسطه سيف .ذكر هذه الكوكبة هوميروس في الياذته واوذيسته ، كما ذكرت ايضا في سفر ايوب عند وصف الخالق ، اذ قيل:

« صانع النعش والجبار والثريا ومخادع الجنوب »
(ايوب اصحاح ۹ : ۹) .

لهذه الكوكبة حكاية اسطورية نلخصها في ما يلي :

كان اوريون هذا او الجبار ، اذا شئت ، صديقا حميما لديانا ، الهة الصيد ، وكانت تحبه حبا جما فلا ترى الا معه، ولا يرى الا معها . فاصابت الغيرة قلب ابلو العظيم اخيها. والآلهة مثل بني البشر ، كلهم في الحب واحد يغارون غيرتهم . فصمم ابلو على ان يتخلص من اوريون ، مهما كلفه الامر . فدبر الامور وفق هواه وسارت بحسب مشتهاه. كان مرة في نزهة مع اخته ديانا على شاطىء البحر ، وفجأة لمح في البعيد علامة سوداء طافية على وجه الماء . وكانت تبدو بعيدة لا يكاد الرائي يتبينها لشدة بعدها . فأخذ ابلو يتحدى ديانا قائلا :

ـ ديانا ... يا ربة الصيد وسيدة القوس ... أترين هذا الهدف الصغير الاسود الذي يلوح في البعيد ؟

ـ نعم ... اجابت ديانا .

ـ هل تقوين ، وانت من انت ، على اصابته ؟

وقبل ان ينتهي ابلو من تحديه ، كانت ديانا تستل قوسها وترسل في اتجاه الهدف نبلة قتالة من نبالها الحادة لتصيب بها قلب اوريون.. فيغيب في طيات الامواج.

وماذا تستطيع الالهة الجميلة الحزينة ان تفعل من اجل حبيبها الذي قتلته يداها عن غير عمد ؟

فلتعده الى الحياة !! ولكن كيف ؟ فلترفعه الى السماء وليخلد اوريون الحبيب هناك بين النجوم والكواكب كوكبا جميلا وضاء . وكان لديانا ما ارادت ... وكان لنا هذه الكوكبة التي اشرنا اليها في حكايتنا .

اما النجمة المضيئة التي تبدو وكأنها تلحق الجبار ، فهي عند العرب الشعرى اليمانية او الشعرى العبور ، وعند الاغريق والرومان ، تدعى كلب الجبار . والمجموعة بكاملها التي منها الشعرى ، تدعى الكلب الاكبر . وبالقرب منها مجموعة اصغر منها اسمها الكلب الاصغر . وجميع هذه الاسماء اسطورية لها حكاياتها ، واسباب تسميتها تعود الى الاساطير ..

ولنأخذ الاله نبتون مثالا اخر على ما نقول :

كان لنبتون ، على ما تدعي الحكايات ، كل مياه الارض، ملكا خاصا به ، فلم ينازعه فيها منازع .

وكان له قصر فخم عجيب في اعمق اعماق الاوقيانوسات . هناك كان يعيش عيشة الاله الحاكم مع زوجته الحسناء امفتريت .

وامفتريت هذه ، مع اختها ثاتيس ، ام اخيلوس ،هما من بنات البحر الجميلات ، عذارى المياه ، بنات الاله نريوس، ذوات الاجسام المؤلفة من نصفين ، نصف بشري ونصف ثان بجسم سمكة . وكن رائعات الجمال ، فاتنات ، مغريات . قيل انهن كن يغوين كل من ينظر اليهن ...

ويرى نبتون في اللوحات والرسوم التي ترسم له شيخا جليلا يمثل واقفا حينا وجالسا في عجلته البحرية حينا اخر ، يحمل صولجانا مثلث الحراب ، رمز القدرة والشجاعة . وكثيرا ما يرى معه في الرسم دلفين او أية علامة من علامات البحر ... فهو اله المياه ... ورب البحار

وفي سنة ۱۹۰٤ ، تباشر حكومة الولايات المتحدة بناء قنال البناما لتصل بين مياه الاوقيانوس الاطلسي من جهة والباسيفيكي من جهة اخرى، فتقرب بين عالمين وتسهل وحدة قارتين عظيمتين . وينتهي هذا العمل المضني بعد عشر سنوات (۱۹۰٤ ـ ۱۹۱٤) فترى حكومة الولايات

(1) راجع الاديب عدد يناير وفبراير .

المتحدة عند ذاك ان تفتح القنال بحفلة كبرى يتبارى فيها الشعراء والادباء والخطباء تخليدا لهذا الحدث الرائـــع

ومن اجمل الاثار الفنية التي اوحت بها هذه الذكرى صورة زيتية كبرى رسمها احد الفنانين على حائط القصر الحكومي في مدينة مديسن في ولايات وسكونزن . لم يجد الفنان رمزا لهذا الاتحاد ، الذي اشرنا اليه ، اجمل واقوى من ان يمثل الاوقيانوس الباسيفيكي بألهة اخرى تمد يدها اليسرى ، بانطلاق وانامل منفتحة ، الى نبتون الذي يتلقاها بيده اليمنى في محبة وهناءة .

اما اميركا ، فتبدو في هذه اللوحة ممثلة بفتـــاة تجلس مطمئنة على عرشها ، وهي تبارك هذا الاتحاد .

وما زالت الحفلات ، في وقتنا الحاضر ، تقام عـلى شرف الاله نبتون : ففي روايات البحارة والمسافرين ان المراكب الضارية عرض البخار ، عندما كانت تجتاز خـط الاستواء ، كان يستسلم بحارتها ومن عليها من مسافريـن الى انواع غريبة من اللهو والتسلية والترفيه ، ويقيمـون الحفلات البالغة حد التصور ، تمجيدا للاله نبتون وتقديرا له . وكثيرا ما افاضت الصحف والمجلات الاميركيـــــة والانكليزية في وصف هذه الحفلات الغربية .

ولندرس ،كمثال اخر ، اثر الاله ماركير في حياتنا الاجتماعية الحديثة : ماركير ، او هرمز ، هو ابن الاله جوبتر ، ويعتبر امير الكلام ورب القصاصين والخطيب الافصـح والرياضي العجيب . وهو اله الرعاة وحامي المسافرين . ولقد اعتبره الرومان الها للتجارة والعمل والكسب . بصوره الفنانون دائما بصورة فتى جذاب مجنح القدمين ، يلبس جبة ذات جانحين ، ويحمل بيده عصاه التي خلدت حتى اليوم ، عصا « هرمز » التي يلتف عليها حيتان متشابهتان . اما حكاية هذه العصا السحرية فطريفة تلخص في ما يلي :

قيل ان الاله « مركير » وجد مرة حيتين تقتتلان فاراد ان يفصل بينهما ، فلم يجد بدا من ان يضع بينهما عصاه التي كان يحملها ، وحالا وقفت الحيتان عن القتال والتفتا حول العصا في الوضع الذي نراه الان .

والطريف ان هذه العصا ، في صورتها النهائية التي مر وصفها ، اعتبرت رمزا للجمعيات الطبية العالمية دون ان يكون هناك سبب واضح او مبرر جلي لمثل هذا الاعتبار . ولقد انتشر هذا الرمز بصورة خاصة في الحربين الاخيرتـين

وكثيرا ما نشاهده اليوم ملصقا على سيارات اكثر اطبائنا .

وكثيرا ما نرى الاندية الرياضية تتخذ رمزا لها رسما لقدم مجنحة هي قدم الاله « ماركير » الرياضي العجيب ، كما اسلفنا .

وتظهر صورة « ماركير » ايضا محفورة على بعـض القطع الفضية من النقد الفرنسي القديم ، نظرا لعلاقة هذا الاله بالتجارة والكسب ، كما قدمنا ، فكثيرا ما يشاهـد السائح في عواصم العالم الغربي على حيطان المصـارف الكبرى وبيوتات المال صورة « ماركير » محفورة حفــرا هندسيا فنيا يجذب النظر ويلذ له .

ومما ترويه الاساطير عن زهرة النرجس الطيبـــة الرائحة الطالعة حول مجاري المياه في سواقينا واوديتنـا وفي سهولنا وجبالنا ما يلي :

قيل ان « ناركيسوس » كان فتى أغريقيـا جميلا تدلهت بحبه عذارى أثينا وآلهتها ، وكان شديد الاعجاب بنفسه . كان لا يمل من كثرة التطلع والتأمل في صـورة وجهه الجميل ، وهي تنعكس على غدران الماء وغيطانه التي تملأ الغابات .

وطال تأمله وكثر حتى اصبح الفتى يعشق نفسه : فكان يبدو احيانا كثيرة وهو يتأمل في صورته المنعكسة على صفحات الماء وكأنه يحدثها حديث الوجد والهيام ، محـاولا ان يضمها الى صدره كما يضم الحبيبة الحبيب ...

وتقول الاساطير ان العاشق المسكين برح به حبـه نفسه فهزل وذاب أسى وحنينا ثم مات عشقا ...

وكانت عرائس الماء جد مغرمات بهذا الشاب الحلو الرائع الجمال فحزن عليه حزنا عميقا واردن ان يقمن لـه مأتما يليق به . فجئن وهن مسبلات الشعور ، يطفح الدمع من عيونهـن ، ويهدهن اليأس ، ليحملن جثة الشـاب الى مدفنها الاخير ... ولكن يا لحيرتهن !.. لقد اختفت جثة ناركيسوس ولم يجدن مكانها سوى... زهرة ... زهرة رائعة الجمال ... ما زالت تحمل اسم « ناركيسوس » حتى اليوم ... هي زهرة النرجس !

واخيرا هذا المثل :

كان « طنطلوس » ابنا « لجوبتر » ووالد « نيوبي » ملكة « ثيبة » التي قتل اولادها الاربعة عشر بسهـــام « ابلو » و « ديانا » .

عاش « طنطلوس » هذا براحـة وامان مع الالهة ، يؤاكلهم ويشاربهم ويستمع الى حكاياتهم ، كما كانوا هـم يستمعون اليه يقص نوادره وحكاياته الى ان بدر منه مـا كان يجب ان يبقى مخفيا . لقد أفشى احد اسرار الالهة . والالهة لا يفشى لها سر . فحكم عليه بالعذاب المؤبد وارسل الى « طرطروس » حيث يعذب الكبار من الخطاة ، بشرا كانوا ام انصاف آلهة !..

وكان عذاب « طنطلوس » في « طرطروس » عذابا اليما . لقد قضت الالهة ان يوضع امام عينيه دائمـا وابدا الماء والطعام ، ولكن دون ان يتمكن من الوصول اليهما كما سلطت فوقه جبلا هائلا يكاد يقع في كل لحظة على رأسه ويسحقه سحقا .

ولهذه الحكاية اثرها وعلاقتها بالكيمياء في العصر الحديث

في بعض التراكيب الكيميائية معادن نادرة حـار العلماء الكيميائيون في تعريفها واعطائها اسما ، وهي مستقلة قائمة بنفسها ، الى ان اهتدى العلماء فسموها باســم « طنطلوم » ، مستوحين في ذلك اسم « طنطلوس » صاحب حكايتنا المار ذكرها . يقول معجم اوكسفورد : ان من سمى هذا المعدن باسم « طنطلوم » فعل ذلك لسببين :

اولا ، لان العادة جرت عند العلماء ان يطلقوا عـلى الاجسام الكيميائية اسماء متحدرة من الميثولوجيا الاغريقية وثانيا ، لانه لاحظ ان هذا المعدن يبقى مـدة طويلة في الحوامض دون ان يتشربها ... فكأنه في هـذا شبيـه بطنطلوس وامامه الخبز والماء وهو لا يستطيع الوصول اليها

وهذان الشرطان متوافران في « طنطلوس » بطل الحكاية

وهكذا نرى ان الاسطورة لعبت دورها الهام في جميع مظاهر حياتنا الحديثة فطبعت الفن والادب بطابعهـــا الاسطوري الخاص وتركت في العلم اثرا عميقا لا يمحى .

موسى سليمـان
الجامعة الامريكية ـ بيروت

الـوحـدة

ليوسف الخـال

٥

أشتكي الوحدة ، لا تعجبْ ، هنا
التربةَ الواهبةَ الجماجمَ افترارَها
العجيبَ ، ازدهارَها الكئيبَ ،
انتظارَها الطويلَ
الطفولةَ الطروبةَ الهيولى .

اشتكي الوحدة ، لي صَمتيَ ، لي
يوميَ اليهربُ مني ، لي غدي :
آه ، ما هذا الذي يُحتضَر ؟
هوذا الليلُ تقضّى وانقضى
وانبزغ الفجر . فلِم لا اشتكي
الوحدة من هذا الذي بهرني ـ الضوءُ :

الدواليبُ ، واقدام غزاةٍ ، وعفاريتٌ
بها يرزح البحر ، ينوء الشفق
الاحمر ، تنهار الذرى .
والعواميدُ : أفي الارض يد
رفعتها ههنا في بعلبك ؟
والجنائنُ : هذه الحالمةُ العالقةُ
الجبينِ بالسماء .
والمراكبُ : ويحها الزاحمةَ

الزرقةَ في الخضمْ .
والبخارُ . والشرر
الخفيّ . ونقطةُ الزيت التمزقُ القصيّ ،
الترّوضُ العصيّ ، التصغّرُ الدني .
والقدرُ الاعمى ؟
أهو مريٌ بعدُ ؟ لا ،
أقيصريٌ ؟ لا ، ولا تابوتُ عهد
يهدم الاسوار في اريحا ،
يقتل الصغار والعجائز
الاعداء والحبالى .
القدر الاعمى أنا .
أملح أرضٍ ، أم
جبينٌ مسح التراب في
مقابر الملوك ـ هذه الانا ،
أم غيمة عابرة ، أم اقحوانٌ فتّح
الجفون عند مطلع الصباح
فافتقده الصباح ، أم
نعمة سكبها الخلود في مسامع
الضحايا ، أم شبح يسير في
شوارع المدينة الناطحةِ السحابَ ،

العاليةِ القبابِ ، المغلقةِ النوافذِ
الزجاجِ ـ المدينةِ المقفرةِ الموحشةِ
الخاليةِ الروح ، التي يسكنها اناس •

اشتكي الوحدة قل لي من ترى
يشتكي الوحدة غيري: أفم
جاع حتى جاعت الارض به
فابتلعته ؟ أيمينٌ قصرت فاقتصرت
على الهنا ؟ أخيال هيض فانهدَّ
عياءً ؟ أفؤاد رق حتىذاب ، أم
عقل اذا صدم المجهول ساق القدرَ ؟
أي شيءٍ لم نكن نحن ؟ سلِ الامس
وسل « سرتريا » خلع الخفّ على
الرصيف ، أخفى رأسه الاصلع في
لِحافه عندالضحى •
أي شيء ، أي شيء
لم نكن نحن ؟
الا عصافة كنا ، وكنا الجبل
المحالَ ان تهزه الريح ، بلى
والهرمَ الرفعه العبيدُ ، السواعدَ
الهدَّمتِ الباستيلَ والشيَّدتِ المدائنَ
القبابَ والحضَّرتِ المجاهلَ
اليبــابَ ،

بلى ، وكنا الشاطئَ اليشدُّهُ
بشاطئ طموحنا الرهيبُ ، المغارةَ اليقبعُ
فيها السباد ، الشرفة اليطلُ
منها قيصرٌ وهنيبعل ، الموكبَ اليشقُ
دربه الصليبُ ،
بلى ، وكنا القمة
الصَّعِدها الزمان ، الهوةَ الكدسها
الهوانُ بالاضاحي ـ الاضاحيَ الذليلةِ
الكسيحةِ ، الاضاحيَ الشهيدةِ المضيئةِ
السماءَ بالنجوم •
ألا ووحدتي ، ووحدتي
المازلتُ اشتكيها ، اروِّع الصباح فيها ،
يروعني الصباح والمساء فيها ؟
وهذه القبور ؟
وهذه السجون ؟
سأفتح القبور والسجون ،
سأخلق الحياة •••
فالوحدة المازلتُ اشتكيها
في خيبتي عرفها ،
عرفها ،
من قبل ان يخلقنا ، الاله •

يوسـف الخـال

الى اخي فـؤاد

نحن والزمان

« هنالك اشياء كثيرة رائعة ، ولكن لا شيء اكثر روعة من الانسان » .
سوفوكل – جوقة انتيجونا –

بقلم نهاد التكرلي

✳

نحـن والعالـم

« ها انا ذا حاضر تماما ، كامل في هذه اللحظة من الديمومة الابدية ، شبيه بمن يتقدم على خشبة المسرح ويقول : انا اوديب ، لي من العمر اربعون سنة ومن الحكم عشرون عاما . بقوة ساعدي بلغت قمة السعادة . واين ، هذا الطفل الضائع الذي عثر عليه من دون حالة مدنية ومن دون اوراق ، لست سعيدا بصورة رئيسية الا لاني لست مدينا لاحد عدا نفسي بأي شيء . وهذه السعادة لم توهب لي بل لقد قهرتها . »

بهذه العبارات يقدم « جيد » بطله « اوديب » . وهي تفصح بصورة جلية عن يقظة الانسان وشعوره بنفسه . وهي التي نود اتخاذها نقطة انطلاق لهذه الدراسةعن الزمان الانساني . ولكننا يجب ان ننبه اولا بان ما يؤكد عليه « جيد » وهو هذه الانا البورجوازية التي تفخر بوحدتها وتفردها ليست بالنسبة لنا الا لحظة ابتداء فقط . لحظة يستيقظ فيها الانسان على نفسه ليتحمل بعدها مسؤوليته كعضو في مجموعة واسعة من البشر يحدوها امل عظيم وتصنع تاريخها بنفسها . انها لحظة شعورية من اجل الانتماء الى الحكم البشري . اما الشيء الثاني الذي نود التأكيد عليه فهو ان الانا او الذات التي نتحدث عنها ونجعلها موضوعا لدراستنا ، ليست هذه « الكوجيتو » العقلية التي اكتشفها ديكارت ، هذه الانا التي تتأمل نفسها وتعكس ذاتها بل هي كوجيتو جديدة مرتبطة بالحياة « الطبيعية » اوثق ارتباط وهي سابقة على كل تفكير لانها هي الشعور نفسه او هي الشكل الاساسي لكل حياة فعلية . ما هي معطيات هذا الشعور او هذه التجربة الحية وماذا يمكن ان نستخلص منها ؟ لكي نفعل ذلك يجب ان نعود الى الاشياء « بلحمها ودمها » كما قال هوسيرل ، الى هذا الشعور الاصيل الذي لدينا عن العالم لكي نلاحظه ونجرد عناصره.

من الواضح اني اشعر بعالم له امتداد لا نهائي في المكان ، كما ان له الان وقد كان له في الماضي تطور لا نهائي في الزمان . ماذا يعني اني شاعر بهذا العالم ؟ ذلك يعني اولا وقبل كل شيء : اني اكتشفه بنوع من العيان او الحدس المباشر وان لدي تجربة عنه . فالاشياء المادية كما يكشفها لنا البصر والسمع واللمس وباقي الحواس وفق كيفيات الادراك الحسي المختلفة ، موجودة هنا بداهة بالنسبة لي حسب توزيع مكاني معين . انها « حاضرة » بالمعنى الحرفي والاستعاري للكلمة ، سواء أعرتها انتباها مخصوصا أم لا وسواء اشغلت نفسي بتأملها والتفكير فيها وارادتها والاحساس بها ام لا . كما ان الكائنات الحية ومن بينها امثالي من البشر موجودة امامي بصورة مباشرة ايضا . فانا انظر اليها وابصرها واسمعها تقترب واتناول يدها واتحدث معها وافهم بصورة مباشرة ما تتمثله وتفكر فيه ، كما استطيع ان ادرك ما تشعر به من احساسات وما ترغب فيه او تريده . وبالاضافة الى ذلك فهي حاضرة في نطاق حدسي كحقائق واقعة بغض النظر عما اذا كنت التفت اليها ام لا . ليس من الضروري ان تقع هي او الموضوعات الاخرى في نطاق ادراكي الحسي لكي تكون موجودة . فهي حاضره بكيفية حدسية حتىولولم تكن مدركة حسيا وهي تكون جزءا لا يتجزأ من الموضوعات المدركة حسيا بصورة فعلية. اني استطيع ان اغيراتجاه انتباهي باستمرار ، ان افصله عن هذا المكتب الذي رايته ولاحظته منذ قليل ، وان احمله عبر القسم الذي لم اكن اراه من الغرفة ، وراء ظهري نحو الشرفة ، في الحديقة، نحو الاطفال .. الخ اي نحو جميع الموضوعات التي « اعرف » تماما انها في هذا المكان او ذاك من محيطي وانها حاضرة بصورة مشتركة ومباشرة مع شعوري . وهذه المعرفة في الواقع ليست من التفكير العقلي في شيء بل هي نوع من الحدس الواضح والعيان المباشر . غير ان هذا المجموع من الموضوعات الحاضرة بصورة مشتركة وفي آن واحد امام حدسي بصورة يقل او يزيد وضوحها لا تستنفد في الواقع العالم الموجود بالنسبة لي بصورة شعورية . انه على العكس يمتد بدون حدود وفق نظام ثابت للموجودات . اي ان ما هو مدرك حسيا في الوقت الحاضر وما هو واضح ومحدود امامي الان ، يتخلله في قسم منه ويحيط به افق من الواقع غير المحدد الذي اشعر به بصورة غامضة . وهذا المحيط غير المحدود يمتد بصورة لا نهائية كما ان هذا الافق الضبابي الذي يفلت الى الابد من اي تحديد كامل ، موجود « هنا » بصورة ضرورية .

وما قلناه عن العالم باعتباره نظاما للموجودات في حضورها المكاني ، ينطبق على العالم باعتباره نظاما للموجودات في تتابعها الزمني . فهذا العالم الحاضر بالنسبة لي الان له افقه الزمني غير المحدود في اتجاهية الماضي والمستقبل سواء اكانا معروفين ام مجهولين . وانا في الفعالية الحرة التي تنبثق من تجربتي الحية استطيع ان اتابع هذه العلاقات في قلب الواقع الذي يحيطني بصورة مباشرة . فاستطيع ان اغير وجهات نظري في المكان والزمان وان احمل نظري هنا او هناك ، الى الامام او الى الوراء في الزمان . كما استطيع ان أثير في نفسي ادراكات حسية ماضية وامتثالات جديدة واستطيع ان اولد صورا يقل او يكثر وضوحها بواسطتها استطيع ان اسبغ غنى الحدس وقوته على كل ما هو ممكن او ما يمكن تصوره من الاشكال الثابتة للعالم الزماني – المكاني .

وهكذا فما دام شعوري حيا فاني اجد نفسي في كل لحظة – ومن دون ان استطيع تغيير هذا الموقف – على صلة مع عالم واحد هو نفسه مهما كان قابلا للتغير من ناحية المحتوى . انه لا ينقطع عن كونه « حاضرا » بالنسبة لي وانا منضم اليه ومندمج فيه . غير ان هذا العالم ليس موجودا بالنسبة لي «كعالم اشياء» فحسب بل هو موجود ووفق نفس الكيفية المباشرة «كعالم قيم» و «كعالم اموال» و « كعالم عملي » . فالاشياء الموجودة امامي ليست مجهزة

بصفات مادية فقط بل لها ـ وانا اكتشف ذلك دفعة واحدة وفي نفس الوقت ـ خصائص تقويميه ، فهي جميله او قبيحه ، مسره او كريهة ، مرضيه او غير مقبوله ... الخ كما ان الاشياء تحضر بصورة مباشره كادوات وموضوعات قابلة للاستعمال : « المنضده » مع « كتبها » والقدح والمزهريه والبيانو .. الخ وكل هذه اسيم وهذه الاوجه العمليه تعود للموضوعات الحاضرة ككيفيات مؤسسة لهده المواضيع سواء انشغلت بها ام لم اشغل . وما يصدق على الاشياء البسيطة يصدق ايضا وبصورة طبيعية على الحيوانات والبشر الموجودين في محيطي . فهم «اصدقائي» او « اعدائي » « مرؤوسي » او « رؤسائي » « غرباء » عني او من «اقاربي» .. الخ

هذا هو العالم الذي اجد نفسي فيه والذي يحيطني من كل جانب ، وبه تتعلق حزمة الفعاليات الانبعاثيه التي لشعوري بجميع اشكالها المتعددة . فالعالم ليس موجودا وحده بل هو موجود مع شعوري ومن اجل شعوري . وهذا الشعور لا يقتصر على اعمال الانا البسيطة التي اشعر بواسطتها بالعالم باعتباره موجودا هنا بصورة مباشرة عندما التفت نحوه بصورة انبعاثية ، بل يشمل جميع الافعال والحالات المختلفة التي تقع تحت نطاق العاطفة والارادة : اللذة والاشمئزاز ، الفرح والحزن، الرغبة والكراهية ، الامل والخوف ، التصميم والعمل ... الخ او بعبارة واحدة ان هذا الشعور يشمل جميع الافعال والحالات الفكرية والنفسية التي اطلق عليها ديكارت اسم « الكوجيتو » ولكننا هنا ازاء كوجيتو جديد ذي طبيعة حية اي انه يرتبط بالحياة الطبيعية اوثق ارتباط ولا يشترط فيه ان يستطيع التوجه بصورة تاملية او « انعكاسية » نحو نفسه . انه كوجيتو لا انعكاسي ومن ثم فهو لا يملك بالنسبة لنفسه صفة موضوعية (١). وهكذا فانا اجد نفسي في كل لحظة مخلوقا معينا يدرك حسيا ويتمثل الاشياء ويفكر ويحس ويرغب .. الخ

غير اني اعرف ايضا بان ما يصدق على « اناي » يصدق ايضا على جميع الاشخاص الاخرين الذين اجدهم حاضرين في محيطي . فانا بواسطة التجربة التي لدي عنهم كبشر ، افهمهم واتقبلهم كذوات شخصية أي باعتبارهم عائدين الى محيطهم الطبيعي . غير اني ادرك بان محيطهم ومحيطي بالرغم من انهما يشكلان من ناحية موضوعية نفس العالم الواحد ، الا انه يصل لشعور كل منا بصورة مختلفة . فهنالك عالم مشترك بين الذوات كما ان هنالك لكل شخص مركزه الذي يرى منه الاشياء الحاضرة ويتسلم بواسطته عن الاشياء مظاهر مختلفة ، أي ان هذا الاختلاف في المركز ضرورة وجودية صرفة وهو لا يمنعنا عن التوصل الى ان نتفاهم مع الاخرين وان نضع بصورة مشتركة واقعا موضوعيا ذا نظام مكاني زماني يشكل بالنسبة لنا جميع محيط الكائنات رغم اننا نجعل من انفسنا في نفس الوقت جزءا من هذا المحيط .

والان وبعد ان قلنا بان العالم حاضر بصورة مستمرة وبشكل من الاشكال امام شعوري وبعد ان عرفنا بان الانسان لا بد ان يكون موجودا ـ في ـ العلم كما يقول هيدجر وان كل شعور لا بد ان يكون شعورا بشيء ما على حد تعبير هوسيرل ، يحق لنا ان نتساءل ما هو كيان الانسان بحيث صار بوسعه ان يشعر بالعالم وان تكون الاشياء حاضرة امامه . اننا نعرف بان العالم عاجز عن ان يحضر امام نفسه او ان يكشف عن نفسه كعالم ، فلا بد ان يكون هنالك كائن مخصوص هو ما سميناه بالشعور بواسطته يكشف النقاب عن العالم . فما هي طبيعة هذا الكائن ؟ قبل الاجابة على هذا السؤال ومن اجل توضيح جوهر هذا الكائن نود ان نتحدث عن الشعور في صيرورته اي عن الانسان كمخلوق يوجد في الزمان .

نحن والزمان

كان « ديكارت » قد تحدث عن الكوجيتو او عبارة «انا افكر » في آنيتها أي كما توجد في « الان » ، والان في الحقيقة نقطة لا بعد لها او حد نهائي لا وجود له ، ومن ثم كان من الضروري لكل بحث في الوجود الانساني ان يقترن بالحديث عن الزمانية او الزمان الانساني كما يسميه البعض . والزمانية في الحقيقة بناء تركيبي له ابعاد ثلاثة هي الماضي والحاضر والمستقبل ، وهنا ايضا سنأخذ بنصيحة هوسيرل في العودة الى الاشياء في لحمها ودمها أي الى تجربتنا الحية عن الزمان والى عناصر هذه التجربة : الماضي والحاضر والمستقبل .

اننا نعيش في الزمان وهذا امر جلي لا يحتاج الى بيان . فنحن منذ ان انتبهنا على انفسنا وعلى العالم كان لنا ماض نتذكره ونفكر فيه احيانا ومستقبل نركض وراءه باستمرار وحاضر يفلت منا على الدوام . متى بدأ زماننا الوجودي هذا ؟ لا شك في انه بدأ بولادتنا ، ولكننا يجب الا نتصور زماننا جزءا من زمان العالم أي ان نتصور زمان العالم تيارا يجري باستمرار منذ الازل واننا نلقى فيه فترة من الزمن ثم نختفي بعد ان نتركه يهدر وراءنا . ليس هنالك في الحقيقة زمن عام كان يجري قبلي ثم ظهرت خلاله فجأة كشعور يعي نفسه وعالمه وصرت اجري في نطاقه الحقيقة هي ان الانسان يولد وولادته هي قانون وجوده الاصيل ، وابتداء من هذه الولادة يتكشف للانسان عالم (له) زمان عام وابتداء منها يرى للعالم ماضيا بعيدا يستطيع ان يحدد فيه لحظة لم يكن فيها شيئا معينا ولحظة ظهر فيها الى الوجود ، لحظة كان هنالك فيها اشخاص لم يولد « منهم » واخرى فيها اشخاص ولد منهم . أي ان العالم لا يكتسب ماضيا الا بولادتي كما ان ولادتي هي التي تحدث لي ماضيا معينا يختص بي . متى ابتدأ هذا الماضي ؟ ان الماضي في الحقيقة لا حدود له . اي ليس هنالك خط واضح يتبدأ منه ماضيء، خط كنت قبله بدون ماضي ثم ابتدأ هذا الماضي بانتكون (بعد) هذا الخط . ان الماضي في الحقيقة يمتد حتى ينزل ويضيع تدريجيا في تلك الظلال المتدرجة التي تستحيل شيئا فشيئا الى ظلمة قاتمة ينطوي عليها جسد الجنين . وعلى هذا فلا يمكن القول ان الشعور في الجنين معدوم تماما ومن ثم فان الماضي معدوم ايضا . هنالك حتى في الجنين بصيص من شعور ، مشروع شعور اذا صح هذا التعبير ، او شرارة ضعيفة كانت تتدرج نحو النور شيئا فشيئا . والتفكير في هذا النشوء التدريجي للشعور في جسد

---

(١) ادموند هوسيرل « افكار موجهة نحو فلسفة ظاهرانية » خاصة الفصول الاولى من القسم الثاني .

الجنين يثير مشكلة في خاطر الانسان ، فهو لا يتمالك ان يتساءل بشيء من القلق : ما الذي جعلني (انا) نفسي اولد من « هذا » الجنين لا من غيره ؟ ويبدو ان هذه المشكلة غير قابلة للحل وستبقى هنالك مشكلة متافيزيقية للولادة لا يمكن ادراكها بالعقل . ولكن المهم بالنسبة لنا الان هو انه ليست هنالك مشكلة وجودية للولادة لاني عندما اوجد كشعور اكون قد ولدت قبل ذلك اي حالما يوجد شعوري يكون قد وجد على شكل (شعور ـ له ـ ماضي) .

والان نتساءل عن هذا الماضي ، ما هي حقيقته وما هو كيانه ؟ من الواضح ان الزمان بصورة عامة ـ وزمان حياتي ايضا ـ يجري باتجاه واحد اي انه غير قابل للاعادة باية صورة كانت . فكل جريان زمني يتميز بكونه يتألف من « قبل » و « بعد » وقانونه الاساسي ان هذا الـ « قبل » يعقبه هذا الـ « بعد » وهكذا باستمرار أي ان هذا الحاضر يصبح ماضيا وهذا المستقبل يصبح مستقبلا سابقا وهكذا. وهذا يعني ايضا بان هذه «الواقعة» بعد ان اصبحت «بعد» واقعة معينة لا يمكن ان ترجع فتصبح مرة ثانية قبلها . وكل هذا له معنى واحد هو ان الماضي لا يمكن ان يعود وانه حدث مرة والى الابد . وهذا يعني ايضا بان طفولتنا وشبابنا والاشخاص الذين كنا نحبهم ، ثم ماتوا وسعادتنا الماضية ، كل هذا لا يمكن استعادته ابدا . لماذا ؟ في بعض الاحيان يشعر الانسان بغصة عندما يلقي على نفسه هذا السوآل . اين ذهب ذلك العالم الجميل السعيد الملون بتلك الالوان الزاهية ؟ هل نستطيع العثور عليه في يوم من الايام ام ان هنالك روحا سحرية تلبسته فجعلته وستجعله دائما خارج متناول ايدينا ؟

قبل الاجابة على هذا السوآل لا بد ان ننقد مع سارتر (٢) نظريتين بسيكولوجيتين في الذاكرة . الاولى مثالية عقلية تحدرت من ديكارت وهي التي انشأت نظرية « الاثار الدماغية » الشهيرة . وهي تنسب الوجود الى الحاضر وحده وتعتبر الماضي عدما لم يبق منه الا أثار مادية « حاضرة » في الدماغ . ولكن العقبة التي تصطدم بها هذه النظرية هي انها لا تستطيع ان تفسر سلبية الذكرى . اي كيف يكون بوسع شعوري عندما يتذكر ان يعلو على الحاضر ليتجه الى حادثة سابقة فيلقاها « هناك » حيث وجدت وفي الزمن الذي حدثت فيه . كما انه بموجب هذه النظرية لا يمكن التمييز بين الذكرى والصورة الخيالية ما دامت هذه الاخيرة تقدم نفس المميزات التي للاولى .

اما النظرية الثانية وهي التي تبنتها الفلسفة البرجسونية فهي واقعية أي انها تعترف بالوجود للماضي أي ان هذه الحادثة « الماضية » موجودة ولكنها تختلف عن الحوادث الاخرى الحاضرة بكونها احيلت على التقاعد أي انها فقدت فعاليتها من دون ان تفقد وجودها فهي باقية « في مكانها » في تاريخها الى الابد . ولكننا حسب هذه الفكرة لا نستطيع ان نفسر كيف سيكون بوسع الماضي ان يولد من جديد ، ان يمازجنا وان يكون موجودا « بالنسبة لنا » .

والحقيقة هي اننا لا نستطيع ان ندرك كنه الماضي اذا بدأنا بقطع الجسور بينه وبين الحاضر . فالماضي ليس عدما كما انه ليس عالما مسحورا مغلقا على نفسه يعيش في صمته الابدي . انه قبل كل شيء خاص (بي) اي انه ماضي هذا الحاضر الذي اكونه الان . فهو ليس (لا شيء) كما انه ليس الحاضر بل هو تابع وعائد الى ينبوعه الاصلي الذي ينبثق منه اي الانسان بكليته كما هو كائن الان . فهذا العالم الطفولي الذي اتذكره ليس موجودا الا لانه مرتبط بي اي لانه يتصل بحاضري . انه لا يمكن ان يبدو في عزلة تامة وسيكون تصورنا له على هذا الشكل تصورا لا معنى له . فالماضي يتميز بكونه ماضي شيء معين او شخص معين . وفي الحقيقة لا يوجد هنالك ماض (عام) يتجزأ الى مواضي اشخاص بل العكس هو الصحيح . وهكذا فالاشياء والحوادث السابقة والوقائع المتقومة التي اختفت الان لا تكون ماضية الا باعتبارها جزءا من ماض متقوم لشخص تجاوزها وهو باق يعيش بعدها الان . وهنا يحق لنا التساؤل عن امواتنا ، ما هو مصيرهم الان واين ذهبوا ؟ ليس من شك في انهم كانوا يملكون ماضيا عندما كانوا على قيد الحياة وكانوا يحيون ذلك الماضي . اما الان فانهم لا يمكن ان يكونوا الا جزءا من ماضينا . نحن وحدنا المسؤولون الان عن وجودهم لان حريتنا وحدها هي التي تستطيع نقلهم وانقاذهم بان تجعلهم جزءا من ماضيها . وفي الوقت الذي نهملهم ولا نعود ـ انا او انت ـ ننقلهم فيه الى ساحل ماضيي او ماضيك فانهم لن يكونوا عندئذ « ماضيا » بل سيغرقون هم وماضيهم في لجة العدم .

هذه الملاحظات تقودنا الى ان نرفض الماضي عن

---

(٢) جان بول سارتر « الوجود والعدم » الفصل الثاني من القسم الثاني وهو المتعلق « بالزمانية » .

الاشياء الموجودة في العالم ، لان الماضي كما رأينا ليس سوى خاصية اصيلة لكائن يملك القدرة على تجاوز حاضره والاندفاع نحو ماضيه . انها خاصية وجود يستطيع الا يكون نفسه وهذا هو الوجود الانساني . ان الاشياء لا يمكن ان تملك ماضيا وهي لا تستطيع الا ان تكون جزءا من ماضي انسان يحيا الان في الحاضر . الانسان وحده هو الذي له ماض .

ولعل البعض يتساءل عن المخلوقات الحية ـ النباتات والحيوانات ـ الا يمكن ان يكون لها ماض ؟ والحقيقة هي انه لا يمكن البت في هذه القضية . اننا لكي نستطيع التصور بان « للحياة » ماضيا يجب ان نبرهن اولا على ان المادة الحية هي (شيء اخر) غير النظام الفيزيائي الكيماوي الذي تتألف منه وهذا ما لا سبيل الى اثباته ولعله سيبقى في نطاق الاحتمال . ولكن الشيء الاكيد هو ان هنالك وجودا خاصا نعرف بصورة يقينية انه يستطيع الا يكون نفسه ، ان يكون ماضيه ولا يكونه في نفس الوقت وهذا هو الوجود الانساني . بواسطة الانسان وحده يطرأ الماضي على العالم ويمكن ان يبرز للعالم هذا البعد الجديد.

ولكني في الحقيقة لا اكون ماضيي فحسب بل استطيع ان اكون امكانياتي المستقبلة ايضا . اي اني لست الطفل الذي كنته منذ سنين عديدة والموظف الذي كنته قبل سنتين والشخص الذي كنته قبل يومين ولكن الشخص الذي يمكن ان اتقمصه بعد شهرين او سنتين . اني هذا الشخص الذي اضرب معه موعدا منذ الان والذي انوي لقاءه بعد شهر مثلا .

غير ان الماضي يختلف في طبيعته عن الامكانيات وهذا ما نريد ان نبينه منذ الان وقبل الحديث عن المستقبل . فالاختلاف الجوهري هنا يكمن في ان : هذا الشخص « الممكن » الذي اريد ان اكونه في المستقبل ، هذا الانسان الذي سيحصل على دبلوم في القانون الذي اتواعد معه منذ الان ، موجود امامي « كامكان » محسوس . اي بالرغم من اني اكونه منذ الان بصورة من الصور ، الا ان هنالك « الى جانبه » اشخاصا اخرين موجودين ايضا ـ وان كانوا على درجة اقل لاني لا اتجه نحوهم الان ـ وهذا يعني بان من المحتمل جدا الا التقي بالشخص الحاصل على دبلوم بل التقي بشخص فشل في الحصول على دبلوم ، او رفض الحصول عليه ، او تمرض فتعذر عليه الحصول عليه ... الخ وهذا هو جوهر كينونتي للاشخاص المستقبلة . اما الشخص الماضي الذي (كنته) فانه لا يملك اية امكانية اي ليس هنالك ولا يمكن ان يكون الى جانبه (اي شخص اخر) وهنا هو الاختلاف الجوهري بين طبيعة الماضي وطبيعة المستقبل . وهذا يعني باني لا استطيع تغيير الماضي لانه حدث وانتهى امره الى الابد (٣) . انه اصبح شيئا من الاشياء . وهذا هو السبب الرئيسي الذي يجعلني لا استطيع ان احيا في الان مرة اخرى . لذلك اني لا استطيع الدخول الى عالم الماضي من دون ان اختنق كشعور لانه كما قلنا عالم لا امكان فيه وانا لا استطيع ان اوجد من دون امكان .

وهكذا فالماضي لم يصبح عدما لا وجود له كما انه ليس عالما ضائعا لا استطيع العثور عليه . انه موجود ولكنه موجود ورائي كعبء احمله على كتفي واجرر اذياله اينما اسير . اني أكونه باستمرار ولكني لا استطيع ان أحييه ابدا . والان اذا كان الماضي لا يمكن ان يوجد الا بالنسبة لحاضر يضيئه ، فما هو هذا الحاضر وبماذا يتميز ؟

من الواضح ان كل ما يوجد في الحاضر يتميز عن غيره من انواع الوجود بخاصيته الاصلية وهي (الحضور) فالحاضر هو حضور ، أي علاقة باطنية تجعلني انا الكائن الشاعر شاعرا بشيء ما ، بنفسي وبجسمي وبالعالم الذي حولي . والعلاقة هنا ليست خارجية اي ليست علاقة تجاور لاننا لا نستطيع ان نقول عن الكرسي والمنضدة انهما حاضران امام بعضهما . ان فكرة تجاورهما نفسها لا يمكن تصورها الا اذا كان هنالك « شاهد » يوجدان بالنسبة له في آن واحد ويكونان حاضرين بالنسبة لوجهة نظره . فالاشياء بحد ذاتها اذن ليس لها القدرة على الحضور امام بعضها لان الحضور كما قلنا علاقة باطنية . لا بد ان يكون هنالك وجود لديه القدرة على الذهاب (الى) الاشياء ومواجهتها لكي يمكن ان توجد بينهما علاقة تسمى الحضور وهذه هي خاصية الوجود الانساني او الشعور الانساني . ومعنى ذلك ان الانسان وحده يستطيع ان يكون حاضرا امام الاشياء وامام العالم وان « يدوم » اثناء اتصاله بالعالم فيدوم العالم معه خلال الزمان . وهذا يعني ايضا ان الانسان مهما فعل لا يستطيع الا ان يجد نفسه في الحاضر منفصلا عن العالم وعن نفسه ولن يستطيع مهما فعل ان يحصل على ذلك الانسجام او الاندماج الاصيل الذي يحن اليه ، تلك الراحة المطلقة التي تخلصه من عبء نفسه وعبء العالم . لا بد ان يبقى يحقق نفسه في الزمان وامامه هذا العالم القريب منه البعيد عنه في نفس الوقت . ومعنى هذا ايضا الا سبيل لبلوغ اللازمانية . ذلك ان الابدية التي يحلم بها الانسان ويحن اليها ليست في الواقع ديمومة لا نهائية أي زمانا لا اخر له . انها لا يمكن ان تكون هذا السعي العقيم وراء الذات التي لا استطيع الا ان اتحمل مسؤوليتها دائما ، ولذلك فهي ليست سوى الراحة في الاندماج مع الذات ومع العالم . هي اللازمانية هذا التوافق المطلق مع الذات وهذا هو الشيء الذي لا يمكن تحقيقه لان تحقيقه يعني القضاء على الوجود الانساني . وهكذا فالانسان في الحاضر حاضر امام نفسه وامام العالم وهذا هو جوهر وجوده .

ولكن الانسان لا يمكن ان يقتصر على الحاضر فقط بل لا بد ان يكون امامه دائما افق متسع الارجاء هو عالم الامكان اي عالم المستقبل . وهنا ايضا نؤكد على هذه الحقيقة الرئيسية التي كررناها مرارا وهي ان الاشياء بحد ذاتها وموضوعات العالم لا يمكن ان تكون مستقبلا او ان تحتوي على ذرة من المستقبل ، لان المستقبل كما قلنا افق وهو لا يمكن ان يوجد الا بالنسبة لمخلوق مفتوح على نفسه وعلى العالم . اما الاشياء فمغلقة على نفسها دائما وهي غارقة في ظلام دامس بصورة مستمرة . وفي الحقيقة ان المستقبل وحده هو الذي يجعل الحاضر موجودا

نهاد التكرلي

فرنسا ـ بوانيبه

[التتمة في صفحة ٧٢]

(٣) ولكن هذا لا يمنع من ان استطيع تغيير « معنى » هذا الماضي.

اشراقة خادعة

٥

في الصحاري .. همسة الاحلام للوجد المثار
وارتعاش النور في صمت المساء
وأناشيد حيارى في عيون الشعراء
والتراب ..
التراب اللاهب الظمآن يغفو في العراء
فوق جفنيه طيوف من دماء
والافاعي الماكرات تتلوى في ارتخاء
ثم تخفي رأسها تحت الرمال
والغراب ..
ينقر الدود بصمت وارتياب ..
ثم يرميه بعيدا في ملال ..
والسراب ..
آه ما أحلى السراب !
ومضة النور وأحلام اليباب
خفقة الآمال في قلب الضياء
وانعتاق النغم الساحر من دنيا الصفاء
والظلام ..
والنجوم البيض حب لا ينام
وعذاب شارد الدمع ، وسر من ضرام
ألسراب ..
السراب الخادع الملعون يغفو في العراء
ويغني للتراب قصة الوهم على جفن الضباب
وصراع اليأس في قلب المساء
فتجن الارض شوقا للسماء !
والمدى الجبار يطوى في الخفاء
فاذا الارض نشيد ساحر الانغام مفتون الرنين
وصداه المرح النشوان حب وحنين
والمدى الجبار يطوى في الخفاء
فاذا النجم صفاء وانطلاق وغناء !

العراق ــ المقدادية «الزهرة البيضاء»

تطور العدالة

بقلم اميل توفيق

*

حينما نبحث التطور التاريخي للقانون ـ في دراستنا للنظم البدائية ـ نجد ان نقطة البداية هي حيثما توجد العقوبة . والعقوبة ظاهرة اجتماعية تصدر عن المجتمع لتؤدي في النهاية الى سلامته ودرء الخطر عمن تحدثه نفسه ان يجرم في حق المجتمع . ومعنى العقوبة هوتوقيع نوع من الالم على من يخل بالقواعد او الاحكام الاجتماعية . فالقانون law انما هو اية قاعدة اجتماعية يؤدي الاخلال بها او الانحراف عن اتباعها الى توقيع العقوبة الملائمة . ومعنى القانون في نظر الانثروبولوجيا يتحدد كذلك بحقيقة اخرى وهي وجود سلطة معينة تختص بتوجيه الاتهام والاقتصاص من المتهم .

والعقوبة بطبيعتها مقياس استثنائي ، فالناس تجيز القانون والعقوبة الناتجة عن كسره ، لان غالبيتهم يتبعون احكامه ، ولان هناك خشية من القلة التي ستخل بهذه الاحكام . اذ لو كان كل انسان يسير بطبعه بمقتضى القانون دون استثناء لما قام قانون ، ولما كانت حاجة لوجوده . وفي القبائل البدائية يصعب وجود القوانين ، وذلك لان الناس ـ في غالب الاحيان ـ لا تنحرف عن العرف الاجتماعي ، ولا يدور بخلد الفرد ان يخرج على اوضاع مجتمعه .

والعرف الاجتماعي custom او التقليد هو بمثابة الطاغية المتحكم في المجتمع البدائي . لقد سئل احد رؤساء قبيلة تاهيتي Tahiti : لماذا هم يأكلون منعزلين بعضهم عن البعض فكان جوابه : (لان هذا حق) . وبمثل هذه الروح المسيطرة يؤدي الناس في المجتمع البدائي افعالهم « فهو العرف وكفى !» في شئون السياسة والاخلاق . وهذه الظاهرة جمود رجعي عنيف ، وترجع نفسيا الى وظيفة المحافظة على التراث التقليدي وهي وظيفة تؤدي الى التماسك والترابط . ومهما تحدث من تغيرات فيها او انحرافات عنها ، فا نالمفروض الا تحدث بسبب وجوب هذا التماسك . والقانون الاجتماعي ـ في المجتمع البدائي ـ قانون حرفي فهو بمثابة شريعة مادي وفارس ، التي لا يعتورها ـ من فرط صرامتها ـ تغيير او تبديل . ولاحترام العرف مزايا ، كما ان له مضاره . ومن مزاياه انه يتضمن عنصر النظام ، الذي بدونه ينهار المجتمع وينحل . ونحن اذا تأملنا طبيعة الانسان المتوحش نجده في آن ما صديقا حميما ، وبعد لحظة ينقلب عدوا لدودا . ومن هنا كان المجتمع البدائي اكثر استمساكا بالقانون وبحرفيته من المجتمع المتمدن ، لان الفرد البدائي يحتاج في كل وقت ليد القانون الصارمة .

اما السيئة التي تنجم عن اتباع العرف والتقليد حرفيا ، فأساسها ان الروح المحافظة الرجعية تمتد الى كل انواع السلوك الانساني ، العقلية منها وغير العقلية .

ويحدثنا السير تايلر E. Taylor في كتابه Primitive Culture عن قبيلة الدياك Dyaks في جزيرة بورنيو فيذكر ان الرجل اذا شذب شجرة بالطريقة التي يشذب بها الرجل الاوروبي يعرض نفسه لعقوبة او غرامة فادحة ولما عرفوا ان الطريقة الاوروبية اجدى عليهم واوفر جهدا ، كانوا يعملونها بحذر فيما بينهم . اما المستر A. R. Wallace في حديثه عن نفس هذه القبيلة فيصفهم بالهدوء والدعة في المعاملات والعلاقات الاجتماعية العادية . ومع ذلك فهم يقومون برياضة صيد الرؤوس البشرية head-hunting ويفسر والاس ذلك بقوله : انه العرف الذي يجري عليه الناس ، فلا يرون في ذلك خروجا او انحرافا او شذوذا .

فالعادات الاجتماعية تصورات يخضع لها الفرد ، بلا تعقل او منطق ، وهو لا يخرج عنها ولا يتجاوز نطاقها الا عندما تنمو فرديته وتنضج وترتفع فوق تلك التصرفات الرتيبة ، ويبدو نضجه فيما تعكسه هذه الفردية منغايات ووسائل ومطامح تخالف غايات المجتمع ووسائله ومطامحه . ان الصدام بين الفردية النامية، وهذهالتصورات الاجتماعية المفروضة ، هو اول شرارةانبثقت عنها انوار المدنية ، ذلك لانها أضاءت شعلة الفكر بالنقد ، وبالجدل ووضع الامور موضع البحث ، ثم موضع التجريب فيما بعد . ولقد تألقت هذه الشرارة في الفكر اليوناني القديم لانهم خرجوا عن اوضاع المجتمع المفروضة وافكاره ، ووضع فلاسفتهم مسائل الحياة على بساط من الجدل القريب من العلم .

ومن العجيب ان هناك ظاهرة تبدو في المجتمع بينة حتى في المدنيات الحديثة . وهي اننا قد نتطور ،ونغير من تقاليدنا وعاداتنا ، وآراءنا ، ويصبح العرف الماضي في نظرنا سخافة من سخافات العقل المخرف ، ومع ذلك تبقى في نفوسنا ، او في نفوس الكثير منا عادات نقوم بتأديتها لا بوحي العقل ، ولكن من تلقاء انفسنا بوحي الماضي . فكأنما هناك انسان يعيش في الماضي السحيق ، رغم نمو حاستنا الناقدة وعقليتنا العلمية ، وهذه الرواسب او الباقيات survivals هي اشبه بالدوافع النائمة . ومن هذه ايضا الخرافات الشعبية والتقاليد العتيقة التي نجدها في كثير من الدول التي بلغت شأوا كبيرا من الحضارة كاليونان او بريطانيا وغيرهما .

والان نبحث بداية القانون المرتبط بالعقاب . يحدثنا مستر مانعن المجتمع فيجزر الاندامان Andaman Islands في المحيط الهادي فيذكر ان العدالة هناك تؤدي بشكل جماعي . فالجماعة المظلومة تقتص لنفسها بنفسها . انها تأخذ القانون بين يديها . امثال ذلك ان يرجم المجرمبشعلة من النار ، او بسهم حاد من بعد قريب . اما سائر افراد الجماعة فينسحبون ويختبئون وراء اكمة من الاكمات وينتظرون حتى تمضي فترة القصاص بزمن كاف حتى يعودوا ثانية . واحيانا يتدخل بعض الاصدقاء لفض المنازعات . وقد تطورت هذه الحالة بفضل الحاجة الى التنظيم الاجتماعي والى ضرورة وجود معايير يخضع لها الافرادفي الجماعة البدائية. فالاصدقاء الذين يناط بهمعبء فض المنازعات اختياريا اصبحوا لازمين في المجتمعالمتطور، وذلكعلى شكل هيئة اجبارية هي قوةالبوليس. واذارجعنا الى المجتمع الطوطمي حيث نجد التنظيم الاجتماعي المعقد ، نجد الانتقام الدموي التزاما من الالتزامات الاجتماعية لاعضاءالعشيرة . فالانتقام في نظر المتوحش هوكل القانون.

وفي المجتمع الطوطمي هناك قانون تأديبي تقره الجماعة ويطبق على كل انسان مخالف للقواعد الاجتماعية،

واهم هذه القواعد الاخلال بقاعدة الزواج من خارج العشيرة exogamy فهذه القاعدة تحرم الزواج من نساء العشيرة . والشخص الذي يغتصب فتاة من عشيرته ــ وهي في العرف محرمة عليه ــ يذبح ذبحا .
وهناك صورة اخرى لهذا الانتقام وهو اخذ الثأر ، ذلك ان بين العشائر التي تنضم الى قبيلة واحدة يتحتم ان يحكم على العشيرة التي ينتمي اليها القاتل مثلا ، ان يقتل منها شخص ما ولو كان يعرف انه بريء . وهذه تعرف بالمسئولية الجماعية Collective responsibility ، وهي التي من اساسها تتطور ــ خلال الاحداث التاريخية ــ المسئولية الفردية .

لقد كانت الطريقة الجماعية في فض المنازعات طريقة طبيعية عندما كان الناس موحدين في هيئات ترتبط بعلاقات من القرابة . ومن الجهة الاخرى عندما كان المجتمع خاليا من السلطة التي يناط بها مسألة القضاء او اصدار الاحكام او التوفيق بين المتخاصمين ، كانت الطريقة هي ان ينشب العراك بين الفريقين ، ويحاول الفريق المعتدى عليه ان يقتنص المجرم الفعلي ليقتص منه واذا لم يتمكن من ذلك يفتك بأي شخص آخر في مقابل المجرم . وقد فطن الناس بعد ذلك ان المسئولية ينبغي ان تنحصر في افراد الاسرة من الاقارب الذين يرتبطون بوشيجة الدم كالابن والاخ والاب واما الاخرون من افراد القبيلة فيأتون في المرتبة الثانية .

وقد حدث هذا التطور بين القبائل الاسترالية وجماعة الاسكيمو ، فقد كانت تنشب المعارك الجماعية بين عشائرهم وبمرور الزمن اقتضى التطور ان يختار من بين كل عشيرة متنازعة فئة معينة هي الفئة التي يختص بها الاتهام او الجريمة . ومن هنا نشأ مبدأ المبارزة duel ومثال هذا الانتقال يتضح بين الجماعات السود في بورت لنكولن . ذلك ان أخا القتيل يستدعي للمبارزة ، وتباح هذه المبارزة لكل من يهمه الامر لكل من الجانبين . وفي شمال امريكا نجد المبارزة لدى جماعة الاباش Apaches ولكن في صورة شكلية .

وتظهر صورة اخرى جماعية في تاريخ التطور القانوني ، وهي المبارزة المشروعة او القانونية legal duel وبموجبها يتحتم على اهل المجرم ان يدفعوا الثمن بالمبارزة . ويقول كرانز Cranz ان جريمة القتل بين اهل جرينلاند Greenland جريمة نادرة لان الفرد منهم يدرك تماما ان عاقبة القتل هو الانتقام من غيره من افراد اسرته او من أعز أصدقائه . ولعل في هذا الادراك الصحوة الاولى للشعور بالمسئولية الفردية .

ولما كان مبدأ المبارزة ذاك ، لا يعمل على فض النزاع نهائيا ، لعدم تكافؤ القوة بين الفريقين المتنازعين مثلا ، فقد خطا القانون خطوة اخرى لحسم المنازعات في صورة اخرى وهي مبدأ المحنة ordeal فلدى جماعة الاستراليين البدائيين ، يقف القاتل في ساحة معينة ، ليستقبل من الحراب والسهام ما تصوبه على جسده الفئة المجنى عليها ، على اساس ان هذه المحنة تحسم المنازعة بين الطرفين نهائيا .

ولحسن حظ المجرم او القاتل ، ان يمر وقت طويل قبلما تجري محاكمته وعندئذ تهدأ سورة الغضب فلا يطالب بدمه . ومن هنا جاء مبدأ آخر هو مبدأ التعويض Compensation يطالب به المجنى عليه ــ او اهله ــ في مقابل الدم المسفوك . والواقع ان المجرم اذا امسك عقب جريمته اعدم على الفور ، أما اذا استطاع الهرب كان مطالبا بدفع غرامة يسمونها غرامة الدم blood fine اي في مقابل النفس التي أزهقت . ولدى جماعة الاروكوا Iroquois يمكن المتهم ان يفدي نفسه من القتل بان يقدم منحة لاهل الجريح ، يكون بعضها ثمنا لتضميد الجراح والبعض الاخر لمن يعيد السلام والطمانينة بين اهل العشائر .

ووفقا لقاعدة المسئولية الجماعية ، فان رجال العشيرة يشاركون في ثمن الكفارة او الفدية . ومن ثم تفرض على الجميع جزية تتفاوت مقدارها تبعا لدرجات القرابة للمتهم ثم تجمع وتعطى لاهل المجنى عليه .

وتأتي بعد ذلك مرحلة ينتقل منها حق القضاء من الولاية العائلية الخاصة الى هيئة قضائية عامة . ففي امريكا وفي افريقيا وغيرهما نجد ان رئيس القبيلة او رؤساء العشائر يعلنون القضايا ولكنهم يتركون تسويتها للعشيرة او للاسرة ، او ان يؤتمن الاقرباء على القيام بتوقيع العقوبة ، ولكن في الحدود التي يرسمها اولياء السلطة من الرؤساء . ففي الحبشة مثلا ينفذ الحكم على القاتل اقرب قريب للقتيل ، وذلك بحضور الملك او من ينوب عنه ، مستخدما في ذلك نفس السلاح الذي استخدمه القاتل في جريمته .

وقد انكمش حق القريب في توقيع العقوبة حتى صار تقليدا شكليا ففي الافغانستان نجد المتهم يمتثل امام اسرة القتيل ، وهذه بدورها تمتثل لحكم السلطة القائمة دون ما تدخل . وفي ساموا Samoa يقف المتهم ليظهر الخضوع امام اسرة المجنى عليه ، كدليل بانه واقع تحت رحمتهم ، في حين ان الرئيس يقوم هو بالتنفيذ .

ان التطور القانوني مرتبط في تاريخه البدائي بالعقوبة الخاصة بالقتل اكثر من اية جريمة اخرى . فالزنى في نظر المتوحش يعتبر تعديا ولكن بدرجة اقل من درجة القتل . اما المراحل القانونية المختصة بعقوبة الزنى فتكاد تكون هي نفسها المراحل التي ذكرناها . فالعراك ثم المبارزة ثم المحنة ، ثم الاختيار بين عقوبة الموت والغرامات ، ثم الانتهاء الى مرحلة الفدية او الغرامة هي المراحل التي مرت بها تلك العقوبة .

غير ان هناك فارقا بين جريمة الزنى او السرقة ، وبين جريمة القتل فالاولى تعتبر مدنية اي تعديا على الافراد ، واما الثانية فتعتبر تعديا ضد الجماعة او ضد امن الدولة . وقد استطاع البدائيون ان يفرقوا بين ما هو فردي ، وما هو جماعي كما في قانون قبيلة الكفير Kafir

بقي ان نذكر نصيب المرأة من العقاب ، في جريمة الزنى . ففي المجتمعات التي سارت شوطا في المدنية ، مثل المجتمعات الرومانية نجد القانون يقر ما يسمى قضاء العائلة حيث يعطي رب الاسرة حق الرياسة واخضاع افراد اسرته التي تتكون من زوجه واولاده وارقائه للنظام الذي يراه ملائما لهم . وقد كان القضاء العائلي ذاك مستقلا عن قضاء الدولة ، وقد ظل كذلك عهدا طويلا في اوروبة قبلما يصبح لقانون الدولة السيادة الشرعية المطلقة .

وهنا ينبغي ان نتساءل: ما الذي تلقيه دراسة المجتمع البدائي من ضوء على بداية القانون العائلي الذي ينفذ احكامه رب الاسرة ؟ ان هذه المسألة مرتبطة بتطور الاوضاع الاسرية واهمها التطور من النسب الاموي ، حيث كانت للام حق الامومة ، وحيث كان الخال يعتبر ولي الامر بالنسبة لاولاد اخته ، وحيث كان الاب الى حد ما غريبا عن عشيرة

زوجته .. الى النسب الابوي حيث اصبح الاب ـ وخاصة عند بدء الرعي ونمو الجماعات الزراعية ـ هو المسئول عن اسرته وينتسب اليه ابناؤه كما هو العرف في مجتمعنا الحديث .

ان أعلى مرتبة لحق الامومة ، هي الحالة التي تكون فيها الاقامة العائلية بين عشيرة الزوجة ، في المجتمع الاموي . فان نشب عراك بين الزوجين في مثل هذا المجتمع ، دافع عن الزوجة اهلها . وهذه الاقامة تفسر لنا ندرة جريمة الزنى في تلك المجتمعات وحتى ان قارفت الزوجة هذه الجريمة ، فان حرية الزوجة بفضل حق الامومة ، تكفل لها ان تضع نهاية للزواج ، بطلاقها من زوجها . اما عندما تقيم المرأة بين عشيرة الزوج ، فالامر يختلف تماما ، اذ ينظر الى تلك الجريمة نظرة جدية .. الامر الذي يفسر لنا كبر نسبة حدوث هذه الجريمة في المجتمعات الابوية .

على ان الاتهام لم يكن قاصراً على جريمتي القتل والزنى . فالسرقة والافتراء جريمتان محدودتان في المجتمع البدائي . ولئن كانت السرقة جريمة قليلة الحدوث ، فان المعارك كانت تنشب بسبب اعتداء الجماعات بعضها على بعض وقد يكون ذلك من اجل مغانم الصيد ، وانتهاك ملكية الارض ، او الاعتداء على البقاع المشروعة لصيد السمك . وقد كانت المبارزة هي الصورة القانونية التي بها يحسم الاستراليون القدامى نزاعهم الخاص باغتصاب ملكية الاراضي . ولم تصبح جريمة السرقة ذات موضوع الا عندما تميز المجتمع الى طبقة غنية باملاكها ، وطبقة معدمة ، اذ اصبح للسرقة ما تستحقه من عقوبة قاسية .

اما الافتراء او القذف في حق الناس ، فقد كان من الامور التي تغيظ البدائي أشد الغيظ ، فليس أدعى لاستفزاز غضبه من ان يهان اسمه او تحط كرامته . وبين قبيلة الكفير مواد تختص بالنظر في هذه التهمة المدنية ـ ولدى قبيلة بانجندو الافريقية نظام اجتماعي لفض المنازعات ، يختص بمقتضاه بعض الرجال بوظيفة اقرار الصلح والسلام وحسم الخصومات . ولعل في وجود هذه الوظيفة ما يجعل صانعي السلام هؤلاء يلتمسون خلق المنازعات كسبا لارزاقهم

اما الجرائم التى تعتبر تعديا على سلامة الدولة او الاخلال بامن المجتمع كالتخلف عن الحرب ، او جرائم الاحتيال ، فلها من العقوبات ما يقترن بالازدراء والتعيير . فبين القبائل الامريكية ، تقطع ذراعا الجبان المتخلف عن الحرب ، او يحكم عليه بان يأكل بين الكلاب ، او ان تلقى على جسده السهام والحراب . اما الخائن فيذبح بلا رحمة ، او يربط في جذع شجرة ثم يقتل رميا بالرصاص اويقطع جسده اربا . وبالطبع قد عمل تطور اساليب الحروب على تحديد المواد القانونية للتهم المتعلقة بالحرب وعقوباتها . على أن تتبع مثل هذا التطور مرتبط تمام الارتباط بمراحل نشأة الملكية . فالقتال المستمر من جانب قبيلة من القبائل ـ كما في قبيلة الزولوس Zulus ـ يخلق حالة تستوجب تنصيب امير للحرب War-lord او قائد يملك في يده السلطة الدائمة . وهذا جانب من تاريخ نشأة الملكية .

على ان الطمأنينة التي يستشعرها البدائيون هي في اساسها طمأنينة روحية ـ اي الشعور بالامن وبالحرية من مخاوف القوى الغامضة والخطر من الارواح التي تملأ ـ في نظر البدائي ـ الكون باجمعه . ان الخوف من نحس الحظ هو الروح الشريرة التي تهدد كيانه ليلا ونهارا ومن أجل ذلك تصبح حياته مسيجة باسوار من المحرمات او اللامساسات Taboos والتابو (كلمة ميلانيزية تعني المحرم) هو كل شيء ينهي المرء عن فعله ، ويعتقد انه لو فعله لجلب له الشؤم والحظ التعس . لذلك كان من يقترف خطيئة من الخطايا او الامور المحرمة ، مطالبا بان يمسح عنه هذه الخطيئة ، والا كان عقابه المسح من المجتمع .

ويهمنا ان ندرك طبيعة تطور القانون

فالعلامة الفرنسي اميل دوركايم يفسر كل ضغط اجتماعي ـ ومنه انواع الضبط control ، على انه ظاهرة اجتماعية خارجة عن تصورات ضمائر الافراد .. اذ هم يخضعون لها بغير ان يشاركوا كافراد في ايجادها . ومع ذلك فهو يعود في بعض كتبه يؤكد ان الالزام الخلقي moral obligation انما ينبع من الباطن ـ بمعنى ان هذا الالزام شيء يشعر بضرورته الفرد ككائن اجتماعي أي ان القانون ينبع من الجانب الخلاق او التعاوني في الانسان .

ولعل وجود هذا الشعور الاجتماعي وضرورته وحيويته المتغيرة في الفرد والمجتمع على السواء ، كل ذلك يفسر لماذا تميل قيم الاخلاق والعرف والتقليد لان تتغير في المجتمعات . ذلك ان النظم الانسانية مفعمة بهذا الميل الشديد لان تجد لها حلولا عقلية ، وان تجد لها مسالك تستند على الترشيد .

وينظر جورفتش Gurvitch للمجتمع من هذه الوجهة الديناميكية . فالضبط الاجتماعي في صور القواعد والقيم والمثل العليا انما تشكله الخبرة الاجتماعية والسعي وراء أفكار وقيم جديدة ، وهو (اي الضبط) يختلف بالطبع باختلاف المجتمعات اذ ان تلك القيم تتشكل وتصاغ في الاطار الاجتماعي (او السياسي الاقتصادي العام) ، كالبورجوازية او الاقطاعية او الراسمالية او الاشتراكية وهكذا .

وليست التطورات قاصرة فقط على الناحية الجنائية . ان مالنياوسكي العالم الانثروبولوجي ليذكر في دراسة عن جزر التروبرياند ان القانون المدني في أساسه ، ليس هو بالضبط العرف او التقليد الذي وضعت له اللوائح والنظم ... بل هو عبارة عن شبكة من الالتزامات المتبادلة reciprocal obligations التي تحكم جميع العلاقات القبلية في كثير من المناسبات مثل الميلاد والموت والزواج . وهي العلاقات التي تمثل حقوق بعض القبائل ، وواجبات البعض الاخر ، بشكل تبادلي ، وبنظام يورث في تكوين مجتمعهم القبلي

ويفرق دوركايم بين نوعين من القوانين . النوع الذي يخضع له المجتمع البدائي ويسميه المجتمع الجزئي segmental society حيث يسلك الناس بموجبه سلوكا موحدا ، متشابها ومتماثلا وقد أسماه بقانون القمع repressive law ونوع اخر هو الذي يتكون بارتقاء المجتمع الذي اصبح يعيق التماسك والتكامل حيث انه (اي المجتمع) قد انقسمت أجزاؤه بسبب تقسيم العمل division of labour والميل الى التخصص .. فالمجتمع في هذه الحالة يسمى بالمجتمع العضوي organic society

---

مراجع البحث :

Anthropology by Marett

The Elements of Sociology by F. J. Wright

Anthropology by Calverton

سحر

في شهرها الثاني

ياطلة الاحلام •• يا ارجوحة النجوى الحنون
يا رفلة الناي الخجول مقبلا زرق العيون
يا طفلتي الشقراء••يا (سحري) المعطرةالجفون

•

أبدعت من (ماما) و (بابا) اغنيات ناعمه
فعبرت بستان الالوهة امنيات حالمه
ونشرت صبحا في القلوب المتعبات الواجمه

•

يا طيب ثغرك : أخضر الدفقات •• ثغرك أخضر
يا سحر وجهك •• بالاساطير الغنية يقمر
يا لهو جفنك •• هدبه قد طاب فيه المخمر

•

دنياك ، ما دنياك ؟ حضن دافىء ويد عطوف
ورنين موسيقا مفجرة واغفاء الطيف
وتسلق ثديا ودمع ان يغب عنه ذريف

•

كم انت شلال من الاضواء في عيني يصبُّ
كم انت في دربي : مطلات ، وامواه ، وعشب
طرزت بالانغام افقي فهو ، لولا فاك ، جدب

•

يا ويلتا لحمامة ما اطربت اذنيك
يا ويلتا لغزالة ما قبلت عينيك
يا ويلتاه لنجمة ما عطرت قدميك

•

(سحري) غدا ان تكبري اياك ان تنسي بلادك
قولي لها وتبسمي « هذا دمي فخذي قلادك
انا ، يا بلادي ، ثورة عربية ابني مرادك »

حلب — علي الزيبق

ويحتاج الى قانون يتحكم في العلاقات بين أجزائه وهذا القانون يسمى بالقانون التعويضي restitutive law

وبقي ان نذكر بعض الاراء بصدد العقوبة .

فهناك علماء اجتماعيون يرونها تعبيرا جزائيا ، اى انها تعبير عن السخط الخلقي للرأي العام . فبقدر درجة الجريمة تكون درجة العقوبة .

ومنهم من يرى ان العقوبة يجب ان يكون لها غرض اعم ، يفوق المشاعر الجزائية ، وهذا الغرض هو منع وقوع الجريمة .

وهناك فئة ثالثة ترى ان العقوبة يجب ان تهدف الى اصلاح المجرم وتهذيبه وتقويمه .

واذا اخذنا بالرايين الاخيرين فقط ، كان معنى ذلك ان العقوبة يجب ان تتجرد من الشعور الجزائي ، اي لاتهتم بسخط الرأي العام ، بل يجب ان تهتم بمنع وقوع الجريمة (او اصلاح المجرم) .

وهذه النظريات التي تقصد النفع للمجتمع تتجاهل حقيقة هامة هي ان النفع يجب الا يتعدى حدود الراي العام ومشاعر سخطه ، فالعقوبة اذا تعدت مثل هذه الحدود قد تقع على اناس ابرياء ويفلت منها المجرمون الاصليون .

لقد اصبح الهدف النفعي للعقوبة من الامور الاجتماعية الهامة لكل مشتغل بعلاج الجريمة ، او باصلاح السجون .. ولكن هذا الهدف ينبغي الا يخرج عن مشاعر المجتمع بخصوص الجريمة ، بل يجب أن تحدده هذه الاعتبارات الجزائية .

القاهرة — اميل توفيق

قصة تمثيلية

عندما تمرض الزوجات

بقلم الآنسة سميرة عزام

الفصل الاول

(غرفة الانتظار في احدى عيادات الاطباء) .

السيدة : اوه .. الحر فظيع .. كم اكره الانتظار .. (للممرضة) هل قلت للطبيب بانني انتظر ..

الممرضة : اجل انه يقابل المراجعين . بالدور الم يحدد لك الساعة الحادية عشرة موعدا ؟

السيدة : نعم ولكن ..

الممرضة : اذن فلا بد من الانتظار نصف ساعة اخرى ..

السيدة : قولي للطبيب .. بانه لا يستطيع ان يعامل كل الناس بهذه الطريقة .

الممرضة : اية طريقة يا سيدتي ؟

السيدة : هل يريدني ان انتظر مثل بقية الناس ؟.. انني مريضة.. لاستطيع الانتظار .. هناك مواعيد وهناك ايضا (البرستيج)

الممرضة : ماذا ؟..

السيدة : (برستيج) .. الم تسمعي هذه الكلمة قبلا

الممرضة : لا لا اظن ..

السيدة : هذه كلمة لا تقال في كل وسط .. لو كنت تعرفين معنى هذه الكلمة لادركت انه ليس من المعقول ان انتظر ..

الممرضة : لماذا يا سيدتي ..

السيدة : تسألين لماذا ؟؟ هل تتوقعين مني ان اعطيك محاضرة عن نفسي .. لا لا يهمني .. ان الاشياء لا تخفى .. اوه .. لقد ضاقت انفاسي انني .. انني مريضة .. اجل انا مريضة .. لا بد من ان اكون مريضة !!

الممرضة: هل بامكاني ان افعل لك شيئا؟

السيدة : اجل ان تغربي عن وجهي فقد بدات اتضايق منك

الممرضة : هكذا ؟ انك مضطرة للاسف ان تتحملي وجهي نصف ساعة اخرى

السيدة : . ولكنني مريضة .. ادخلي قولي للدكتور بان السيدة مريضة وانها لاتستطيع الانتظار .. وانها ليست ممن ينتظرون على الابواب .. كهؤلاء ..

الممرضة : يلوح لي ان مرض سيدتي لا يساعدها على شيء سوى الكلام .. حسنا بماذا تحس سيدتي يجب ان نقول للطبيب شيئا فقد يسمح بدخولك

السيدة : بماذا احس ؟.. وهل اعرف ماذا احس .. لو كنت اعرف لما اضطررت الى المجيء .. لقد الغيت زيارتي للمدلك والحلاق ..

الممرضة : اذا كيف عرفت السيدة انها مريضة؟

السيدة : لا تثرثري كثيرا .. لا بد من ان اكون مريضة .. مريضة بشيء او اشياء .. على فكرة ما هي الامراض التي يفضل الدكتور ان يتعاطى بها ؟

الممرضة : يتعاطى بها ؟.. لا افهم ماذا تقصدين ..

السيدة : .. وهل يبدو عليك انك تفهمين شيئا ؟ قلت لك من اي شيء يشكو زبائن الدكتور عادة .

الممرضة : تضحك .. اشكال والوان .. سكر ضعف قلب تصلب في الشرايين انهيار عصبي

السيدة : ما هذه الامراض السخيفة. اريد شيئا جديدا .. شيئا يستحق ان ادفع فيه الكثير انني مستعدة لان ادفع الكثير في سبيل مرض غير مبتذل .. ان كل الناس حتى الشحاذين اجل حتى الشحاذين يمرضون بضعف القلب وتصلب الشرايين والزكام .. اريد مرضا طريفا له اسم لاتيني .. (تضحكين ؟) معذورة انت لا تعرفين من انا

الممرضة : بل اعرف ان اسمك مسجل في مفكرة المواعيد

السيدة : وماذا يغني الاسم .. لقد رايت ثلاثة من زبائن الطبيب يدخلون قبلي . واحدا يلبس قميصا مقطع الازرار واحدة لا يمكن ان تكون اكثر من زوجة لسمسار .. واخرى لا ادري ماذا اقول عنها ، لعلها خادمة .. ومع ذلك فقد سجلت اسماؤهم بجانب اسمي اليس كذلك ؟

الممرضة : بل قبل اسمك يا سيدتي ، لقد حجزوا مواعيدهم قبلك (تضحك)

السيدة : ان لسانك لا يعوزه الطول.. لقد خدعت ، فقد كنت اعتقد ان الدكتور يتقاضى اجورا خيالية ..

الممرضة : ليس دائما .. في الواقع انه يعالج احيانا بالمجان !

السيدة : (تقفز مذعورة) ماذا بالمجان ؟ لا لا هذا كثير .. ماذا يظن بي .. بالمجان انني ادفع في الزكام اكواما من الليرات .. لقد تورطت .. اسمعي ايتها الممرضة امسحي اسمي لا اريد ان امرض.. يجب ..

[يفتح الباب ويطل الطبيب]

الطبيب : لمن الدور الان ؟

الممرضة : للسيدة .. ولكن يبدو ان السيدة مستاءة ..

الطبيب : مستاءة ؟.. آسف لعلي تأخرت ..

السيدة : .. التأخير واشياء اخرى.

الطبيب : تفضلي .. يا سيدتي انني افضل ان اتبع النظام فهذا افضل لي وللمراجعين ..

السيدة : النظام .. انكم تقتلونني بهذه الكلمة .. اي نظام هذا الذي يتيح للخادمات ان يتقدمن علي .. لعلك لا تعرفني يادكتور.

الطبيب : ـ بل اعرفك جيدا .. انني حريص على قراءة صفحة الاجتماعيات في الصحيفة اليومية من باب الترويح عن النفس .

السيدة : اوه .. لطيف اذن فقد عرفتني ..

الطبيب : .. اجل الست عضوا في

نادي الزرافة ؟..

السيدة : تقول عضوا ؟ انني الرئيسة. رئيسة « نادي الزرافة »، وعضو في « نادي الاسود والابيض »، وعضو في فريق التزلج المائي .

الطبيب : اذن فسيدتي رياضية ؟..

السيدة : ليس تماما ..

الطبيب :ماذا تعنين بليس تماما ؟

السيدة : انني لا انزلج .. ان العنف يسيء الى عضلات النساء .. انني احضر الحفلات فقط ..

الطبيب : لطيف .. هذا من حسن حظي فالمتزلجون ليسو من زبائن عيادات الاطباء ..

السيدة : انني اكره هذه الرياضة ولكنها رياضة ارستقراطية كما تعلم .. ان البرستيج يضطرنا احيانا ان نشترك في اشياء لا نحبها .. اوه .. ان الحياة لاتبدو مسلية دائما ..

الطبيب : مم تشكو سيدتي ؟..

السيدة : حسنا هذا هو السؤال .. لقد جئت هنا لالقي عليك السؤال

الطبيب : ان الفحص يقرر الجواب طبعا ولكنني اسألك عن الاعراض

السيدة : آه الاعراض !.. ماذا تعني بالاعراض ؟..

الطبيب : اعني على تحسين بالسم ؟ بظواهر معينة ؟ هل تتضايقين من شيء ..

السيدة : اجل انني اتضايق احيانا.. مثلا لقد تضايقت من الممرضة

الطبيب : ولكنها ممرضة ظريفة

السيدة : ظريفة عجيب كيف تسمون الوقاحة ظرفا ..

الطبيب : الا تعذرينها يا سيدتي فهي لا تقرأ اخبار المجتمع .. الا نعود لتشخيص الاعراض ؟

السيدة : حسنا .. قل أي مرض يحسن بي ان امرض ..

الطبيب : (يضحك) وهل هذه عيادة لبيع الامراض ؟

السيدة : وماذا يهمك ما دمت تقبض؟

الطبيب : سيدتي لا يمكن ان يكون المال هو الهدف الوحيد دائما !!

السيدة : اذن لماذا فتحت العيادة ؟ ولكن مهلا اريد ان اتأكد من شيء لقد قالت الممرضة انك تعالج بالمجان احيانا ..

الطبيب : هذا اذا كان زبائني يستحقون المساعدة ..

السيدة : فظيع .. انا ما جئت الا بعد ان قيل لي انك ممن يتقاضون اجورا خيالية ..

الطبيب : ولكنني سأكذب معك هذا الزعم انني يا سيدتي لا اتقاضى الا ما استحقه ..

السيدة : انت لا تفرحني بهذا الكلام .. كان يجب ان تدرك انني لست ممن يساومون انا ادفع الكثير اذا استطعت ان تقترح لي مرضا يستهويني

الطبيب : (يضحك) اذن فسأطلب منك ثمنا ترضين عنه

السيدة : لا ليس هذا هو المهم .. المهم ألا يكون معروفا عنك انك تعالج بالمجان .. لقد جئت لاستشير طبيبا في عيادة مشهورة لاطبيبامغمورافي مستوصفشعبي

الطبيب : اذن فمن سوء حظي انني احب ان اكون انسانا احيانا .

السيدة : اجل من سوء حظك الاتمكن من ان اكون زبونة .. فالمسألة مسألة برستيج .. وانا سيدة معروفة .. معروفة تماما .. رئيسة نادي الزرافة و..

الطبيب : (يكمل) وعضو فريق التزلج .. ونادي الاسود والابيض

السيدة : حسنا لقد عرفتني اذن .. فلا ضرورة لاقول لك من انا ..

الطبيب : ابدا فانا اعرفك تماما .. اعرف مثلا انك طردت جماعة قصدتك لتجمع بعض التبرعات لمنكوبي الزلزال ..

السيدة : هذا افتراء .. لقد كنت متعبة .. كنت ما ازال في فراشي بعد سهرة متعبة ، تصور انهم جاؤوني في العاشرة صباحا ..ما هذا ان اعصابي لا تحتمل كل ذلك

الطبيب : آه

السيدة : ومع ذلك فلا حق لك في ان تقول هذا عني

الطبيب : ادري يا سيدتي ولكنني كنت احاول ان اؤكد لك انني اعرفك تماما

السيدة : هذا يسمونه سوء ادب .. انت لا تحسن معاملة سيدة راقية صحيح ان التربية شيء لا علاقة له بهذه الشهادات الكثيرة التي تعلقها على الجدران

الطبيب : معقول .. فالحصول على الشهادات لا يسمح للرجل بان يكون دجالا من الطبقة الراقية

السيدة : افتح لي الباب . يجب ان انصرف . كان يجب الا اتسرع فاسعى وراء طبيب مغمور يعالج الخادمات

الطبيب : ومع كل ذلك فانا افتح لك الباب بكل ادب وارجو ان توفقي في انتقاء مرض ارستقراطي

(صوت السيدة وهي تبتعد) قلة ادب .. قلة ادب

الفصل الثاني

[السيدة نفسها في منزلها . تدخل عليها صديقة]

الصديقة : بونجور شيري..

السيدة : بونجور ، لقد توقعت ان تحضري

الصديقة : لقد افتقدتك في حفلات الاسبوع الماضي .

السيدة : انني مريضة كما ترين ..

الصديقة : مريضة ؟ ان وجهك لايبدو هكذا

السيدة : انت تكذبينني .. قلت لك انني مريضة وهكذا قال لي الدكتور .. مرض غريب لم يستطع الطبيب ان يشخصه ..

الصديقة : عجيب

السيدة : قال ان ظواهر مرضي شيء لم يصادفه قبلا..اوه ..سانادي الخادمة لتفتح النافذة (تنادي) هيلانه ، هيلانه ، افتحي النافذة.. اريد هواء منعشا

الصديقة : مسكينة .. لهذا اذن حرمت من الحفلات ..

السيدة : طبعا والا فما عسى انيكون السبب.. انني لا اتأخر عن شيء.

الصديقة : (تضحك بتخابث) تريدين الحق .. لقد ظننت ان السبب راجع لاشياء اخرى

السيدة : (بعصبية) اشياء اخرى ؟ ماذا تقصدين ؟

الصديقة : انت تعرفين ماذا اقصد

السيدة : تعنين تلك المرأة ..

الصديقة : اجل ..

السيدة : انا اهتم بواحدة مثلها ؟؟ واحدة تافهة مستهترة ..

الصديقة : ولكنها تحسن الاغاظة ..

السيدة : تغيظني انا ؟ انني لا ابالي بها .. انا حتى لم امنع زوجي من الذهاب الى حفلة الامس ..

الصديقة : وهل يطيعك لو حاولت ؟

السيدة : ها .. ها .. لا تنسي انني ذات الدور الاقوى في هذا البيت

الصديقة : ولكن زوجك يبدو كالطفل

المدلل ..
السيدة : هذا اذا اغدقت عليه من نقودي .. انني اعرف كيف اعاقبه حين اريد ..
الصديقة : لقد بدأ اللغط يدور حولهما
السيدة : انه غير مسئول .. اليكس رجل (جانتي) .. وهذه تطمع في نقوده .. هي التي تلاحقه .. ان اليكس مخلص. مخلص جدا..
الصديقة : ولكن الناس يقولون غير هذا
السيدة : الناس ؟ من هم الناس ؟.. قبضة من الثرثارين التافهين المفلسين ان بوسعي ان احطم هذه المراة في اربع وعشرين ساعة لو شئت
الصديقة : ولماذا لم تشائي ..
السيدة : انني مريضة ليس لدي وقت لاعالج سخافاتها .. انني مريضة اتفهمين ؟
الصديقة : افهم افهم ولكن الناس يقولون انك امتنعت عن الحفلات لانك تموتين غيرة.. تعرفين ان السنة الناس طويلة اكثر من اللازم
السيدة : انا اموت غيرة ؟؟ وممن .. من واحدة ساقطة ؟.. ارملة رخيصة افاقة مفلسة .. انني اعجب كيف يفتح المجتمع صدره لواحدة على هذه الشاكلة ! من تكون هذه حتى تستحق ان تكون عضوا في نادي الزرافة وعضوا في نادي الاسود والابيض ..
الصديقة : وعضوا في نادي الفروسية وفي جماعة اصدقاء البقر الهولندي .. وهي صديقة كل السفارات وكل دور الدبلوماسية. انها ناجحة . ناجحة جدا ..
السيدة : هيلانه هيلانه (تنادي الخادم) افتحي .. افتحي النافذة الاخرى ، واعطني علبة السجائر يجب ان ادخن .. مع ان مرضي لا يسمح (تشعل سيجارة) .
الصديقة : انت عصبية كثيرا يا عزيزتي
السيدة : بل مريضة . هناك فرق بين عصبية ومريضة. انك تثيرينني اليوم
الصديقة : متأسفة لقد اعتقدت انني اسليك بهذا الكلام
السيدة : اجل انت تسلينني .. فهو لا يدعو لاكثر من التسلية ، ولكنها تسلية على حسابي .. اسمعي لا اريد ، لا احب ، ان اسمع احد يتحدث عن اسمي مقرونا باسم تلك الساقطة .

الصديقة : هم لا يقرنون اسمها باسمك بل باسم زوجك
السيدة : هكذا على المكشوف ؟
الصديقة : هكذا على المكشوف ..انه يراقصها ويشاربها وقيل بانهما شوهدا معا في السوق وفي سباق الخيل .. وانه دفع في احدى حفلات الاسبوع الماضي خمسين ليرة ثمن وردة تزين بها صدرها .
السيدة : يا للكلب ..
الصديقة : والسنة الناس يا عزيزتي لا ينقصها الطول ..
السيدة : ولكن
الصديقة : ولكن ماذا .. ان الناس يبحثون عن قصة ، اية قصة يلوكونها وزوجك اسمحي لي ان اكون صريحة انسان يعوزه فن المداراة ..
السيدة : هل كانوا يغفرون له لو عرف كيف يستر علاقته بها ؟
الصديقة : اذن انت تعترفين بهذه العلاقة؟
السيدة : انا ؟. لا . انني اعقب على كلامك فقط . ان اليكس طيب ونزيه القصد .. تصوري لقد سأل عني اليوم ثلاث مرات في التليفون ليطمئن عن صحتي
الصديقة : طبعا يا عزيزتي فهو كزوج فوق الشبهات
الخادم : (الخادم تدخل) سيدتي لقد جاء عامل مصلحة التليفونات ليصلح الخلل .. وقال ..
السيدة : (بثورة) قال ماذا .. قلت لا اريد ان يزعجني احد في مرضي الا تفهمون .. (هنا تعي ما قالته الخادم فتنخفض طبقة صوتها) ماذا قلت؟ عامل التليفون؟
الخادم : نعم يا سيدتي .. فهو اعني التليفون معطل من الامس ..

[الصديقة تضحك]

السيدة : (تستمر في ثورتها) .. معطل ؟. لا ليس معطلا . اغربي عن وجهي ايتها الغبية .. كلكم اغبياء .. اغبياء و .. يا الهي انهم لا يدعونني استريح في مرضي
الصديقة: انت ثائرة الاعصاب ياعزيزتي
السيدة : ثائرة الاعصاب ومريضة.. طبيعي ..
الصديقة : لا يحسن بك ان تنامي في الفراش .. فهو يزيدك ضيقا.
السيدة : اعرف هذا ولكنها نصائح الطبيب ..

الصديقة : دعك من نصائح الاطباء .. انهم يبالغون دائما . معذورون يجب ان يعيشوا .. قلت دعك من الفراش .. يجب ان تحضري الليلة حفلة نادي الصيد ..
السيدة : لا لن اخرج .. سأظل في الفراش واليكس بجانبي..
الصديقة : اؤكد لك انك لو خرجت فسيظل بجانبك ايضا ..
السيدة : ماذا تقصدين ..
الصديقة : تلك الاخرى لم تعد تشكل خطرا فقد التقطت ضحية جديدة
السيدة : (بفضول) ضحية جديدة ؟
الصديقة : اجل سمعت بالمغترب الذي عاد من الارجنتين بعد غيبته ٢٥ عاما
السيدة : نعم نعم
الصديقة : انه يبعزق المال بلا حساب ويتحدثون فلا ينتهون عن مزارعه واسطبلاته وقصوره هناك ..
السيدة : نعم
الصديقة : لقد عرفت اللعينة كيف تصطاده.. لقد كانت بالامس تلبس قرطين ثمينين قيل بانهما هدية منه
السيدة : .. اذن ..
الصديقة : نعم لقد انتهى .. فقد نبذته تماما في السهرات الثلاث الاخيرة
السيدة : وكانت مع المليونير ؟ هل قلت بانه مليونير ؟
الصديقة : .. اي مليونير ؟ انه multi-millionnaires اجل كانت معه ثم خرجا معا لا ادري الى اين .. يقال بانه دعاها لتسافر معه الى الارجنتين ..
السيدة : لو قبلت فستستريح هذه البلد كثيرا .
الصديقة : (بضحكة) لقد كان منظر زوجك وهو يشرب وحيدا على البار داعيا الى الابتسام.. وتراهن الناس بانه سيظهر الليلة معك .
السيدة : هل راهنت انت ؟
الصديقة : سأكون صريحة واقول نعم!
السيدة : اذن فسأدعك تكسبين الرهان ..
السيدة : (تنادي على الخادم) هيلانه هيلانه اعدي لي الحمام .. يجب ان لا استسلم للمرض ان حماما ساخنا يفيدني كثيرا .. والحياة اقصر من ان نبددها في الفراش . اليس كذلك يا عزيزتي ؟؟

بغداد سميرة عزام

القمر

٥

نسجتَ الخيال وصغت الصورْ ... حقائق تشرق ملء البصرْ
خلعتَ على القفر حلم الربيع ... بما رحت تنظمه من درر
فأخصب قفر بسحر الخيال ... وفاض بدفء الحنان الحجر
فأيقظت غافي المنى في الصدور ... وحركت في كل قلب وتر
تجليت تنظر من حالق ... كأنك في الافق عين القدر
فقلب اليك تشكى الحنين ... وجفن اليك تشكى السهر
وأنت على الدهر لا تستجيب ... لعين بكت ولقلب زفر
ترفعت من شمم في السماء ... وحلقت في شاهق من كبر
بلغت الذي رمت من رفعة ... وهل رفعة عصمت من ضجر
شهدت على مسرح للقضاء ... ذئاب النفوس بثوب البشر
وأبصرت ما اجترحته الاكف ... من الاثم واقترفت من عور
جحافل ركب الزمان المغير ... تخدُّ الخدود وتبلى الحجر
أرى فوق خدك مثل السطور ... وأثر جبينك منها أثر
تقاذفك الدهر في ملعب ... كما صبية قذفت بالاكر
ورحت على مسرح للقضاء ... تجوب الفضاء وتطوى العصر
فحدث فعندك ما يشتهى ... لمستخبر رام صدق الخبر
شهدت الرواية من (آدم) ... وطالعت فيها جليل العبر
وهل كنت الا كتاب الزمان ... حويت بصدرك شتى السير
طلعت على الافق في جحفل ... مهيب من النور ملء البصر
كأنك مرآة هذا الوجود ... بما رحت تعكسه من صور
نسجت الخيال لاهل الخيال ... وجئت لاهل النهى بالسور
رفعت حجابا ومن دونه ... سدلت حجابا واشيا اخر
فكنت لنا واضحا غامضا ... وكنت لنا ظاهرا مستتر
فتنت القلوب ورعت البصر ... وشقت الورى بدوهم والحضر
تفرقت الناس عن فتنة ... شتاتا كسرب وراحوا زمر
وكم خافق طاش من وجده ... حنانا اليك وجفن سهر
رأيتَ مردَّ الصواب العقول ... وكان مرد الضلال العور
مراميك ابعد من ان تحدَّ ... وهيهات يعروك يوما خور
وسرك مستغلق كالزمان ... تطيش بخافي دجاه الفكر
سفرتَ وكل كما ذوقت ... مناه ارتضاك بذاك الوطر
رآك الشباب بأطماعه ... كما صوَّرتها رغاب الصغر
فكنت لهم زورقا ماخرا ... على الدهر ليس له مستقر
وقيثارة بين حضن المغيب ... لها من قلوب الصبايا وتر
وخالتك في الافق عين المشيب ... لفرط الوساوس لوح القدر
تعد على الناس انفاسهم ... وتحصي الذنوب على من عثر
وما كنت الا كتاب الزمان ... وعيتَ بصدرك شتى السير

دمشق ... عدنان مردم بك

منازع العلم الحديث : المادة

بقلم وولفانغ باولي

الحائز على جائزة نوبل للفيزياء

ترجمة يوسف اسعد داغر

✳

كانت المادة (١) وستبقى ابدا موضوع علم الفيزياء .
وعندما اتكلم(٢) عن «المادة» باعتبارها مظهرا اوليا من مظاهر طبيعة الموجودات ، انما اتوخى ، من كلامي هذا عنها ، ان ابين لكم كيف تم الكشف عن القوانين اوالنواميس الطبيعية التي تتحكم بالمادة ، موضوع علم الفيزياء وكيف يجري التوسع بها استطرادا من المعلوم الى المجهول . من الثابت الذي لا يواجهه الشك ، ان النواميس الطبيعية التي نكشف عنها ، والاراء التي نكونها حول واقع الموجودات او الكائنات المحيزة التي تفرض وجودها ، تدخل اكثر فأكثر في عالم الفكر او التجريد . فمن المرغوب فيه كثيرا ، حتى لرجال الاختصاص ، ان يتذكروا ان وراء هذه الصور او الرواميز التكنية والرياضية للافكار والاراء التي نبني عليها نواميس الطبيعة لا تزال الحياة تبرز على وجهها العادي كما نعبر عنها بلغتنا كل يوم . فالعلم ، اصلا ، ليس سوى تجريد منهجي لافكارنا العادية او لمعطيات الحياة ، كما تتبلور لنا ، فتعبر عن حقيقة اكثر عمقا مما يتراءى لنا من خلال واقعيات الحياة وصور الاشياء في صخبها وضجيجها والوانها المتمورة . كذلك يجب الا ننسى ، من جهة ثانية ، بان هذه الواقعية الابعد عمقا ، لا تصلح ان تكون موضوعا للفيزياء ، يختلف عن موضوع الرياضيات المطلقة او التجريدات المطلقة ، اذا كانت الروابط التي تربطها بواقع الحياة اليومية غير متصلة او مقطوعة تماما .

لنأخذ مثلا على ذلك النواميس الاساسية التي تخضع لها الميكانيكيات هذه النواميس التي يمكن لنا ان نسميها كلاسيكية او نيوتونية وقد كانت مجهولة تماما قبل اكثر من ثلاثمائة سنة . ينص قانون الاستمرار او التصور الذاتي Laws of inertia على ان الاجسام تتحرك بسرعة مستمرة في اتجاهها وحجمها ان لم تصدمها عوائق خارجية عنها . والجديد في هذا القانون انه احدث انقلابا جذريا عندما اتضح للناس وعلموا ان الحركة المتناسقة Uniform movement هي الوضع النهائي او الاخير الذي ينتهي اليه الكائن المتحرك ، عندما ينقطع عنه المحرك الخارجي المسبب لحركته المرسومة . وهذا المبدأ الجديد ، يغاير تماما الاراء التي سادت قديما والتي كانت تؤكد ان في ارتفاع او انقطاع العلة المحركة او السبب المحرك ، يقع السكون او الجمود ، وان كل سرعة حاصلة عن علة مسببة لها . ومن الامور التي تبعث من جهة اخرى على التساؤل اكثر من غيرها ، في وقتنا هذا ، القول بحركة الاجسام المتناسقة دون القول او الافتراض بوجود اجسام اخرى تتحرك . وبعد دروس عويصة وابحاث دقيقة وتحقيقات استطالت الى القرن الماضي كله ادى الجواب على السؤال السابق الى تحديد جديد لنواميس الجاذبية على يد انشتاين (٣)

لنعد ، وفقا لروح العلوم الميكانيكية الكلاسيكية ، الى تلك المشكلة التي تطلع علينا ، وهي : كيف ان العلل الخارجية تؤثر على الاجرام في حركتها وقد سبق لنيوتن فسمى هذه المسببات الخارجية « قوى » وحددها بكونها : حاصل ضرب الكتلة بالتسارع Mass times acceleration لنسلم جدلا ، تبسيطا للامور ، باننا ندرك تماما ماهية التسارع . فالتحديد المذكور لا بد له ان يفضي بنا ، على ما يظهر ، الى حلقة مفرغة : فالقوة تحدد بالكتلة والكتلة بالقوة . ان حلا من هذا الشكل ، لا بأس به كما يبدو لنا لاول وهلة ، اذا ما نظرنا للقانون الاخر الذي وضعه نيوتن عندما يقول ويؤكد: « ان الفعل ورد الفعل هما متكافئان ومتعاكسان معا . وهذا التوضيح انما يعني ان مجموع كل القوى والعلل المؤثرة في جهاز منغلق او مطبق هو بالنتيجة صفر . وهذا الحكم انما يؤدي الى النتيجة التالية وهي ان هنالك شيئا يبقى ويستمر في الزمان ، وخصوصا حاصل السرعات مضروبة بكتلها في الاجسام الموجود ضمن جهاز مغلق مهما كان اتجاهه .

وعلى هذا يبدو لنا اننا تقدمنا بضع خطوات في اتجاه التجريد العقلي او النظري وهي عملية تلابس اصلا

---

(١) نحن مدينون بترجمة قسم كبير من المصطلحات والتعابير العلمية الصرفة الواردة في هذا المقال للصديق الكريم الاستاذ نقولا شاهين ، استاذ الفيزياء في كلية الهندسة في الجامعة الاميركية في بيروت ، الذي يجمع الى ثقافة علمية مشهود له بها ثقافة عربية عريقة. فليتقبل هنا شكرنا العميم

(٢) وولفانغ باولي Wolf Pauli **١٩٠٠ ــ عالم فيزيائي مشهور ، ولد في فيينا وعلم في زوريخ ١٩٢٦ ــ ١٩٤٠ . انضم منذ عام ١٩٤٠ الى معهد العلوم العالية في جامعة برستون . نال جائزة نوبل للفيزياء عام ١٩٤٥ .**

(٣) البرت انشتاين Alb. Einstein **(١٨٧٩ ــ ١٩٥٥) عالم الماني الاصل والمولد من اكبر واشهر والمع علماء الطبيعة في كل زمان ومكان . ولد في مدينة اولم ، ثم تجنس بالجنسية السويسرية وهو ابن ١٥ سنة . علم في زوريخ ، ثم في الجامعة الالمانية في براغ ثم دعته اكاديمية العلوم الالمانية في برلين حيث علم في الجامعة وعاد الى جنسيته الالمانية الاولى . رأس معهد القيصر للفيزياء . فر من المانيا عند وصول هتلر للحكم وجاء اميركا وانتخب عضوا في معهد الابحاث العالية في جامعة برنستون حيث اعتنق الجنسية الاميركية . من تعاليمه**

مواضعات حياتنا اليومية . فالكتلة التي تقوم عادة بالاوزان ومعيارها المكيال او القياس ، أصبحت بذلك عبارة عن تجريد لمعدل قياس السرعات المحدودة على شكل معين بحيث ان الحاصل يبقى هو هو . ثم يتحتم على المرء بعد ذلك ، ان يأخذ بعين الاعتبار ما بين الكتلة والسرعة من علاقة قائمة .
واود ان اقرر هنا ان حاصل ضرب الكتلة بالسرعـــة Product of mass & velocity هو الزخم Momentum والزخم ، كالسرعة ، هو الاخر كمية موجهة ، تدعى عندهم فكتر Vector او الكميات الموجهة . وتلك القوة التي كان عمادها فيما مضى الجهد المادي او العضلي تؤديه عضلات الجسم ، اصبحت الان شيئا حاصلا من ضرب الكتـلة بالتسارع Mass times acceleration وهذه القوى يجب ان تحدد ويعرف بها بشكل من الاشكال ، وذلك عــلى ضوء علاقتها او ارتباطها ببعد الاجرام او الاجسام ، بحيث يتاح لنواميس الميكانيكا المسلم بها التثبت من صحتها بالتجربة والاختبار ، كما حدث تماما لحركة الاجـرام السماوية الخاضعة لتأثير ناموس الجاذبية ، هذا الناموس الناتج عن القانون المعروف بـ « التناسب العكسي لمربـع المسافة » الذي وضعه نيوتن Inverse square law

ومهما كانت هذه القوى في مظاهرها ، فهي نتيجة مباشرة للقوانين الميكانيكية التي توجب على الاوضـاع الاولية وحدها ، ان تعين حركة كل جسم وجرم اذا كـان كل من الوضع والسرعة او زخم الاجسام ، يتوفران في الحالة الاولية ، في فترة ما او وقت معين . ولـكي يستطيع المجرب الارضي اختبار قوانين الميكانيكا الكلاسيكية او النيوتونية ، عليه ان يختار الحالات الاولية على الاساس الذي يريده من الاختبار والتجربة ، بينما يتوجب علـى الراصد للظواهر الفلكية ان يستفيد من مختلف الحالات والاوضاع التي تعرض لها جميع الاجرام السماوية في الفضاء على اختلافها .

ونتيجة منطقية للنواميس الميكانيكية النيوتونية ، لا يزال هنالك كمية قائمة ، ندعوها « الطاقة » Energy وهذه الطاقة تتالف من عنصرين ، اولهما « الطاقـــة المركزيـة » Potential Energy وهي نتيجة وضع او حالة الاجسام التي تساعدنا على تحديد القوى وتقويمهـــا . ومجموع القوتين واحد في الزمان . فالطاقة ، بعكـس الزخم ، لا اتجاه لها .

وقد وجد الكيماويون قانونا اخر يتعلق بالحفظ والبقاء ، هو قانون حفظ الكتلة The Law of the Conservation of Mass في رد الفعل او التفاعل الكيماوي . الا ان انشتاين ، اثبت بتحليله الدقيق للقوانين التي تخضـع لها الكهربائيـــة والمغنطيسية ـ وهذه القوانين طبقها مكسويل (٤) علـى البصريات وفيزياء الضوء ايضا ـ على ان هذين القانونين الخاصين بالحفظ والبقاء ، ليسا في الحقيقة سوى قانون واحد . فعندما تتحول الطاقة ، تتحول الكتلة ايضا ، تبعا لذلك . ومع ذلك فالتغيير طفيف جدا يكاد لا يؤبه له ، اذ ان العامل المشترك هو مربع سرعة الضوء The Square of the Vlocity of light وهو يتطلب تغييرا كبيرا في الطاقـــة لاحداث تغيير في الكتلة يمكن قياسه وتقويمه .

كل هذا انما يعني الان خطوة حاسمة مهمة في عملية التجريد في كل ما يتصل بالمادة نفسها . وقد حق لنا ان نتساءل هنا : وما هي المادة Matter يا ترى ؟ فالورقـة التي ارسم عليها هـذه الحروف والـكلمات ، مادة هي . والهواء الذي اتنشقه واعب منه عبا مادة هو الاخر ، حتى الضوء نفسه لا يخرج في صميمه عن كونه مادة هو ، كما يتضح جليا من الكشوف العلمية التي حققها اينشتايـن فللضوء : الكتلة والوزن . فهو من ، هذه الناحية ، لايختلف كثيرا عن المادة في ما استقر في علمنا من مفهومها المادي ، وله منها حتى الطاقة والزخم . والفرق الوحيد الـذي يميزه هو ان الضوء لا يستقر ابدا . فهو في حركة متصلة دائمة بما له من السرعة الواحدة المميزة .

المعت من قبل ، الى قوانين الكهرطيسية . فهل هذه القوانين هي نتيجة محتومة للنواميس الكلاسيكية التي وضعها نيوتن للميكانيكيات ؟ لا لعمري . فهي تختلف عنها نوعا ودرجة بالرغم مما بينها من مقارنات ومشابهـــات ومحاكاة اساسية تتعلق بأثرها الكامل المفروض على مجرى المظاهر بالنسبة للحالات او الاوضاع الاولية . فمنذ عهـد فراداي (٥) ومكسويل صرنا نتكلم عن «المجال» Field فما هو « المجال » يا ترى ؟ اننا نرى انفسنا هنـا امـام تجريد جديد لفكرة تلازمنا كل يوم من ايام حياتنا . فالمجال شيء مستمر في الزمان والمكان ، له صفاتهما الفيزيائية الكاملة ، يتغير ابدا ودوما بتغيرهما ويتحول بتحولهما . فما هي لعمري ، حقيقة هذه الصفات الفيزيائية ؟ فالجواب كما يراه العلم الحديث ، هو ان هذه الصفات الفيزيائيـــة لا تؤثر بشيء . وجل ما احتاج اليه ذريعة تمكن من قياس هذه الصفات ومدى او نسبة تغيرها المستمر . هـذا هو « المجال » بعينه .

اما في القرن الماضي فكان الجواب الذي يعطى لنـا ، شيئا يختلف تماما عن هذا ، اذ كان يفرض بأن تـكون هذه الصفات المحيزة ميكانيكية يمكن التثبت منها : كالتشوهات ومناقب العروق والفصائل والسلالات ، ولو كانت وسائط فكرية او نظرية ، انما تبقى ميكانيكية في كل حال . غير ان العلماء الفيزيائيين صرفوا شيئا فشيئا النظر عن الافتراض المادي او الميكانيكي . ان وصفا علميا موضوعيا لم يعـد بالضرورة وصفا ميكانيكيا في الزمان والمكان المطلقين ، بل ا ستحال وصفا اكثر تجريدا لظواهر الاشياء ، تبنى عملية التجريد فيه على مركز الدلالة Frame of reference ومهما يكن من نظرية مركز الدلالة هذه ، فالنواميـس الطبيعية واحدة هي . ان حركة عادية متناسقة يرسمها راصد ما او جهاز ما ، لا تؤثر بشيء على المظاهر البـارزة

ونظرياته ، النظرية النسبية ، كما جاء بنظرية جديدة غيرت كثيرا مـن مبادىء الكهرطيسية وقانون الدفع والجذب . من مؤلفاته : « معنـى النسبية ١٩٢١ ، وبناء الكون » ١٩٣٢ ، و « منهجية الفيزياء النظريـة » ١٩٣٣ ، و « ولماذا الحرب » بالاشتراك مع فرويد ، و « العالم كمـا اراه » ١٩٣٤ ، «وتطور الفيزياء » بالتعاون مع انفيلد ١٩٣٨ .

(٤) جيمس كلارك مكسويل J.C. Maxwell (١٨٣١ ـ ١٨٩٧) عالم فيزيائي مشهور ، من ابرز والمع علماء الفيزياء في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، اسكتلندي الاصل ، تخرج من جامعتي ادنبـره وكمبريدج . علم الرياضيات وعلم الفلك في كلية الملك في لندن ، كما علم الفيزياء التجريبية في كمبريدج ايضا . له ابحاث دقيقة حـول رؤية الالوان وعمى الالوان . عمل وبحث كثيرا في حقل الكهرطيسيـة . من كتبه المهمة : « الكهرباء والمغنطيسية » ١٨٧٣ .

بل ان حركة تسارعية نفسها حسبما يؤكده اينشتاين تعادل لمجال تجاذبي. لن احاول هنا ان اشرح لكم الاراء الرياضية التي ترتكز اليها «النظرية الجماعية» Group theory التي جاؤوا بها للتعبير بدقة عن هذا التساوي او التوافق، هذه الاراء التي تعبر اليوم عن الاسس الركينة التي تقوم عليها الفيزياء الحديثة، والتي لم يتمكن العلماء للان على ما ارى، ان ينفضوا منها كل ما تخبؤه من الفوائد الاكيدة. وجل ما اريد ان اؤكده هنا بايجاز، ان هذا الباب من الرياضيات هو ايضا من باب التجريد لاختباراتنا اليومية، كما نفعل تماما في تجريد عملية التمييز بين اليمين والشمال. ولكي يستطيع اينشتاين تطبيق قانون تعادل التسارع والجاذبية The equivalence of acceleration gravitation اضطر لايجاد مجال جديد لنظرية الجاذبية شبيها من جميع الوجوه بالمجال القديم المتعلق بالنظرية الكهرطيسية، مضيفا اليه فكرة عدم تغير قوانين الطبيعة ونواميسها بالنظر لتحول العوامل الفضازمنية Space-time coordinates باعتبارها كميات دائمة التغير بالنسبة لمراكزها Contenuously varying numbers coordinated to the points

وعند هذه النقطة بالذات من تطور المبادىء العامة للفيزياء علينا ان نواجه هنا السؤال المزمن وهو: هل هنالك حد ام لا، لقابلية انقسام المادة؟ Divisibility of Matter وبعبارة اخرى، هل المادة، في نهاية الشوط، مستمرة دائمة، او منقطعة منفصلة؟ فالتجربة والاختبار جاءت تؤيد وجود وحدات اخيرة نهائية للمادة، مؤيدة في ذلك اراء ونظريات العلماء الاغريق الذرين القدامى. اما علماء الكيمياء المحدثون، فقد وجدوا ان القول بوجود دقائق او جزيئات Molecules ثابتة تقوم عليها المادة وتنهض بها، هو ابسط الحلول لامكان وصف التحولات والتفاعلات الكيماوية. ولم يستطع علماء الفيزياء من وضع المقاييس والموازين الدقيقة اللازمة لتبيين هذه الذرات وتحديد عدد هذه الدقائق المقومة للمادة في مظهرها الاخير، الا في القرن التاسع عشر الماضي. فقد استطاعوا ان يحصوا بدقة كلية الرقم الاساسي او الاصلي Key number للذرات الحقيقية التي تتألف منها الوحدات الكيماوية Chemical units

يتبين من طبيعة مظاهر التفاعلات الاشعاعية The radio-active phenomena على ان الذرات الاصيلة او «الذرات المفتاح» التي تقوم جوهر المادة الكيماوية تتألف نسبيا من نواة دقيقة للكهرباء الموجبة، محاطة بجزيئات كهربائية سالبة تسمى عندهم «الكترونات» Electrons او كهيربات. وهذه النواة هي اشبه ما تكون بالشمس تحف بها السيارات والاقمار. وقد دلت التجارب التي اجريت فيما بعد، على ان هذه النوى التي هي اثقل بكثير من الالكترونات، قابلة بدورها للتحول والتغير وهي تتألف من جزيئات اكثر لطافة ودقة يسمونها «نيوكليون» Nucleons او نسيمات نووية. وهذه النسيمات النووية او النيكليون هي بدورها على نوعين: «البروتون» ذو شحنة كهربائية موجبة و «النيوترون» غير المشحون بالكهرباء، وكلاهما: أي البروتون والنيوترون، من كتلة واحدة. لا اود هنا ان اذكر شيئا عن «الميزونات» Mesons التي تكثر في الاشعة الكونية والتي امكن فيما بعد اصطناعها وتوليدها مخبريا، بكتلات وسط بين كتلة الالكترون والبروتون. وان ذكري هنا لـ «لبوزيترون» Positrons فلماما او عرضا ليس الا. وهذه «البوزيترونات» لها كتلها المتعادلة، انما هي من شحنة كهربائية مضادة لشحنة الالكترونات. فاذا ما تلاقى او اصطدم البوزيترون والالكترون بعضا ببعض، اباد احدهما الاخر وا متحالا معا شعاعا كهرطيسيا وهذا الشعاع يستطيع بدوره بما له من طاقة، ان يخلق، بصورة عكسية الكترونات وبوزيترونات، باعداد شفعية.

فاذا ما اخذنا بعين الاعتبار كل هذه التحولات، فما عسى ان يبقى لعمري، من المفهوم القديم للكتلة او المادة Substance الجواب هو الطاقة. هذا هو الجوهر الحقيقي الذي يبقى ويدوم. وجل ما يظهر عليه من تحول هو الشكل او المظهر الذي يبدو فيه. هنالك كمية اخرى، تستمر هي الاخرى وتبقى، ولكن على عكس الطاقة. فهي تظهر على وجهين مختلفين: موجب وسالب، يعرفان بالشحنة الكهربائية. وهذه الشحنة ليست فقط تبقى وتستمر بل انها تظهر بشكل ذري صريح واضح. ان كل شحنة كهربائية تقع في الطبيعة، تعادل حاصلا يساوي عددا صحيحا Integral multiple لرقم ما، هو الكم الكهربائي الاولي The elementary quantum of electricity الذي لا نعرف للان لماذا يظهر على هذا الشكل. فالنظرية العلمية افترضت الواقع المحيز وسجلته، الا انها لم تستطع ان تفسره للان.

وهذه القضية ترتبط ارتباطا وثيقا بمظاهر الطبيعة الاخرى التي تدخل تحت ما يسمى عندهم بـ «كم الفعل» Quantum of action الذي اخترعه بلانك (٦). فقد وجد هذا العالم الفيزيائي الذائع الشهرة، ان قوانين الاشعاع الكهرطيسي Electro magnetic radiation ومن بينها الضوء، في توازنها الحراري مع المادة العادية، لا يمكن تفسيرها او شرحها الا عن طريق فرضية جديدة تتعلق بالقيم الممكنة للطاقة المشعة ذات ذبذبات معينة Of given frequency وهذه القيم او الاعداد لا بد لها ان تكون اعدادا صحيحة Integral Multiples لعدد ما معين يتناسب وتلك الذبذبات Proportional to frequency ان الثابت العام

---

(٥) ميكل فاراداي M. Faraday (١٧٩١ — ١٨٦٧) احد اعلام الكيمياء والفيزياء في انكلترا. صحب السير همفري دايفي في رحلته عبر القارة الاوروبية مطوفا بين بلدانها. علم الكيمياء في المعهد الملكي. له اختراعات عظيمة في حقول العلم ولا سيما في الفيزياء والكهرباء من كتبه ومؤلفاته المعروفة: «ابحاث تجريبية في الكهرباء» (١٨٤٤ — ١٨٥٥) — «ابحاث تجريبية في الكيمياء والفيزياء» ١٨٥٩ — «محاضرات حول تاريخ الكيمياء للشمعة» ١٨٦١ «حول القوى الطبيعية على اختلافها».

(٦) ماكس كارل ارنست لودفينغ بلانك Max Karl Ern. Ludw Planck ١٨٥٨ — ١٩٤٧ عالم فيزيائي مشهور الماني الاصل والمولد، ومن ابرز والمع العلماء الفيزيائيين في النصف الاول من القرن العشرين. ولد في مدينة كيل وعلم في برلين. هو صاحب نظرية «الكم». نال جائزة نوبل للفيزياء عام ١٩١٨ قام بابحاث دقيقة حول اشعاع الاجرام المظلمة، كما قام بابحاث عويصة حول الترموديناميكس والميكانيكيات والمسائل الكهربائية والبصرية التي تمت بصلة للاشعاع الحراري ونظرية الكم.

النسبي The universal Constant of proportionality المنصوص عنه هنا ، انما هو « كم الفعل » بالذات الذي يفرض وجوده بلانك . فمن الخير ان نذكر هنا ان «الفعل» هو عملية تجريد جديدة للميكانيك الكلاسيكية اوالنيوتونية ويتأتى على الاخص كحاصل لضرب الطاقة بالزمن A quantity with the dimension of energy times time وهذه النظرية او الفرضية الجديدة حلت محل نظرية « الفعل النوعي » qualitative concept of action التي تعرض لنا في كل يوم من ايام حياتنا العادية . وهذه الفرضية الجديدة ادت الى القول بفكرة الفوتونات photons او « الكم الضوئي » الذي هو عبارة عن جزئي ضوئي له ملء الطاقة والزخم Momuntuni في الفضاء ، بحيث ان كتلته بكاملها يمكن عبها وامتصاصها او بثها في وقت واحد . هنالك ، مع ذلك ، مظاهر مرئية او بصرية اخرى تعرف عندهم بظاهرات « التداخل والتفريق » Interference and diffraction phenomena التي لا يمكن شرحها او تفسيرها الا « بالصورة الموجبة » wavepicture وقد كان لزاما علينا القيام بتحليل اعمق لننجو من هذه المتناقضات . والغريب جدا في هذا كله ، ان الامر اصبح الان ممكنا بالنظر الى ان الالكترونات او الكهيربات ، اسوة بغيرها من الجزيئات المادية الاخرى ،تنعم هي ايضا بالخصائص الموجية wave properties عدا ما لها من خواص الدقائق particles properties اسوة بالضوء نفسه الذي لدقائقه ايضا خواصها المفردة ، الى جانب خواص الصورة الموجية wave properties

وهذه المتناقضات التي نلاحظها في « كم الفعل » جعلت من الذرة شيئا يختلف تماما عن اغراض الميكانيك النيوتونية ويشذ عنها . صحيح ان التأثير الذي تحدثه ذرة واحدة يمكن للعين ان تتبينه عن طريق تفاعلات جماعية متتالية Collective or avalanche effects آخذ بعضها برقاب البعض الاخر ، وذلك بواسطة جهاز مناسب معد لهذه الغاية . يجب الا يغرب عن البال قط ، اننا هنا امام واقع محيز غير منظور Invisible reality تبدو خطوطه جوهرية وان كانت تصبح مهملة على الاقل لا شأنا عمليا لها في الاجرام المجسمة التي ترى بالعين المجردة Macroscopic objects . والفضل للعالم بوهر(٧) نفسه الذي عرف ليس فقط ان يوسع اراء بلانك ويبسطها بحيث جعل منها نظرية قائمة هي نظرية « التركيب الذري» Theory of atomic structure « والخطوط الطيفية » Spectral lines بل عرف ايضا ان يخرج منها بالنتائج النظرية Epistomological Consequences للميكانيكا الموجية Wave mechanics او Quantum mechanics التي ازالت منذ عام ١٩٢٧ ، المتناقضات العقلية Logical contradiction من التفسير النظري « للظاهرات الكمية » Quantum phenomena وهذه النتائج ليس من السهل ، وايم الحق ، تفهمها واستساغتها بيسر . ان وجهة النظر المعروفة عندهم ب « الاضافية » Complementarity التي جاء بها بوهر وغيره من العلماء الذين نهجوا نهجه ، لهذه الغاية بالذات ، لقيت بين لفيف العلماء من عارضها وناهضها ، مع العلم ان السواد الاعظم بين الفيزيائيين ، تبنوها وقالوا بها .

ولكي تفهم تماما ما معنى « الاضافية » هذه ، عليك ان تتصور اجساما ماضية في حركتها المستمرة في الحين الذي تنظر انت اليها فيه بواسطة جهاز يستطيع ان يحدد بالدقة المطلوبة مركزها او موقعها . ولا يغير في الامر او يبدل منه شيئا ، اذا كان بوسعك ان تضبط هذه الحركة وتقومها ، فتقوم بذلك وتحدد بصورة نظرية طبعا ، الاضطراب الذي يحدث خلال عملية القياس او التقويم هذه . ولكن ما عسى ان يحدث لو كان هذا الاضطراب لا يمكن ان يقع تحت الاشراف العلمي مبدئيا ؟ فاذا ما ادت هذه القياسات الاختبارية لهذا الاضطراب ، الى وضع آلة او مقياس جديد يضبطه ، ادت تفاعلات المقياس الجديد مع الموازين القديمة ، الى اضطراب جديد لا يمكن حصره والتحكم به مبدئيا .

هذا هو بالفعل ما آلت اليه محدودية او تناهي « كم الفعل » The finiteness of the quantum of action فالمرء يرى نفسه هنا ، كما سبق لهيزنبرغ (٨) واوضح ذلك لاول مرة ، في وضع رجل يواجه ورطة او يتخبط حيص بيص . فهو بين التضحية والاختيار في جيرة ظاهرة . وهذا الوضع يفرض ، من جهة القائم بالبرهان الاختباري ، شيئا من الحرية ليختار الموقف الذي يقفه من هذه التجربة ، بين عدة مواقف تعرض له ينافي احدها الاخر . وهذه الحالات الاولية المتفرعة عن قانون القصور الذاتي Inertia في الميكانيكا الكلاسيكية التي تقول بالمركز Position والسرعة Velocity والزخم Momentum تبدو الان زوجا حقيقيا من المتضادات تتألف من كميات مستقلة Independent quantities ووفقا لهذه النظرية ، يمكن ان نعين لكمية ما من هذه الكميات ، قيمة محددة بدقة ، وذلك في الحالة التي تكون فيها الكمية الثانية فقط غير محددة القيمة مبدئيا ، بحيث يشير كم الفعل الى حاصل ضرب الكميات غير المحققة بالكميتين المذكورتين . ولما كانت هذه اللامحدودية Indeterminacy عنصرا لا بد منه في الدور الاولي لكل نظرية جديدة مفرض فيها ان تكون ، على اقل تعديل مطابقة للقوانين الطبيعية الجديدة تعذر والحالة هذه ، ادخال أي تحسين او تطوير على الطريقة الجديدة ، كما حدث في الميكانيكا النيوتونية .

فالنظرية لا تنبىء بغير نتائج الاحصائيات التي يفضي اليها اختبار يأخذ مجراه ، عندما يعاد الاختبار ذاته في حالة معينة بالذات . واسوة بحادث نهائي لم يتأت عن مسبب ما ، لا تقع نتيجة القياس الفردي ضمن نطاق النواميس المعترف بها . وهذه هي الحالة التي يجب ان تتوفر اذا ما نظرنا الى الظاهرات الكمية او الميكانيكا الموجبة

---

(٧) نيلز بوهر Niels Bohr ١٨٨٥ ـ عالم فيزيائي دانيماركي علم في جامعة كوبنهاغن ورأس فيها معهد الفيزياء النظرية . قال بنظرية خاصة للتركيب الذري عرفت عندهم : « بنظرية بوهر » يعترف فيها بما للذرة من اثر ديناميكي ناتج عن الكترونات تتحول في مداراتها مع نواة الذرة . وهو اول من طبق نظرية الكم على التركيب الذري .

(٨) هيزنبرغ Vermer Heinsenberg ١٩٠١ ـ عالم فيزيائي الماني ، استاذ الفيزياء النظرية في ليبزيغ . قام بابحاث دقيقة حول التركيب الذري . حاول تطوير الميكانيكا الموجية ١٩٢٥ ونادى بمبدأ اللامحدودية Indeterminacy نال جائزة نوبل للفيزياء عام ١٩٣٢ كان ابوه اختصاصيا بالتاريخ البيزنطي والحضارة البيزنطية .

باعتبارها عملية quantum or wave mechanics
تعميم عقلية للميكانيكا الكلاسيكية او النيوتونية التي تأخذ بعين الاعتبار محدودية كم الفعل The finiteness of the quantum of oction ان المرجحات التي وجدت طريقها في النواميس الجديدة يجب اعتبارها بدائية أي انها لا تستنتج من القوانين الكلاسيكيـــة النيوتونيـــة
Deducible from deterministic laws Primary probabilities
وكمثـــال على هذه الاحتمالات الاوليـــة فاني اذكــر هنا ان الوقت الــذي تخضـع فيـه ذرة مـا لتفاعـل معين ، يبقى معدل حدوث رد الفعل في مجموعة كبيرة من الذرات ، غير محدود حتى في الحالات التي يتضح فيهـا بصورة عملية .

وعلى هذه القواعد تم التغلب على ما يبدو من تناقض بين الصورة الموجبة والجزيء ، منذ ان كانت علاقـــة اللامحدودية Relation of indeterminacy الملازمة لقوانين الطبيعة تجعل الاختبارات المتخذة للكشف عن خواص الموجات في جسم ذري ما ، والتجارب الاخرى المراد منها الكشفعن خواص الدقائق ، تتنافى معا بالاشتراك المتبادل.

وهذا التغير انما يقصد منه ان يتيح لنا النظر فـــي الامكانية المنطقية او النظرية Logical possibility لعملية تجريد جديدة اوسع واعمق . وهذه العملية التجريدية الجديدة تأخذ بعين الاعتبار المختبـــر الراصد ، والجهاز الـــذي يستخدمه في اختباراته ، خلافا للطريقة المتبعة من قبـل في الفيزياء الكلاسيكية ، وفقا للنظرية النيوتونية او لنظرية مكسويل انشتاين . وفي عملية التجريد الجديدة هذه، لم نعد لنفرض مختبرا او مجربا معزولا ، كما يحصل مثــلا في هذه التجريدات الخاصة بهذه النظرية من النـــوع الكلاسيكي ، بل مختبرا يحدث بتأثيره غير المحدد ، وضعـا جديدا يوصف عقليا بكونه وضعا جديدا للنظام الجاري رصده . وعلى هذا تبدو عملية الرصد هذه بمثابة ابراز نتيجة حقيقية خاصة ، تتحيز في الزمان والمكان ، وتبـرز مستقلة عن الامكانيات النظريـة Theoretical possibilities وتوضح بالتالي نظرية عدم الاتصال في الظاهرات الطبيعية
The discontinuous aspect of the physical phenomena

يبقى مع ذلك ، في هذه النظرية التي هي من نــوع جديد ، « حقيقة موضوعية » Objective reality على نسبة ما تجرد هذه النظريات المختبر من امكانية التأثير على نتائج القياس ، بعد ان يكون اختار لنفسه الموقـف التجريبي الذي يلائمه . ولذا ، فالصفات الخاصة التــي تميزبها مجرب فرديما ، لا تدخل في الاطار العقلي للنظرية The Conceptual framework of the theory بل على عكس هذا تماما ، فهي تصف الظاهرات وفقا للمقياس المجهري On the microscopic scale of Atomic objects للاجرام الذرية بطريقة تنطبق عـلى كـل المختبريـن من أي نــوع او جنس كانوا ، وفقا للنواميس الرياضية ، مع تبيــين الخصائص النظرية او الفكرية لكل منها ، هذه الخصائص التي يمكن تلقينها لاي كان تم له التهيؤ العلمي الكافي من الرياضيات والفيزياء . وعلى هذا المفهوم الواســع ، ان الوصف الموجي او الكمي للظاهرات الذرية The quantum mechanical description of atomic phenomena
يبقى وصفا موضوعيا صرفا بالرغم من ان وضع جسم ما ، من غير المفروض فيه ان يبقى مستقلا عن الطريقة التـــي يمكنه بها ان يلحق تغييرا بمصادر المعرفة المتعلقة بالجسم ، عن طريق التغييرات التي تطرأ على الارصاد او الاختبارات ذاتهـــا . ان حدوث مثل هـذه التغييرات يوضح لنـــا وجود نوع جديد لـكمال الطبيعة wholeness in nature لم يفطن اليه علم الفيزياء النيوتونية ، باعتباره محاولـــة لتقسيم ظاهرة يسخر لها الترتيب التجريبي بكامله اذ ان رصدها يوجد تماما ظاهرة جديدة .

والذي عليه اتفاق الاراء الان هو ان الميكانيكا الكمية Quantum mechanics تترك عددا من الظاهرات الاساسية بدون شرح ولا تفسير ، منها مثلا صفة الكهرباء الذريـــة The atomistic character of electricity التي نوهت اليها سابقا . والى هذا ، لا نرى أي تفسـير مقنع للخواص المميزة المختلفة للمادة The Characteristic variety of mas value ولا لما نرى من تفاوت عظيم بين درجات الاستقرار في عدد من الجزيئات التي اصطلحوا بصورة موقتة على تسميتها « ابتدائية » Elementary فاذا ما اخذنا بحدود امكانية تطبيق هذه النظرية التـــي نقول بها اليوم ، سيبقى حتما بالرغم من هذا ، اختـــلاف كبير بين العلماء حول قيام تطوير ممكن لها في المستقبل . وبعض العلماء يرى امكان الرجوع الى الفكرة الكلاسيكية التي تقول بالمختبر المعزول تماما الذي يمكن اجتنـــاب تأثيره على الجهاز التجريبي بتصحيحات يمكن تحديدها بصورة نظرية . وهنالك فريق آخر ، وانا بينهم ، يعلقون آمالهم بعكس ذلك ، على طريقة اخرى معاكسة تماما . والذي أثر علي بالاكثر ، في التجارب العلمية التي أدت صدفة ، عام ١٩٢٧ ، الى نظرية الميكانيكا الموجيـــة wave mechanics هو ان ازدواج المضادات الحقيقيـة real pairs of opposition امثال علاقة الجزيء بالموجة Particles versus waves او علاقة المركز بالزخـــم Position versus momentum او علاقة الطاقة بالزمن Energy versus time توجد في الفيزياء ايضاء ، ومثل هذه المضادات لا يمكن حلها او التغلب عليها الا بطريقـة متناسقة Systematical way . وهذا انما يعني ان حدا واحدا من حدود هذه المضادات ، لا يحذف او يستغنى عنه في صالح الاخر ، انما الحدان او الطرفـان المذكوران يستعملان معا فيتخذان قاعدة لقانون فيزيائـي جديد يبين بدقة ما لهذا التضاد من ميزة تكميليـــــة
The complementary character of the Contrast

ويخيل الي انه من المعقول جدا ان تأتي الامور على هذا المنوال الذي نرسم ، في كلما يتصل بعلاقة المجـــال بالاجسام المختبرة Field Versus test bodies لا يمكن قياس مجال ما الا بما له من اثر بين على الاجسام المختبرة . وهذه الاجسام المختبرة يجب النظر اليها باعتبارها مصدرا للمجال المشار اليه . وهذا القول من شأنه ان لا يثير أي صعوبة او مشكلة في الظاهرات التي تتعلق بالاجســـام الكبيرة العادية Macroscopic phenomena اذ ان الاضطراب الذي يطرأ على المجال من الاجسام المختبرة من الممكن دائما توهمه هنا صفيرا دقيقا وتحت المراقبـــة . وليس هذا بوجه من الوجوه ، حال الاجسام المختبرة التي لا مندوحة قط من تحديد تركيبها الذري ، ولا سيما فيما

يوسف اسعد داغر

[التتمة في صفحة ٥٢]

الى زوجتي

○

« .. وتروي الاساطير اليونانية قصة بنلوب الزوجة الوفية لزوجها المغامر الغائب اوديسيوس ... وتروي ايضا ان الطبيعة كانت تشارك هؤلاء الابطال اتراحهم وافراحهم : فترعد وتبرق اذا مسهم ضر ، وتشرق شمسها بهية دافئة اذا لفتهم السعادة بجلبابها » .

الليلُ أقبل والظلامْ
غَطَّى بِبُرْدَيْهِ الانام
والسحبُ حيرى لا تنام
قد لفَّها قلق ضرام
وحدا بها شوق عُرام
وأنا مع الافق الحزين
أشكو له وجدي الدفين
وأراكِ نحوي تنظرين
وتغزلين وتنقضين

*

الكلُّ قد لبَّى الدعاء
ليزيلَ عنه صدا العناء
وأنا أحملق في الفضاء
وأعاتب الشهبَ الوضاء
وتكر في ذهني السنون
حيرى كسحب في جنون
وأراكِ دوما تغزلين
وتغزلين وتنقضين

*

الليلُ أدبر والنهار
غمر الفيافي والقفار
وبدوتِ لي نورا ونار
وسناً به روحي تنار
ونظرتُ في حَدق العيون
لارى بماذا تحلمين ؟
ونظرت نحوك من قريب
فاذا بقلبينا وجيب
وعلى الشفاه جوى حبيب
ومن العيون بدا لهيب
وتصافحت اقداحنا
وتعانقت ارواحنا
وعجلتِ نحوي ترفلين
والثوبُ من وجد السنين
أطرافه حمراً بقين
والدمعُ من حب مكين
حبٌ بدا لي من عيون
نجلاءَ لا تخفي حنين
ولا تطيفُ بها ظنون

*

الانَ قد زال العنا
والنفس تحيا في هنا
وغدوتِ في أرضي سنا
وعلى محيَّاكِ الجميل
آيات وجدٍ لا تزول

لندن — محمود السمره

قصة لبيرل بك

الشيطان العجوز

ترجمة صدقي حطاب

كانت زوجة وانج العجوز تعرف بالطبع ان هناك حربا ، فلقد كان كل امرىء يعرف منذ امد بعيد ان هناك حربا تدور رحاها وان اليابانيين يقتلون الصينيين . ولكن الامر كان لا يزال مشكوكا فيه ولا يعدو كونه اشاعة بالنسبة لاسرة وانج ما دام لم يقتل احد من تلك الاسرة . وكانت قرية قبيلة زوجة وانج تقع على ضفة النهر الاصفر ، ولم تر يابانيا ابدا . وسنحت هذه الفرصة ليتحدثوا عن اليابانيين .

في أمسية من امسيات اصيف المبكر صعدت زوجة وانج كعادتها كل يوم درجات السد بعد ان تناولت طعام العشاء ، لكي ترى كم بلغ ارتفاع النهر . فقد كانت تخشى النهر اكثر من خشيتها اليابانيين بكثير ، فانها كانت تعرف ماذا يفعله النهر . وتبعها القرويون الواحد تلو الاخر ووقفوا يحدقون في النهر الاصفر الحقود ، وهو يلتف كأنه مجموعة من الحيات ثم يتسع عند ضفاف السد العالي .

وقالت زوجة وانج انني لم أر مياهه مرتفعة هكذا في مثل هذ االوقت المبكر . وجلست على مقعد من البوص احضره لها حفيدها (لتل بيج) وبصقت في الماء .

وقال لتل بيج مجازفا انه شر من اليابانيين ، هذاالنهر الشيطاني العجوز فقالت زوجة وانج بسرعة : أيها الغبي ان رب النهر سيسمعك ، فتحدث عن أي شيء اخر .

وهكذا اخذوا يتحدثون عن اليابانيين ... وكيف ، مثلا ، سأل وانج الخباز ابن ابن اخي زوجة وانج العجوز ، هل يعرفون اليابانيين حين يلقونهم ؟

وهنا قالت زوجة وانج بكل تأكيد: ستعرفهم ، لقد رأيت مرة غريبا ، لقد كان اطول من طنف بيتي ولون شعره كلون الوحل وعينيه كلون عيني السمكة . ان كل من لا يشبهنا يكون يابانيا .

وانصت اليها الجميع لانها كانت اسن امرأة في القرية ،وكل ما تقوله يعتبر القول الفصل . ثم تكلم لتل بيج بطريقته الاعتباطية : انك لا تستطيعين ان تريهم يا جدتي ،انهم يختفون في السماء في طائرات .

ولم تجب زوجة وانج في الحال، فقد كانت تقول بكل تأكيد : انني لن اصدق بوجود الطائرة ما لم ارها .

ولكن اشياء كثيرة كانت صحيحة ولم تصدق بها ـ الامبراطورة ، مثلا، ماتت ، مع انها لم تصدق بموتها . ثم انها لم تصدق بالجمهورية لانها لم تعرف ما هي الجمهورية . وكانت لا تزال لا تعرف شيئا عن ذلك، مع انهم كانوا يقولون منذ زمن بعيد بأن هناك جمهورية . وانصرفت الان الى التحديق بهدوء في السد والجميع جالسون من حولها ، وكان الجو جميلا جدا وباردا ، وكانت تشعر بأن كل شيء لا خوف منه اذا لم يرتفع الفيضان . وقالت وهي ترسل القول على عواهنه : انني لا اصدق بوجود اليابانيين

وضحكوا عليها قليلا ، ولكن احدا منهم لم ينبس ببنت شفة . واشعل بعضهم انبوبة تبغها ـ وكانت التي اشعلتها محبوبتها ـ زوجة لتل بيج واخذت تدخنه .

ونادى احدهم : غنينا يا لتل بيج

وهكذا اخذ لتل بيج في غناء اغنية قديمة بصوت مرتفع يهتز . واصغت زوجة وانج العجوز ونسيت اليابانيين وكان المساء جميلا ، والسماء صافية جدا وكانت اشجار الصفصاف التي في أعلى السد تنعكس على صفحة الماء العكر . وكل شيء هادئا ، وكانت تلك الثلاثين بيتا القريبة التي تكون القرية متفرقة الى الاسفل منهم .

ولم يكن هناك شيء يقطع هذا السكون . وبعد كل هذا ،ان اليابانيين من بني آدم .

وقالت ليتل بيج بعد ان توقف عن الغناء : انني اشك في وجود هذه الطائرات .

ولكنه اخذ في غناء اغنية اخرى دون ان يجيبها .

وهكذا انفقت السنين من حياتها في الجلوس على هذا السد في امسيات الصيف . وكانت المرة الاولى التي تجلس فيها على هذا السد يوم ان كانت عروسا في السابعة عشرة من عمرها يوم ان ناداها زوجها لتخرج من البيت وتأتي الى السد ، فجاءت وهي خجلة تفرك يديها لتختفي بين النساء بينما ضج الرجال بالضحك عليها والسخرية منها . غير انهم مع كل هذا كانوا يحبونها، وقالوا لزوجها « ان قطعة دسمة من اللحم في جفنتك » . فأجاب مستهجنا « ان قدميها كبيرتان » . ولكنها كانت ترى امارات السرور في وجهها ، وهكذا فارقها خجلها تدريجيا .

وقد غرق المسكين في احدى الفيضانات وكان لا يزال في ريعان شبابه . وصلت من اجله سنين لتخرجه من المطهر البوذي . واخيرا تعبت من ذلك ، فقد كان عليها ان تعتني بطفلها وبالارض ، ولذا عندما قال لها الكاهن مداهنا : اذا دفعت عشرة قطع اخرى من الفضة فانه سيخرج من المطهر تماما. سألته؛ ما الذي بقي منه في المطهر حتى الان ؟

فقال لها الكاهن وهو يشجعها : يده اليمنى فقط .

وعندها نفذ صبرها، عشرة دولارات انها تكفيها مدة الشتاء ، بالاضافة الى ان عليها ايضا ان تدفع اجرة عامل كنصيبها في اصلاح السد لكيلا تحصل فيضانات اخرى .

فقالت بحزم : اذا كانت يد واحدة فهو يستطيع ان يسحبها بنفسه .

وكم كانت ترتاب في امر ذلك المسكين . وكم انفقت الليالي تفكر

فيه ، والغم يملوء قلبها ، وهو لايزال مسجى هناك ينتظر منها ان تعمل شيئا من اجله . فقد كان من هذا النوع من الرجال . ولعل زوجة لتل بيج ترجع اليه في يوم من الايام لتخلصه من المطهر بعد ان تضع طفلها الاول وتوفر قليلا من المال . ولم تكن هناك سرعة حقيقة مع ان ...

وقالت زوجة لتل بيج بصوتها الناعم : هيا يا جدتي ان الضباب يرتفع من النهر بعد ان غربت الشمس . فأجابتها زوجة وانج العجوز بالايجاب قائلة : نعم يجب ان افعل . وحدقت في النهر برهة . ذلك النهر — انه ممتلىء بالخير والشر معا . انه يسقي الحقول اذا اقيمت له الحدود والسدود ، ولكنه اذا زاد بوصة واحدة انطلق مدمرا كانه تنين مزمجر . وهكذا اكتسحت المياه زوجها — وكان مهملا في الجزء الموكل اليه من السد . وكان ينوي دائما ان يصلحه بأن يكوم الطين في اعلاه ولكن النهر ارتفع في ليلة من الليالي فأغرق ما حوله . فخرج مسرعا من بيته وصعدت الزوجة على سطح المنزل ومعها طفلها فنجت هي والطفل ، اما هو فغرق . وردوا النهر الى ما وراء السدود وبقي مكانه كل هذا الوقت . وكانت تسير في كل يوم على طول السد جيئة وذهابا وتفحصه ، هذا السد المسئولة عنه القرية كلها . وكان الرجال يضحكون منها ويقولون : اذا حصل تلف في السدود فان (جراني) ستخبرنا .

ولم يخطر على بال احد من اهل القرية ابعاد القرية عن النهر . وكانت قبيلة وانج تعيش فيها منذ اجيال ، وكان بعض افرادها ينجون دائما من الفيضانات ويقاومون النهر الان بشدة اكثر من مقاومتهم له في أي حين .

وتوقف لتل بيج فجأة عن الغناء .

وصاح : ان القمر قد طلع ، وهذا ليس شيئا حسنا ، فان الطائرات تأتي في الليالي المقمرة . فسألته زوجة وانج باستغراب : من أين تعلمت كل هذا عن الطائرات ؟ واضافت قائلة بلهجة قاسية ان ذلك يتعبني . فلم يتكلم احد ، وفي خلال هذا الصمت اتكأت على ذراع زوجة لتل بيج وهبطت على مهل الدركات الارضية التي تؤدي الى القرية ، وجعلت من انبوبة تبغها ، التي اخذتها في يدها الاخرى ، عصا تسير عليها . وتبعها القرويون الواحد تلو الاخر ليأووا الى فراشهم ، ولم يكن يتحرك واحد قبلها او يمكث بعدها .

ونامت في فراشها اخيرا نوما هادئا خلف ستائر البعوض القطنية الزرقاء التي ثبتتها زوجة لتل بيج وظلت مستيقظة مدة قصيرة وهي تفكر في امر اليابانيين وتتساءل ماذا يريدون من الحرب ، فلا احد يريد الحرب غير الجناة الغلاظ . وتصورت اناسا جناة غلاظا وتصورت انهم اذا جاءوا كان على المرء ان يداهنهم ويدعوهم لتناول الشاي ، ويفسر لهم تفسيرا معقولا — لماذا يأتون الى قرية زراعية آمنة ..؟

ولذا لم تكن تتوقع ان تسمع صراخ زوجة لتل بيج وهي تقول ان اليابانيين قد قدموا . فجلست في فراشها وهي تتمتم : أقداح الشاي ... الشاي ...

فصاحت زوجة لتل بيج : لم يعد هناك وقت يا جدتي ، انهم هنا ... انهم هنا .

فاستيقظت زوجة وانج العجوز فصاحت : أين ؟

فردت زوجة لتل بيج مولولة : في السماء ! .

وخرجوا جميعا مسرعين عند الصباح الباكر ليتبينوا الخبر وشخصت ابصارهم الى السماء ، وكانت هناك اشكال على هيئة الطيور الكبيرة وكانها الاوز البري الطائر في ايام الخريف .

وصاحت زوجة وانج العجوز : ولكن ما هؤلاء ؟

وحينئذ سقط شيء يشبه بيضة فضية ساقطة ووقع في طرف القرية النائي في احد الحقول ، وخرج ينبوع من الارض فاسرعوا جميعا ليشاهدوه فوجدوا حفرة اتساعها ثلاثين قدما تشبه بركة كبيرة . وعقدت الدهشة السنتهم ، ثم قبل ان يستطيع احدا الكلام سقطت بيضة وبيضة وكان كل انسان يجري ويجري ...؟

كل انسان الا زوجة وانج . وعندما اخذت زوجة لتل بيج بيدها لتقودها ، افلتت نفسها وجلسة مستندة على حافة السد .

وقالت معلقة : انني لا استطيع ان اركض ، انني لم اركض منذ سبعين سنة حين قيدت قدماي ، اما انت فسيري ، ولكن اين لتل بيج ؟ .

والتفتت الى ما حولها . لقد كان لتل بيج قد انصرف ، فقالت معلقة : انه يشبه جده اذا هو دائما الاول في الفرار

ولكن زوجة لتل بيج لم تكن ترضى ان تتركها حتى ذكرتها زوجة وانج العجوز بان من واجبها ان تفعل ذلك .

فقالت لها : اذا كان لتل بيج قد مات فانه يكون من الضروري حينئذ أن يولد ابنه حيا . وعندما وقفت الفتاة مترددة ضربتها بانبوبة تبغها ضربا لطيفا قائلا : انصرفي .. انصرفي

وهكذا ذهبت زوجة لتل بيج مع الاخرين على غير ارادتها لانهما كانتا لا تستطيعان سماع كلام بعضهما البعض من جراء دوي القنابل الساقطة من الطائرات .

ولكن القرية قد اصبحت الان حطاما ، وسقوف القش والعوارض الخشبية كلها مشتعلة مع انه لم تمض سوى بضعة دقائق . لقد ذهب كل فرد ، وعندما كانوا يمرون بها كانوا يهيبون بها ان تأتي معهم فكانت ترد عليهم بمرح : انني آتية — انني آتية !

ولكنها لم تذهب ، وجلست وحدها تراقب مشهدا عجيبا ، فسرعان ما جاءت طائرات اخرى ، لا تعلم من أين اتت ، ولكنها هاجمت الطائرات الاولى . واشرقت الشمس على الحقول بما فيها من قمح مستو على سوقه ، وكانت الطائرات في هذا الجو الصافي تدور وتنقض وتقذف حممها على بعضها البعض . وفكرت بعد ان انتهت الطائرات ان ترجع الى القرية وترى ما اذا كان قد بقي هناك شيء . فكانت ترى هنا وهناك جدارا قائما يحمل سقفا . ومن هنا لم تستطع ان تتبين بيتها . ولم تكن غير معتادة على الحرب ، بل كانت متعودة على مثل ذلك . فلقد نهبت عصابات اللصوص قريتهم وحرقت البيوت ايضا . والان قد حدث هذا من جديد . ان المرء يستطيع ان يرى البيوت المحترقة كثيرا ولكنه لا يستطيع ان يرى مثل هذه المعركة بما فيها من اندفاع فضي لامع في الجو ؟ . ولم تفهم شيئا من ذلك — لم تفهم ما هذه الاشياء ، لا ولم تفهم كيف تبقى في السماء . وظلت جالسة تراقب ،

وجوعها يزداد .

وقالت بصوت مرتفع : انني اود ان ارى احدا قريبا . وفي تلك اللحظة اضطربت احدى الطائرات فجاة وكأنها تجيب على امنيتها ، فاذا هي تلف وتدور وكأنها جريحة وسقطت في حقل حرثه لتل بيج بالامس ليزرعه بفول الصويا . وفي هنيهة عادت السماء خالية مرة اخرى ولم يبق على الارض سوى هذا الشيء الجريح وسواها .

ونهضضت بكل حرص عن الارض، فهي في سنها هذا لا تحتاج لان تخشى شيئا . انها تستطيع ان تذهب وصممت على الذهاب لترى ما ذلك الذي على الارض . وسارت في الحقول بطيئة الخطى ومتكئة على انبوبة تبغها البوصية . وظهر خلفها في هذا السكون المفاجىء كلبان او ثلاثة من كلاب القرية وتبعتها وهي تتسلل الى جانبها فزعة ، وعندما اقتربت الكلاب من الطائرة الساقطة اخذت تنبح نباحا شديدا ، فضربتها بانبوبة تبغها .

وقالت توبخها : اخرسي فلقد سمعت ضجة تكفي لوقر اذني .

وقرعت الطائرة بانبوبة تبغها

وقالت للكلاب : معدن ! واضافت قائلة : فضة من غير شك انها لو صهرت لجعلتهم اغنياء .

وسارت حول الطائرة ، وفحصتها فحصا دقيا . ما الذي جعلها تطير ؟ انها لتبدو ميتة ، ليس هناك شيء فيها يتحرك او يحدث صوتا . ثم جاءت الى الجانب الذي انكفات عليه فرات رجلا فيها مكوما في مقعد صغير ، ونبحت الكلاب فزجرتها فتراجعت .

فسألته بادب : هل انت ميت ؟

فتحرك الشاب قليلا عندما سمع صوتها ولكنه لم يتكلم . واقتربت منه ونظرت الى الثقب الذي يجلس فيه ، وكان خصره ينزف دما .

فسألته مستغربة : مجروح !..

وتناولت معصمه، وكان دافئا ولكنه جامد ، وعندما ارخته سقط الى جانب الثقب وحدقت فيه . لقد كان شعره اسود اللون وبشرته سمراء كالصينيين ، ولكنه مع هذا كان لا يبدو كالصينيين .

وفكرت ، يجب ان يكون من اهل الجنوب ولكن الشيء المهم هو انه حي . وعقبت قائلة : من الافضل ان تخرج من مكانك ، وسأضع على خصرك بعض الادوية العشبية .

فتمتم الشاب بشيء تمتمة فاترة .

فسألته : ماذا قلت ؟ ولكنه لم يكرر ما قاله .

واستجمعت قوتها وقالت: انني لا ازال قوية. ولذا اقتربتمنه وامسكت به من خصره وسحبته على مهل ولهثت كثيرا . وكان ، لحسن حظها ، شابا ضئيل الجسم وخفيفا جدا ، وعندما وضعته على الارض شعر برجليه فوقف وهو يترنح وتعلق بها فأمسكت به .

وقالت : اذا استطعت الان ان تمشي الى بيتي سأرىاذا كان لا يزال قائما هناك .

ثم قال شيئا بكل وضوح،فاصغت ولكنها لم تستطع ان تفهم كلمة واحدة من كلماته ، وافلتت نفسها منه واخذت تحدق فيه .

وسألت : ما ذلك ؟

واشار الى الكلاب ، وكانتواقفة تعوي واعناقها مشرئبة . وتكلم مرة اخرى وهوى الى الارض وهو يتكلم ، ووثبت الكلاب عليه فكان على السيدة ان تضربها بيديها .

وصاحت : ابتعدي ، من قال لك ان تقتليه .

ثم رفعته على ظهرها بعدان ابعدت الكلاب ، وكانت تحمله وهيترتجف وتجره الى القرية المهدمة ووضعته في الشارع بينما ذهبت لتبحث عن بيتها واخذت الكلاب معها .

لقد اصبح بيتها اثرا بعد عين ، فوجدت المكان بسهولة فهو يجب ان يكون هنا مقابل بوابة الماء في السد لقد كانت تراقت هذه البوابة بنفسها دائما ، ونجت هذه البوابة باعجوبة فلم تصب بضرر وكذلك لم يهدم السد . وسيكون من السهل ان تعيد بناء بيتها . وكل ما في الامر انه قد تهدم في الوقت الحاضر .

ورجعت الى الشاب وكان لا يزال مستلقيا كما تركته مستندا الىالسد يلهث وكان شديد الشحوب وقد فتح معطفه واخذ حقيبة صغيرة فاخرج منها لفائف من القماش وزجاجة ، وتكلم مرة اخرى ولكنها كذلك لم تفهم . ثم قام باشارات فهمت منها انه يطلب ماء ، فتناولت اناء مكسورا من الاواني المبعثرة في الشارع وذهبت الى السد وملأته بماء النهر واحضرته وغسلتجرحه وقطعت من لفائف القماش ، وكان يعرف كيف يضع القماش فوق الجروح الدامية فكان يشير لها وهي تعمل طبقا لاشاراته ، وكان يحاول في كل هذه الاثناء ان يقول لها شيئا ولكنها لم تستطع ان تفهم شيئا .

فقالت : يجب ان تكون من اهل الجنوب يا سيدي . وكان من السهل ان يرى المرء انه على جانب من الثقافة فكان يبدو ذكيا جدا .

فقالت : لقد سمعت ان لغتك تختلف عن لغتنا . ثم ضحكت قليلا لتؤنسه ولكنه لم يفعل سوى التحديق فيها بعيون ثقيلةالجفون . ولمع خاطر في ذهنها فقالت : سأذهب الان فلعلياجد شيئا تأكله، فان ذلكمفيد.

ولم يجب ، والواقع انه استلقى على ظهره واخذ يتنفس بانفاس منبهرة ، ويحدق في الفضاء وكأنها لم تتكلم شيئا .

واستأنفتحديثها قائلة: ستتحسن عندما تتناول الطعام وكذلك انا . وكانت قد بدأت تشعر بوطأة الجوع.

وخطر في ذهنها انه يمكن ان تجد بعض الخبز في دكان الخباز وانج وحتى لو كان هذا الخبز مغبرا من الجير المتساقط ، الا انه مع ذلكخبز، وستذهب وترى ، ولكنها قبل ان تذهب حركت الجندي قليلا بحيث اصبح يستلقي في طرف الظل الذي تلقيه شجرة صفصاف كانت تنمو على ضفة السد . ثم ذهبت الى دكان الخباز وكانتالكلاب قدانصرفت

وكان دكان الخباز ركاما ككلشيء اخر . ولم يكن هناك احد ، ولم تر في اول الامر سوى كتل الحيطان المهدمة ، ولكنها تذكرت ان الفرن داخل الباب وكان لا يزال اطار الباب واقفا يقيم احد جوانب السقف ووقفت عند هذا الاطاروادخلتيدها تحت السقف المنقض وتحسست الغطاء الخشبي للقدر الحديدي فقد تجد الخبز تحت هذا الغطاء ، وبحثت بيديها بحرص وبمهارة ، وظلت مدة طويلة وكادت سحب الغبار والجير تخنقها ، وبالرغم من ذلك ، فانها قد اصابت هدفها وقبضت يدها تحت الغطاء على ارغفة الخبز الكبيرة الناعمة الملمس وسحبت اربعة الواحد بعد الاخر .

وقالت فرحة وهي لا تكلم احدا :
ان من الصعب قتل عجوز مثلي : واخذت تأكل رغيفا وهي آئبة . آه لو حصلت على شيء من الثوم وقدح من الشاي — ولكن المرء لا يستطيع ان يحصل على كل شيء في هذه الاوقات .

وفي هذه اللحظة سمعت اصواتا، وعندما وصلت على مراى من الجندي وجدت حوله جماعة من الجنود الاخرين جاءوا من مكان مجهول ، وكانوا يحملقون في الجندي الجريح الذي كانت عيونه الان مغمضة .

فصاحوا بها : من اين جاءك هذا الياباني يا اماه ؟

فسألتهم وهي تقترب منهم : من هو الياباني ؟

فصاحوا : هذا ...

فصاحت وبكل دهشة : هل هو ياباني ؟ ولكنه يشبهنا .. ان عيناه سوداوين وبشرته ...

وصاح احدهم بها : ياباني !

فقالت بهدوء: لقد سقط من السماء

فصاح اخر : اعطني الخبز !

فقالت بهدوء : لقد سقطمن السماء هذا فهو له .

فصاح الجندي : ياباني قرد يأكل خبزا جيدا ؟

فأجابت زوجة وانج العجوز : اعتقد انه هو ايضا جائع . واحست بكراهية نحو هؤلاء الرجال ، فالجنود هم الجنود دائما .

فقالت : اود ان تنصرفوا ، فماذا تفعلون هنا ؟ لقد كانت قريتنا هادئة

فقال احد الرجال وهو يكشر عن انيابه : انها بالتأكيد تبدو الان هادئة جدا ، هادئة كالقبر ، اتعلمين من فعل هذا يا اماه ؟ اليابانيون !

فقالت موافقة : اعتقد ذلك . ثم سألته لماذا ؟ وهذا ما لا افهمه ؟

فقال : لماذا ؟ لانهم يريدون ارضنا، هذا هو السبب !

فكررت قوله : ارضنا ! ولماذا ؟انهم لن يستطيعوا ان يأخذوا ارضنا !

فصاحوا : ابدا !

وفي اثناء كل هذا كانوا يتحدثون ويمضغون الخبز الذي قسموهبينهم ويرقبون الافق الشرقي .

وسألت زوجة وانج العجوز : لماذا تديمون النظر الى المشرق ؟

فاجاب الرجل الذي اخذ الرغيف : ان اليابانيون قادمون من هناك

فأجابت وهي دهشة : هل انتم هاربون منهم ؟

فقال مدافعا : انهم ليسوا سوى حفنة منا فقط . لقد ترك لناحراسة قرية (باو آن) في منطقة ...

فقاطعته زوجة وانج العجوز قائلة: انني اعرف القرية ، ولا تحتاج لان تحدثني عنها . فقد كنت صبية هناك . كيف حال باو العجوز الذي يدير مقهى الشاي في الشارع الرئيسي ؟ انه اخي .

فأجاب الرجل : لقد مات كل انسان هناك ، لقد احتلها اليابانيون فقد جاء جيش لجب ومعه المدافع الغريبة والدبابات ، فماذا نستطيع ان نفعل ؟

فقالت موافقة : تهربون طبعا .

ومع ذلك فقد شعرت بالاعياء والمرض . اذن لقد مات ذلك الاخ الوحيد الذي بقي لها ، انها الان اخر من بقيمن عائلة والدها .

ولكن الجنود تفرقوا وتركوها مرة اخرى لوحدها .

وكانوا يقولون : سيصل هؤلاء الاقزامالسود،ومن الافضل ان نسير .

وبالرغم من ذلك فقد تلكأ احدهم لحظة ، وكان هذا هو الذي اخذ الرغيف ، ليحدق في الشاب الجريح الذي كان مستلقيا وعيناه مغمضتان ولم يتحرك ابدا .

وسأل : هل هو ميت ؟ وقبل ان تجيبه زوجة وانج سحب سكينا صغيرا من حزامه قائلا ، ميت اوغير ميت ، انني سأطعنه طعنة او طعنتين بهذا ...

ولكن زوجة وانج العجوز دفعت ذراعه .

وقالت بلهجة آمرة : لا ، لن تفعل، فان كان ميتا فلا فائدة من ارساله الى المطهرابدا. انني بوذيةمخلصة

فضحك الرجل واجابها : حسنا ، انه ميت . ورأى ان رفاقه قد ابتعدوا عنه فجرى في اثرهم .

اهو ياباني ؟ وصارت تنظر اليه زوجة وانج العجوز بامعان بعد ان تركت مع هذا الهيكل الهامد ، لقد رأت انه في ريعان شبابه ، وقد اغمضت عيناه الان . وكانت يده تبدو في خيالها رخوة كيد ولد لم تتشكل بعد ولا تزال تنمو . وتحسست معصمه ولكنها لم تستطع ان تحس نبضا ، وانثنت عليه ورفعت الى شفتيه نصف رغيفها الذي لم تأكله .

وقالت بصوت مرتفع جلي : كل انه خبز !

ولم يحر جوابا . لقد كان واضحا انه ميت . لقد مات وهي تحضر الخبز من الفرن .

ولم يكن هناك ما تفعله سوى ان تأكل الرغيف بنفسها ، وعندما انتهت من ذلك تساءلت اذا لم يكن عليها ان تتبع لتل بيج وزوجته وجميع القرويين . وكانت الشمس في كبد السماء وحرارتها في ازدياد . واذا كان لا بد من ذهابها فيجب ان تذهب الان ، ولكنها يجب ان تصعد على السد وتتبين الطريق الذي سلكوه . لقد ذهبوا الى الغرب مباشرة ، واخر ما تدركه العين ناحية الغرب سهل فسيح ، بل انها تستطيع ان ترى جمهورا كبيرا على بعد اميال ، وعلى كل حال ، فانها تستطيع ان ترى القرية الاخرى ولعلهم فيها .

وتسلقت السد على مهل وكانت الحرارة ترتفع درجتها ، وكانت تهب على قمة السد نسمات خفيفة تلطف الجو . وفرغت حين رأت ان النهر كان يقارب قمة السد كثيرا ، لماذا ؟ انه ارتفع في الساعة الاخيرة !

فقالت بشدة : ايها الشيطان العجوز . ليسمع ذلك رب النهر اذا شاء . انه شرير الان حين يهدد بالفيضان بينما تتجمع كل النكبات .

وانحنت على الماء فغسلت وجنتيها ويديها ، وكان الماء باردا كأنه أمطارا جديدة قد سقطت في مكان ما . ثم وقفت ونظرت الى مكان ما . وكان لا يبدو في الغرب سوى الجنود الهاربون عن بعد ، وبعدهم معالم القرية الثانية التي تقع على مرتفع من الارض وانه من الافضل ان تسير الى تلك القرية ، فمما لا شك فيه ان لتل بيج وزوجته كانوا ينتظرونها هناك .

وبينما كانت تهم بالهبوط لتبدأ سفرها رأت شيئا في الافق الشرقي . وكان في اول الامر بقعا كثيرة ، ولكنها عندما ادامت النظر فيه بدأ بسرعة فائقة بقعا سوداء كثيرة وبقع لامعة . ثم تبينت ما هو — لقد كان رهطا من الرجال — جيشا . وفي الحال علمت أي جيش هو .

وتمتمت : انه الجيش الياباني نعم ان الطائرات الفضية المدوية تحلق فوق رؤوسهم ، انهم يتجمعون وكأنهم يبحثون عن شيء .

واردفت قائلة : انني لا اعلم عن من تبحثون ، اللهم الا اذا كنتم تبحثون عني وعن لتل بيج وزوجته ، فنحن وحدنا اللذين بقينا ، لقد قتلتم اخي (باو) .

وكانت قد كادت تنسى ان باو ميت اما الان فتذكرت ذلك جيدا لقد كان له دكان لطيف — نظيف دائما — والشاي جيد ، واحسن الفطائر المحشوة باللحم ، والسعر العادي دائما ، وكان باو رجلا طيبا . ثم ما اخبار زوجته واطفاله السبعة ؟ لا شك انهم قد قتلوا جميعا ايضا . اما الان فان اليابانيين يبحثون عنها وخطر لها انها تبدو واضحة فوق السد ، فاسرعت في الهبوط .

وتذكرت في نصف الطريق بوابة الماء . هذا النهر العجوز — لقد كان لعنة عليهم منذ البداية ، فلماذا لا يكفر الان قليلا عن آثامه ؟ لقد كان يدبر جريمة جديدة محاولا ان يطغى على ضفافه ، ولم لا ؟ وترددت برهة ، حقيقة انه لمن المؤسف ان يجتاح الفيضان الشاب الياباني الميت . فقد كان شابا وسيما وقد انقذته من الطعن . وبالطبع ان هذا ليس كانقاذ حياته ، ولكنه يشبه ذلك نوعا ما . فلو كان حيا لانقذ ، وذهبت اليه وجرته حتى القته في اعلى الضفة تقريبا ، ثم هبطت مرة اخرى .

انها تعرف تماما كيف تفتح بوابة الماء . ان اي طفل كان يعرف كيف يفتح فتحة الخزان ليسقي المحاصيل ولكنها كانت تعرف كيف تفتح بوابة الماء كلها . والمسألة هي هل تستطيع ان تفتحها بسرعة وتنجو من المياه .

فتمتمت : انني الان لست سوى امرأة عجوز . وترددت مرة اخرى . انه من المؤسف ان لا يرى الطفل الذي ستضعه زوجة لتل بيج ولكن المرء لا يرى كل شيء ، ثم انها قد رأت في حياتها الشيء الكثير . وعلى كل حال ، ان هناك نهاية لما قد يستطيع المرء ان يراه .

ونظرت مرة اخرى الى المشرق ، وكان اليابانيون قادمون يعبرون السهل وكان هناك صف طويل اسود منقط بالاف من الرؤوس اللامعة ، ولو فتحت هذه البوابة لاندفع الماء القوي مزمجرا نحوهم ، مندفعا في السهول ومكونا بحيرة كبيرة وقد يغرقهم . ومما لا شك فيه انهم لن يستطيعوا ان يقتربوا منها اكثر واكثر او يقتربوا من لتل بيج وزوجته اللذان ينتظرانها . آه — لتل بيج وزوجته — سيتساءلان ماذا عسى قد يكون جرى لها — ولكنهما لن يحلما بهذا ، ان ذلك قصة طيبة — انها ستستمتع بروايتها على الملأ .

ورجعت الى البوابة بكل تصميم ، ان بعض الناس يحاربون بالطائرات وبعضهم بالمدافع ولكنك تستطيع ان تحارب النهر ايضا اذا كان شريرا كهذا . وسحبت عرضة خشبية كبيرة وكانت زلقة بما عليها من الطحالب الفضية والخضراء . واندفع الماء بقوة من الفتحة . وحين تسحب العرضة الاخرى ، ستنفتح النوافذ الاخرى تلقائيا . وبدأت في سحبها وشعرت بانها بدأت تنزلق قليلا عن الثقب .

وفكرت قائلة : لعلي استطيع ان اخرج من المطهر بهذا ، ولعلهم قد يسمحون لي بأخذ زوجي القديم ايضا . وأين يده من كل هذا ؟ وحينئذ سوف ...

وزلقت العرضة الخشبية فجأة وفتحت البوابة بقوة سلبت انفاسها ولم يبق لها سوى وقت تقول فيه للنهر : هيا ايها الشيطان العجوز ...

ثم شعرت به يمسك بها ويحملها الى السماء . فقد كان تحتها ومن حولها ، وكان يسوقها فرحا هنا وهناك ، ثم اخذها في حضنه واندفع على الاعداء .

الكويت صدقي حطاب

الماضي الشهيد

ه

ابها الماضي علـى شط الظـلال أين في صمتك أيامي الخوالي ؟
يا ترى الانسام من وادي الهوى راجعات لـي أغاريـد الخيال ؟

* * *

هتف القلب على انغامـك البـيض الوضـاء
ينشـد الفرحـة فـي طـي أمانيـه الظمـاء
لهفـة طالـت وضلـت فـي هبـاء
وشبـاب ضـاع ، والحلـم انطـوى
وعـلى الـدرب هتـاف .. ودعـاء

* * *

وبنفسي من جراح الامس آهات حيارى .. وأنين
وانا طيف غريب بين اجفان السكارى .. التائهين
ونـداء خنقتـه عبـرة الحـب السجـين
يا لعمري ذاب في حلم العذارى .. والسنين

* * *

كيف امضـي وقيـودي آخـذات بيـدي ؟
آه من لوعـة أيامـي ومـن خـوف غـدي
آه من وقـدة حبي .. آه مـن صـد حبيبي
كيف أحيا غير أمسي .. غير ماضينا الغريب ؟

* * *

ايها الماضي عـلى شط الروابي .. الناضرات
عنـدك استودعت احـلام شبابي .. وحياتي
ههنـا محـراب آمالـي والحـان شكاتـي
يا تـرى ترجع احـلام الليـالي الزاهـرات
فأغني للغـد الضاحـك عـذب الامنيـات ؟

القـاهرة **رضـوان أبراهيـم**

دراسات في النقد الادبي

وليم كودون

بقلم جي مدلتون موري

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

ما اقسى حظوظ الانسان ، لو اوتي الشيء اليسير من العبقرية ، واضطر الى ملازمة من هو اوفر نصيبا منها . قد يتذكره احدنا ، ولكن باسلوب يبدو ان من الخير نسيانه . ذلك ان كتاب السير المتحمسين الذين يتناولون دراسة النوابغ ، يجعلون مثل هذا الانسان قطعة من أثاث المسرح ، انموذجا مشوها من التفاهة وكل ذلك من اجل اضفاء السمات السامية على البطل . ومن هنا اصبح (لي هنت) ذيلا تابعا لبايرون ،، كما غدا وليم كودون امعة لشيللي .

كان بايرون وشيللي رومانسيين ، وشهرتهما في هذا الصدد لم تعد لتسحر القارىء الاعتيادي ، اما اصدقاؤهما التعيسو الطالع ، الذين ربطوا مصائرهم بهما ، فقد تجاهلهم المهتمون بالسير ، ومن اجل ذلك غدا هؤلاء طفيلين على الادب ، في اذهان عامة الناس . ثم ان احدنا ، وبخاصة كاتب السير لن يزعج نفسه بالتساؤل عن الصلة التي تربط العبقري بمن هو اقل منه جدارة بهذه الصفة ، على ما في هذه الصلة من متانة ، ولوجودها من ضرورة . اما فكرة العلاقات المتقابلة فيمكن اغفالها ، بالاخلاد الى مذهب عبادة البطولة .

وهذه الفكرة تذهب بعيدا في ارضائها الرومانسي الى حد انه من اليسير اقتلاعها من خيال الجمهور وبعثرتها هباء منثورا ، وعلة ذلك ان وصفك لانسان ما ضئيل النصيب من النبوغ ، لا يعني سهولة العمل ، ولا ضآلة الجهد ، وربما ان تسعة من عشرة اشخاص ممن يقصون كودون من مجالي حديثهم ، لم يقرؤا شيئا من كتاباته . وكل ما هنالك ان هذا الرجل قد استمد قوته من شيللي ، وفي هذا نهاية له وقضاء عليه . اما موقف شيللي منه واعتماده عليه ، فمن الامور غير المفهومة اكثر من كونها منسية ، والا فالمسألة تقتضي كثيرا من الدراسة التطبيقية لشعر شيللي والتأثيرات التي تضافرت على ايجاده . واذا ما انصفنا هذا الشعر ، فثلاثة ارباعه تعود الى كودون بالذات . انه اعطى شيللي افكاره وتأمل منه ما له .

واذا هل بلغت القضية هذا الحد من الوخامة حقا ؟ وانها قد تبدو كذلك بالنسبة الى من يعد المال واقعا حيا والافكار عبثا لا طائل تحته ؟ وبعد ، ربما ان خطيئة كودون الرئيسة هي اعتقاده العملي بانه يضفي قيمة خاصة على المال . وذكرى ذلك كله لا يمكن ان يمحي من الذهن . فكل ما كتب عن وليم كودون ، على قلته ، يشير الاعجاب ويوحي بالاكبار . وطبيعي ان تكون الحال كذلك ، لان كودون لا يمكن التصرف به في دقائق معدودات .

لقد اطلع هازلت على كتاباته خير اطلاع ، قبل ان يدبج مقالته الفريدة (روح العصر) وفي الايام الماضية القريبة عمد بريلزفورد الى ايفاء حق دراسته قبل ان يصنف كتابه الرائع (شيللي وكودون) ولكن صورة كودون لا تزال كما هي من غير تبديل ولا تغيير ، وهي ستبقى كذلك على الرغم من كتاب براون القيم (1) والامل الوحيد في اعادة مكانته الضائعة اليه ، هو في ادراكنا النامي لسحر ماري ولستونكرافت وعبقريتها . وحين تتضاءل سمعة سيدات القرن الثامن عشر (الرقيقات) تبدو اشجع النساء الانكليزيات واقربهن الى القلب ، في مكانها اللائق بها ، وعندئذ يمكن ان ينثر شيء من مجدها على الرجل الذي وجدت عنده السلام والاطمئنان والراحة .

وحتى الان نحن لا يسعنا الاقتراب من كودون الا باستنادنا الى ماري ولستونكرافت ، ذلك بان نظرتنا المباشرة اليه تخلق شيئا من الارتباك والحيرة . فعثورنا على مؤلف (العدالة السياسية) و (كاليب وليمز) ليس من اليسر ، كما كانت الحالة بالقياس الى هازلت ، الذي عرفه لحما ودما في حياته وعاداته . وحقيقة اعجاب تشارلس لام به ، ومحبته اياه لا تدلان على شيء غير جعلنا نشعر بوجود (انسان) ذي قيمة مجهولة ، مغموطة الحق .

اما اسلوب كودون الخاص في التعبير ، فهو منطقي ، دقيق الاشارة ، بحيث نحمل على تقليب (العدالة السياسية) ظهرا لبطن ، وصفحة لصفحة ، من اجل التطلع الى آثار انسانيته ، التي تظهر لنا فجأة في (عقل) كودون المنعزل ، المنطوي على نفسه ذلك العقل الذي يشتمل على حشد متنوع من الغرائز والعواطف والاهواء . وقد عمل جهده من اجل غاية مماثلة لغاية معظم البشر . واعنى بها اسباغ صفة عقلية على (قيمه) الخاصة . ولذا ففكرة (السخاء الشامل) التي امتاز بها كودون ليست نتيجة توصل اليها ، بل عقيدة تشبث بها ، وآزرها ايمانا منه بها ، ومن هنا تجده يحاول ايجاد اسس عقلية للعاطفة التي تبناها ، والمثل الاعلى الذي كان حلمه الملازم له بغير هوادة . وهذا الحدس يصبح حقيقة لا شك فيها ، حين نقرأ مذكرات كودون عن ماري ولستونكرافت . فلغة الفيلسوف الشكلية ، تغدو بديعة ساحرة ، كلما جرب اخضاعها لرقة حبه وغرامه . ومع هذا ، فمزاجه لم يعرف

---

(1) (حياة وليم كودون) بقلم فورد ك. براون .

التخنث والتكسر ، والميوعة . وعلة ذلك ، ان خمسا وعشرين سنة ، من العمل الادبي المجهد ، والتأمل الانفرادي خشنتا يده الكاتبة . الا ان جمال ماري ولستونكرافت ، لا بد له من الظهرر ، ومن هو اهل لهذا العمل غيره ؟ وعليه اذن ان يفعل ، وقد فعل . فكانت نتيجة جسارته هـذه جميلة اخاذة في تأثيرها . وهاك ما قاله :

« حين نلتقي مرة اخرى ، نلتقي بسرور جيد ، وربما اضيف الى ذلك ، ان تفضيلنا لبعضنا البعض سيكون اشد وقعا ، وابعد أثرا ، ومع هذا ، فقد انقضت ثلاثة اسابيع ، قبل ان تنفجر هذه العاطفة من شفتي كل منا ، بعد ان كانت تتململ مرتجفة على لساننا . اما القصة فلم تكن لها فترة ملازمة لها من الالام والمتاعب . والتوضيحات المتقصدة وهذا ما اشرت اليه من قبل . فكل ما هنالك كان صداقة ذابت في بوتقة الحب . ولقد اعلن كل منا سابقا عن ثقة ضئيلة بنفسه ، ولكنا شعرنا معا بشيء من القلق المرتجف ، وكل ذلك من اجل الحصول على الثقة الكاملة ، غير المنقوصة .

وضعت ماري رأسها على كتف حبيبها ، املا منها ان تجد قلبا تدخر فيه كنز عاطفتها اللاهبة ، ولكنها كانت تخشى الوقوع في الاخطاء ، على الرغم من تجاربها السوداوية غير ان روحها العظيمة المليئة بالثقة السخية ، ظلت كما هي دون ان ينطفىء اوارها . انا لم اعرف الحب من قبل قط ، حتى تداركني الان ، ولم اكن لاشعر بعاطفة متنامية ، كالتي اشعر بها الان ، اذ انني لم اصادف شخصا جديرا بمحبتي كما هو شأني في هذه الاونة بالذات . »

ومن الاهمية بمكان عظيم ان نتحقق من شيء هو قدرة كودون على ايحاء مثل هذا الحب والتحسس به ، وبذا يمكن ان نفهمه خير فهم .

ولا شك في ان الرومانسية العقلية في مثل هذه الفلسفة بعيدة عن مشاعرنا العصرية وجافة بالنسبة اليها . ومع ذلك ، ينبغي لنا الا ننسى تأثير كتاباته الحماسية العظيمة في اسخى الارواح التي عرفها عصره . لقد اصاب هذا التأثير كوليردج ووردزورث وهازلت وشيللي ، وليس من الامور العارضة ان تشعل نيران الحماسة في قلوب مثل هؤلاء الرجال . اما هازلت ـ الذي كان اصعبهم مراسا في التفكير ، فقد ظل مواليا لكودون طوال ايامه ، مع بقائه محتفظا بقواه الفكرية كل هذه المدة . وفي مذكرات كودون عن ماري ولستونكرافت لا نزال نجد وميضا من هذا السر . ثم ان المثالية النارية تكمن وراء (العدالة السياسية) .

اما جفاف الكتاب الظاهري فهو تاجه التام التكوين بالنسبة الى عيون الذين تطلعوا اليه ، وتعلقوا به ، ذلك بانه ظهر لهم كما يظهر الى كودون . واعني بذلك ، انه كان برهانا ناصعا ودليلا قاطعا على احقية معتقداتهم الغريزية ، التي تصر على اثبات وجود الخير والجمال . وكأنه بذلك اثبت ضرورة وجود ملكوت السماء بواسطة استخدام نظرية اقليدس . وكلما امعنا البصر في كودون ، قل ميلنا الى التبسم حين يأتي ذكره . قد لا يحسن بنا ان نكون مثاليين ، فهذه حرفة خطرة ، وكودون نفسه وجد ذلك الامر حقا لا ريب فيه . ومن الحق ايضا ان نقول بان المثاليين هم ملح الارض ، وهذا ما اعلنه معظمهم .

اما مشاكل كودون المالية ، في قصتها التي سردها

الاديب



✳

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ٢٥ ليرة كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

✳

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى

اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

✳

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ — المنزل ٢٥١٣٩

Tél. Dle. : 25139 — Direc : 23819

✳

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : ألبير أديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

براون بتفصيل ، فهي تثير فينا ـ حين نقرؤها ـ شعلة فجائية ترشدنا الى حقيقة كودون ، في ابتعاده عن شؤون العالم كما كان شأن شيللي بالذات . فهو يبدو وكأنه يعيش في منطقة من الفكر حيث يرى ان من حقه الواضح الاستيلاء على ثروة اصدقائه . لقد جاهد اصدق الجهاد من اجل تحقيق الجمهورية المثالية ، بعد ان وضع قوانينها ، وعاش كل حياته خاضعا لها . ثم مارس السخاء الشامل ، بحيث سبق غيره في هذا المضمار ، متوقعا مقابلة الاخرين بالمثل . ومن سوء الطالع انه بدلا من ان يعطى ما كان يرجوه ويأمله اضطر هو نفسه للاستجداء والالتماس . حسنا ، فهو سيفعل ذلك . ومراسلاته مع فرانسس بليس الذي شغل نفسه في تنظيم شؤونه ، فيها كثير من الاضواء الكشافة في هذا الصدد .

تكلم الرجلان لغتين مختلفتين جد الاختلاف . وعد كودون ان يدفع له دينا بذمته مقداره ثلثمائة جنيه في يوم معين . فلم يتحقق في هذا اليوم الموعود ، فاضطر بليس ان يكتب له قائلا (ولكنك وعدت) وردا على ذلك يقول كودون : « طبعا لقد وعدت بدفع ما بذمتي . ولكنني جعلت قدرتي المالية شرطا اساسيا في انجاز وعدي . » تقزز بليس من الامر ، كما ارتبك كودون اشد ارتباك . واذن ، من سيحكم بينهما ؟ ثم دعنا نتذكر المعجبين به ، هؤلاء الذين ساعدوه بالقروض من اجل العدالة السياسية فهم لم يفعلوا ذلك لاعتقادهم بمضمون الكتاب واعترافهم بقيمته . فهل كان من غير الطبيعي ان يتوقع كودون معاملته على وفق مبادىء ذلك الكتاب ؟

ان من يقرا المراسلات مع بليس يعجب من تحمل كودون اللطيف ، وصبره الشهم ، حين يخاطب مساعده الغاضب ، ثم لا بد له ان ينتهي الى ما توصل اليه كودون ، بان جعل صاحبه قليل الادراك ، ضعيفه ، كليل الضوء الفطري ، لانه لم يستوعب المبدأ الرئيس ، مبدأ (السخاء الشامل) ، اما الحالة بالنسبة الى شيللي فقد كانت مختلفة لان الاذى الذي تحمله بسبب كودون لم يكن ليخص المال ، وانما لان كودون رفض تأييد هروبه من ماري . فظن شيللي ان هذا الرفض هو خيانة لمبادىء (العدالة السياسية) ، وربما كان الامر كذلك ، غير ان كودون لم يذهب مذهب صاحبه ، بل ادعى بانه هو الشارح الثقة لأفكاره الخاصة .

وايا ما كانت الحالة ، لقد تزوج كودون ماري ولستونكرافت قبل ان ترى ماري شيللي نور الحياة . ومن هنا كان اتفاقه مع ماري ولستونكرافت منصبا على نتيجة حكيمة مؤداها : انه من العبث تحدي المجتمع في مسائل شكلية بعد ان تكون قد حصلت على الحقيقة الجوهرية . وقد صاغ كودون هذه الفكرة باسلوبه الخاص حين قال : «بعد تجربة سبعة اشهر من الاختلاط الودي الذي تسمح به وسائل معيشتنا ، قل الخطر بالنسبة الى كل منا ، اذ اتفقنا على اخضاع ذاتيتنا لجميع النتائج المترتبة على تطبيق القوانين الانكليزية فيما له صلة بالزوج وزوجته . »

وحتى لو لم تمس المسألة شيللي لابى كودون ان يبيح لابنته اعادة تجربته الخاصة . ولكن شيللي كان منذ اشهر قلائل يعيش مع زوجته هاريت المخلصة له في دار كودون . فهو لم يكن قادرا على الاقتران بماري حين هرب معها حسب ، بل هو ظل يعد هاريت زوجته ، ولما حملت منه ولدا دعا ماري لكي تشاركه في فرحه وانشراحه . حسب كودون هذه الوضعية تطبيقا سيئا غير شرعي لمبدا السخاء الشامل ، والانكد من هذا ان سمعة ابنته ، التي احبها كثيرا ، تلطخت بالعار . ومما لا ريب فيه ان وجهة نظر شيللي كان لها ما يدعمها من الاساليب المعقولة ، فتبرير كودون تمام التبرير في علاقاته معه فيه الكثير من الحمق. وفي الوقت نفسه ان اظهار شيللي بمظهر المساء اليه ، ووضع كودون في موضع المسيء لا يقل في التجني ومجانفة الحق في هذا الباب .

اضف الى ذلك انه من خطل الرأى ، اسباغ حرية العبقرية على شيللي ، والحكم على كودون بمعايير الاخلاق التجارية . صحيح ان شيللي عاش على وفق مبادىء كودون ، في كثير من البذخ والرخاء ، ولكن المسألة لا تتعدى كون الاول وهب بسطة من العيش ، فكان غنيا ، في حين ان الثاني امتاز بفقره المدقع . وهذا هو الاختلاف الرئيسي بين مسلكيهما في الحياة . ومتى ما اعترفنا بهذا الامر صح لنا الاختيار . ومن هنا ، فنحن اما ان نهز رؤوسنا مع ماثيو ارنولد قائلين « ما اعجبهما ! » واما ان نبيح لكل منهما حقه في المحاولة الجريئة لكي يحيا على وفق مثله العليا الصعبة المنال ، العصية التحقيق .

والخطأ الوحيد الذي نجده في « حياة » براون الرائعة هو ان اسلوبه (الانعزالي) الدقيق يميل الى التغلب على حبه لموضوعه ، في انطباعه الاخير . لا يزال كودون يلوح امامنا وكأنه بعبع ، وعلة ذلك تناقضاته الظاهرية في حياته ، تلك التناقضات التي لا يمكن التخفيف من غلوائها عن طريق التفسير والايضاح . غير ان كودون ، حتى في اسوأ احواله ، ناضل نضالا بطوليا متواصلا ، وكافح العالم المعادي له باستمرار وشجاعة عظيمة . ولقد تجاوز في احتمال العداوة حد الطاقة الانسانية . فكتب اشهر كتاب في النظريات الاجتماعية ، واحسن قصة في عصره ، ودافع بحرارة عن حرية الرأي والفكر ، فتمكن ان يغلب آير ـ رئيس القضاة ـ على امره ، وان يبرأ ساحة اعضاء جمعية (كورسبوندنغ) .

ومع ذلك ، ففي الخمسين من عمره حمل على كتابة قصص للاطفال من اجل معيشته ، بعد شطب اسمه ، بسبب ما كان يتمتع به من مقت . لقد احب امراة نبيلة جميلة ، كما شغفت به تلك المرأة ايضا ، وبعد سنة من السعادة توفيت . اما محاولته لتوفية حقها ولو عن طريق الذكرى ، فقد استنكرها الناس وعدوها شيئا شائنا . ومع هذا ، يبدو وكأنه لم يشعر بالمرارة مما لحق به من مصائب ونكبات . بل هو يظهر على الضد من ذلك ، عاملا مجدا (في غبش الفناء اللطيف) ، وفي وسط المشاكل التي لا أمل فيها حتى النهاية .

وكلما تعرفنا به كثيرا ، صعب علينا اصدار الحكم عليه ، اذ انه كاد يدرك العظمة في حقيقة جوهرها . ولكن السر الصغير الذي يتبقى من كل هذا هو ان كودون عاش حياته مقترا بل بخيلا ، وقد حصل من شيللي وغيره من اصدقائه على عشرة الاف جنيه ، فاين ذهبت ، يا ترى هذه الثروة الكبيرة ؟

العراق ـ بعقوبة — يوسف عبد المسيح ثروة

فتاة رائعة

قصة لشيروود اندرسون

ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد

لم ير احد « آجنس » وهي تهبط الدرج ، فلها طريقتها الخاصة في ان تمضي من غير ان يلحظها فرد ما ، وقد اثارت اباها واخاها « هاري » ، ونبهها والدها الى ذلك مرارا غير ان هاري لم يفعل ، ربماكان هذا لان آجنس تعلم الكثير عنه . واحيانا ما كان هاري يقف وهو ينظر اليها ويقول : « يا الهي ساعدنا» وعندما تلج حجرة بالصدفة حيث يجتمع الاخرون ، يرفع ابوها رأسه عن كتابه او عن صحيفته ويقول في دهشة « حسنا ، كيف اتيت هنا ؟ »

تقول آجنس « لماذا ؟ لقد حضرت» انها لا تحب مثل هذه الملاحظات وتقول في نفسها « لانني لم اذهب لالعب الراكت »

انها تهبط الدرج من حجرتها وتسمع اصواتا في حجرة امها . ثمة شيء يلوح في الافق . فأبوها يعنف امها « وآجنس رقيقة وتمشي بخفة » وهناك تليفون قائم في القاعة الكبرى قرب باب حجرةر امها ،وقد أغلق الباب في هذه اللحظة ..انهم يسمونها « القاعة الكبرى » ليس لانها رائعة ولكن ليميزوها عن القاعة التي في اعلى والتي يطلقون عليها اسم « القاعة العلوية » . « لقد تركت نظارتي على حافة النافذة في القاعة العلوية » وكان هذا مقنعا . ان معظم الحجرات تحمل اسماء وانهم ليشتطون في ذلك . فهناك « حجرة الرسم » و « حجرة الخمر » و « حجرة معطف بابا » والحجرة الاخيرة كانت من ايام جد آجنس بجانب حجرة امها .ولقد سمعت آجنس ايضاحا « اوه ، انه يأتي دائما ويلقي بمعطفه على السرير »

وقفت آجنس بجانب التليفون قرب باب حجرة امها والتقطت دليل التليفون ، فاذا تصادف وجاء ابوها او امها من هناك فستكون في وضع يبدو بريئا من انها تبحث عن رقم في الدليل ، وليس على انها تسترق السمع على ابيها وامها .

وقفت وعيونها تلمع « اذن الامر هكذا » ! ان زوج اختها « مريم » المدعو « توم هالر » يريد ان يطلقها. ولقد طربت آجنس بل وكانت فرحة بالطبع ليس لان مريم في ضيق . « وهكذا لم تخبرني انها قد حضرت للبيت من شيكاغو لهذا السبب » هكذا فكرت « آه ، لقد طردها توم ؟ » وانتقلت افكارها على الفور الى مريم « هذه القطة الخبيثة ! انها لم تقل لي كلمة واحدة » لقد كان الجميع في العائلة يعتقدون ان مريم صريحة « انهم يتهمونني باني خبيثة فماذا عنها ؟ » وها ابوها وامها يعلمان عن توم وعن مريم . فاذا كان هاري يعلم ايضا وكانت هي — آجنس — الوحيدة التي لم تلم بالموضوع فستكون طيبة وحزينة . ولو كانت تعطف على مريم ، فلربما ذهبت بعيدا في اكتشاف ذلك .

ان اباها ثائر وهو يذرع حجرة امها جيئة وذهابا وقد صاح « اذاجاء هنا فسوف أريه ! » ان توم هالر يريد الطلاق ولا يريد ان يدفع نفقة لمريم .

« والله لاجعلنه يدفع حتى اخر قرش . سوف انزع جلده قطعة قطعة »

ان من المضحك ان تتصور والدها وهو يحاول ان ينزع جلد توم هالر ، فالفريد ويلسون — الاب — ضئيل بالنسبة لتوم الكبير ، اما هاري فهو خائر جثمانيا . ان هاري اكبر من مريم وآجنس وقد اشترك في الحرب العالمية وقد تسمم بالغاز واصيبت رئتاه وبدأ يسكر . انه يشرب اكثر مما يعرف اي فرد في العائلة عدا آجنس . انها تعلم اين يخبىء زجاجة الويسكي في البيت وهاري يعلم انها تعرف عنه اكثر من أي فرد اخر وهذا ما جعله يخشاها .

استمر ابوها يذرع حجرة امها جيئة وذهابا وجميع من في المنزل يعتقد ان آجنس في الخارج بعد الظهر . لقد اخبرتهم جميعا انها ستخرج بالسيارة مع « ماري كالبرتسون » وغادرت المنزل بعد الغداء . ثم غيرت رأيها ورجعت بعد ان تحدثت مع ماري تليفونيا من مخزن العطارة وعادت متسللة الى المنزل وصعدت الى حجرتها ، فهل كان في نيتها ان تقوم بلعبة ما ؟ انها لا تدري لماذا قررت فجأة الا تذهب مع ماري . وقد أحدث حذاء ابيها ضوضاء مزعجة على ارض حجرة امها.

قالت الام « من اين حصلت على هذا الحذاء يا الفريد ؟ » صاح ابوها « اوه ، يا للحذاء اللعين ! » وكان هناك نقاش حول صوت ابيها المرتفع . قالت الام « سوف تسمعك

---

(١) ولد الكاتب الامريكي شيروود اندرسون عام ١٨٧٦ وتوفي عام ١٩٤١ ويعتبر مع ارنست همنجواي ممن ابدعوا القصة القصيرة .. وقد خدم اندرسون في الحرب الامريكية الاسبانية وهو يثور على العقدة في القصة كما هو السائد منذ ايام ا. هنري .. وقد تأثر بدعوى فرويد من ان الناس يقاسون من جراء حاجة لم تتحقق.. وقصصه عادة ما تمتلأ باحساس العزلة والاحلام وشقاء الناس الوحيدين . وفي قصته هذه يصور ندرسون شخصية فتاة تتحول الى الناحية الشريرة خلال عزلتها وخيبتها .

كيت يا الفريد » وكيت هي الخادم الجديدة ، وهي ريفية ذات شعر احمر طويل وكانت تشتغل عند اسرة ويلسون منذ اسبوعين ،وليس من اللائق ان تعرف كيت عن الاسرة شيئا بهذه السرعة ، اذ ليس من المستحب ان تصبح الخادم اليفة ووقحة بمثل الطريقة التي كانت عليها اخر خادم .

ان آجنس لتقف الان بالقرب من باب حجرة امها تتسمع ودليل التليفون في يدها . وعندئذ اقترب ابوها من الباب ورات الاكرة تدور غير انه لم يخرج على الفور فقد وقف قريبا من الباب يتحدث بصوت مسموع ، ولهذا وضعت آجنس دليل التليفون جانبا ومضت بخفة كالعادة حتى وصلت الى الباب الخارجي حيث مكثت لحظة ثم توجهت الى الباب الجانبي وقررت ان تظل هناك فبعد قليل سينطلق ابوها الى مكتبه للمحاماة بالمدينة وستنطلق هي الى حجرة امها وستنظر ما اذا كانت امها تريد ان تبقي الامر سرا . كانت مريم قد غادرت المنزل قبل ان تهبط آجنس وعلمت ان مريم انطلقت الى المدينة لتبحث عن هاري ، وسينطلق الاثنان معا في عربة هاري الى مكان ما . فكرت آجنس « اراهن على انهما سيسكران معا » لقد فكرت انه من العار ان يسكر اخ مع اخته، فقبل ان تتزوج مريم توم هالر كانت مريم تلازم هاري خلال السنين التي قضتها في المدرسة ولا تعود الى المنزل الا في العطلات الصيفية وكانت آجنس تعلم ان مريم في ذلك الوقت اعتادت ان تتستر على هاري وان تشجعه على السكر . وقبل تحريم الخمر كان هاري يحصل على الشراب من رجل يسكن طريق «مدكريك » بالقرب من محطة بنزين، وعرفت آجنس ذلك ، بل عرفت ان مريم كانت تقود السيارة احيانا مع هاري ويذهبان الى هناك وتنتظره فيها ريثما يذهب هو الى الداخل . وعملت آجنس على ان يقبض على ذلك الرجل ويرسل الى السجن ، ولم يعلم احد بذلك، فقد كتبت خطابا الى العمدة ووقعته باسم مختلق واتى الخطاب بمفعوله وقام العمدة بمهاجمة المكان ، ولا ريب انه وجد كمية كبيرة من الويسكي ، وحوكم الرجل وارسل الى السجن ، لكن هاري بالطبع بدأ يحصل على الويسكي من مكان اخر .

وكان ما أثار آجنس الى حد كبير في اليوم الذي سمعت فيه والديها يتناقشان في امر طلاق مريم شيء حدث بعدما انطلقت لتقابل ماري ماكبرتسون وغير رأيها ، فعادت ثانية الى المنزل من غير ان يلمحها احد ، ومضت الى حجرتها عبر « القاعة العلوية » . وعندئذ وصل عامل التلغراف على دراجته وقد رأته من النافذة . دق الجرس وفتحت كيت الخادم الباب وكان والدها لم يزل في حجرة امها والباب مغلق غير ان صوته لم يكن مرتفعا . وفكرت آجنس من ان الخادم الجديدة مخلوق ضخم احمر الشعر والذراع ، له صوت اجش غير مهذب وكم كانت عصبية وهي تقترب من اسفل الدرج وتصيح « مريم ! مريم ! هاك تلغراف لك . » كان من الواجب على مريم ان توبخها « انه شيء فظيع ان تسمح لخادم ان تناديك باسمك مجردا » لقد اعتادت كيت ان تنادي آجنس بمثل هذه الطريقة ايضا ولكن لم يكن في استطاعة آجنس ان تحتج لانها لو فعلت ذلك وكانت الوحيدة التي تحتج في المنزل ، فستحمل الخادم الضغينة نحوها ، ولن تقضي لها حاجة ، فمثلا لو ارادت ان يكون لها رداء بسرعة لكان في امكان كيت ان تتلكأ في كيه او تتعمد الاهمال وتحرقه .

بعد ان سمعت آجنس كيت وهي تنادي ، ظلت في حجرتها تراقب وتسمع ، واغلق الباب المؤدي الى القاعة لكن آجنس ذهبت وفتحته قليلا . خرجت مريم من حجرتها مهرولة من الجانب الاخر للقاعة وهبطت الدرج . ولو كانت كيت تلك الخادم الجديدة على شيء من التهذيب كما هو المفروض ،ولو كانت الام قد اوضحت لها كيف تتصرف في مثل هذه الامور عندما جاءت للمنزل في اول الامر ، لكان من الطبيعي ان تصعد الدرج بهدوء الى باب حجرة مريم وتطرقه طرقا خفيفا . وقفت آجنس وراء باب حجرتها ، ومن خلال الفتحة راقبت مريم وهي تهبط الدرج الى الطرقة حيث ينحني السلم لتقابل كيت في منتصفه .

قالت كيت وهي تناول مريم التلغراف « لقد وقعت باستلامه . ولدي ما اغليه على الموقد » قالت هذا غير انها وقفت تنتظر حتى انتهت مريم من قراءته ذلك لانها كانت فضولية للغاية وعصبيتها هي التي جعلتها تنادي باسم مريم بطريقة نابية .

لم تكن مريم في مثل خفة آجنس ولم تكن رشيقة ، ففمها واسع جدا مثل فم امها وهي ذات ذكاء ونالت تعليما في المدرسة ثم في جامعة شيكاغو ، بينا آجنس لم تنل تعليما. فعندما كانت آجنس ـ والتي تكبر اختها مريم باربع سنوات ـ على وشك ان تتخرج من مدرستها الثانوية ، غامر والدها كأي أبله وفقد في مغامرته هذه اموالا طائلة . وبعد مضي ثلاث او اربع سنوات استطاع ان يقف على قدميه مرة اخرى وعرض على آجنس ان تعود لتواصل تعليمها لكنها لم ترد ان تفعل ذلك ، فلم يكن من السهل عليها ان تعود الى فصل تكون هي اكبر من فيه .

ان آجنس لتؤمن انها اجمل من مريم ، وتعلم انها اجمل حقا وتعتقد انه من العبث تضييع الوقت مع الكتب ، فالرجال لا يحبون المرأة التي تدمن القراءة . وهي تملك شعرا غزيرا لامعا بنيا مشوبا بحمرة ولها عينان جميلتان جذابتان خضراوتان تشوبهما رمادية خفيفة . ولقد انفقت وقتا كبيرا لتجعل نفسها تبدو جميلة ودفعت الثمن غاليا . وحاول هاري في بعض الاحيان ان يثنيها عن ذلك ، لكنها عرفت كيف توقفه عند حده ، ففي ذات مرة رات شيئا يحدث . كان هذا مع الخادم المتزوجة التي كانت عندهم قبل كيت . كان اسمها مسز هنري وقد القى القبض على زوجها لانه ضرب رجلا بعصا البلياردو . كانت ذات مظهر حسن ، ممشوقة ولها شعر اشقر وقد سمعت آجنس عنها اشياء واشياء . ولم تذهب آجنس بعيدا في القول بان هناك شيئا حقيقيا بينها وبين هاري . وذات يوم كان هاري في المطبخ حيث كان يجب الا يكون ، وكان

انوقت في رائعة النهار ، وفكرت آجنس في انه لا بد وان يكون على شيء من المرح، وقد حاول ان يحصل على قطعة من الدجاجة المحمرة من الثلاجة ولم ترد مسز هنري ان تمنحه اياها . وذهبت آجنس الى باب المطبخ ووقفت ترقب . قالت مسز هنري انه اذا اخذ هاري اية قطعة من الدجاجة فلن يكون هناك ما يكفي الغداء . كان اسمها الاول « آليس » وقد قال هاري « يا للشيطان يا آليس ؟ » وعندئذ بدأت تدفعه عن الثلاجة وكان الاثنان يضحكان ، ودفعها هاري دفعة سريعة وادارها الى الخلف تماماً ، ثم سكمها على عجزها ودل هذا على شيء ما .

وفي ذلك اليوم كانت كيت الخادم الجديدة تضطرم بالفضول ، فهي لم تعبأ حقا ما اذا كان هناك ما يغلي في المطبخ . فاذا تلقت عائلة تلغرافا وكانت لدى العائلة خادم ريفية جاءت من المزرعة فهي دائما ما تعتقد ان هناك شيئا مخيفا قد حدث . ان الريفيين والفلاحين لا يتلقون تلغرافات الا عند موت فرد ما . ارتجفت يد مريم وهي تفتح الظرف وصعدت الى حجرتها وارتدت قبعتها ومعطفها وهبطت الدرج ونادت اباها من حجرة امها واسرت اليه بكلمات قليلة لم تسمعها آجنس بالرغم من انها كانت في « القاعة العلوية » تتسنط ، وعندئذ خرجت مريم . ولكن بعد ذلك سمعت آجنس اباها يرجع الى حجرة زوجته وتسمعه وهو يتحدث معها عن التلغراف الذي ذكر فيه ان توم هالر سيأتي يوم الاربعاء . ان اليوم هو الاثنين فحسب . لقد جاء ليتفق مع مريم على الطلاق. ان الامر هكذا .

لقد القت آجنس على مريم نظرة فاحصة قبل ان تخرج ورات كم هي منزعجة ومضطربة . وفكرت « اني مسرورة انها تقاسي » ولكنها خجلت وقالت « كلا ، لست كذلك »

لقد اعتقدت ان هناك شيئا حدث عندما رجعت مريم الى البيت من شيكاغو منذ شهرين وقد تداولت مع امها « مولى ديلسون » في همس دائم . وكانت هناك نظرة غريبة ثابتة في عيون مريم . لم يكن لها عيون جذابة كمثل عيون آجنس ، فعيونها كابية الزرقة فكرت آجنس اولا « اراهن على انها حبلى » ولكنها اخيرا قبل ان تكتشف الحقيقة ، غيرت رأيها عن ذي قبل (تزوجت مريم توم هالر منذ ثلاث سنوات ، وقد حصلت عليه مريم عندما ذهبت الى المدرسة في شيكاغو) لاحظت آجنس اشياء على مريم ، وتعجبت لماذا تبدو دائما كما لو كانت تبكي ولماذا تترك نفسها تسمن ، غير انها اكتشفت ان الامر ليس كما ظنت اولا وكان من المضحك ان مريم لم تخبر آجنس وكذلك لم تفعل امها بالرغم من عائلة ويلسون من النوع الذي يخفي اسراره . وقد تصورت انها لو كانت هي نفسها ـ لو كانت هي التي تزوجت توم هالر لا مريم ـ فما كان يمكن ان يحدث هذا بسبب ما شعرت به لاو لمرة رات فيها توم هالر عندما جاء الى « كارلسفيل » ليتزوج مريم . واعتقدت انها لو كانت هي ، فلا بد انها كانت تحمل بطريقة سليمة ، وقررت انها لو كانت قد تزوجت لكان هذا الطريق الاسلم . وقد فكرت « اراهن اني استطيع ان افعل هذا » .

كانت لديها افكار عديدة بعد ان تلقت مريم التلغراف وقبل ذلك منذ ان تزوجت مريم توم . لقد حضر توم الرشيق الاشقر من شيكاغو وتزوج مريم في منزل ويلسون في « كارلسفيل » وكانت آجنس اشبينة العروس وكانت حفلة الزفاف هادئة لان الفريد ويلسون يشتغل بالسياسة ، فقد كان غضوا في مجلس الولاية وكان عليه ان يدعو كل فرد . ومما يدعو الى الفكاهة ان اثنين من اهم الناس في كارلسفيل كان يجب ان يدعوا ، لكنه لم يدعهما على الاطلاق لاسباب سياسية . لقد فكر في ان يدعوهما لكنه لم يفعل وارسلت آجنس رقاع الدعوة بالبريد وحملتها الى مكتب البريد بعد ان كتبت العناوين ، وأخذت رقعتي الدعوة من كومة الرقاع ومزقتهما . وكانت زوجتا هذين السياسيين نادرا ما تدعوا الى مكان ما من قبل عليه القوم ، ومع ذلك فلم تتبين آجنس جيدا لماذا فعلت ذلك .

لقد ظنت هي نفسها انها كانت رائعة وهادئة اثناء العرس وقد حضر توم هالر ومعه رجل اخر وهو رجل فاضل ـ لكنه بالتأكيد ليس بالجذاب جدا . كان اكبر من توم وهو مدرس للانجليزية او شيء شبيه بهذا ويلبس نظارات وخجول . لم تحبه آجنس على الاطلاق ، بجانب انه فقير وذكي وقصير النظر . وان آجنس لتراهن باي شيء على ان توم قد اقرضه النقود لكي يحضر الى كارلسفيل من شيكاغو . وبالرغم من انها لم ترد ان تقول اي شيء عن مريم ، فلم يكن في مقدورها ان ترى ما يعجب توم ومريم في بعضهما ، بينما لو كانت مريم قد انتبهت الى ذلك المدرس ـ فهو ومريم يحبان القراءة ـ لكان هذا اكثر توافقا . وبالطبع لم تقل هي اي شيء مثل هذا . انها تحب توم ، ومرة عندما كانت تهبط الدرج في المساء الذي سبق حفلة الزفاف ـ وكانت في أعلى في حجرتها تحاول اعداد ثوبها وكانت تريد الهبوط لتريه لامها ـ قابلت توم على الدرج . وفجأة أخذها بين ذراعيه وقبلها ، وقال ان هذه قبلة اخوية ولكنها لم تكن . انها تعلم عن ذلك اكثر من هذا .

واخيرا ، هذا اليوم ، بعد ان اكتشفت ما علمه جميع افراد عائلة ويلسون ، ولم يعبأ احد باخبارها ، صعدت آجنس الى حجرتها وجلست بجانب النافذة . وكانت لديها ساعة صفاء ان تجلس هناك وتفكر ، ومن ثم لم تر العائلة ان من الحكمة اخبارها . وكان توم هالر آتيا كي يرى مريم ليتحدث معها في موضوع الطلاق ، وعلى اية حال لن يتزوج توم ثانية حتى يحصل على الطلاق ، وسوف تساعده مريم في ذلك بالرغم من والدها ، ولن تعبأ بالنفقة. ان مريم غبية ، وانها لتتذكر تلك اللحظة على الدرج مع توم في الليلة التي سبقت العرس . فكرت آجنس « انهم جميعا اغبياء » وقررت ان العائلة اذا استمرت في اخفاء الامور عنها ، فانها ستحتفظ لنفسها بدورها بخططها الخاصة . لقد جلست لحظة ولديها افكارها ، ثم نهضت ونظرت الى نفسها في المرآة . لسوف يصل توم هالر بعد يومين وفكرت « سوف اذهب واحصل لي على امان دائم غدا . »

القاهرة مجاهد عبدالمنعم مجاهد

تقولين لي

✳

تقولين لي .. والشباب الحزين يعربد في خطوي المثقل
وينسل .. ينثر احلامه الظماء على ضفة الجدول
لتمضي الى البحر بحر الوجود وتنحل في موجه المرسل
كئيب.. وخلف الضباب الكثيف بعينيه .. سر الهوى الاعزل
يسير .. وفي روحه حيرة الطريق .. وصمت المدى المسدل
وتضرى باعماقه ثورة الكرامة عبر الدجى المعول

★ ★ ★

تقولين لي .. دع ظلام الطريق واشباحه السود في معزل
ولا تخنقن ربيع الشباب بروحك : في ظلمة الهيكل
وغن الصباح نشيد الضياء فكم لك في النور من منهل
لك اليوم فامرح به ما غد ؟ سوى حلم كالصدى المهمل
اذا لم يغن الشباب الحياة فما العمر ؟ ما روعة المأمل ؟

★ ★ ★

تقولين لي - وأنا تائه مع الدرب - في الغيهب الاليل
وحولي من اغنيات السنين بقايا دم الوتر الاول
وانت كما تشتهي الامسيات حياة تغني وفكر خلي
نجاواك في خفقات الصباح ودنياك في مرح البلبل

★ ★ ★

انا - يا صديقة - حس يذوب على روعة الفجر اذ ينجلي
وروح طروب يحب الحياة وينهل اضوائها من عل
ويغزل - من وحيها - لحنه فيغفو الخيال على المغزل
ولكنني شاعر حطمت اغانيه ، زمجرة المعول
اسير وأسقي بذور المنى دمي ، وحياتي ، ومستقبلي
واجري لاحصد منها الثمار فيحطم عسف الدجى منجلي
فماذا تريدين من شاعر طوت عمره لوعة المبتلي ؟

★ ★ ★

انا - يا صديقة - رغم الظلام سأجري الى عالم افضل
تموج الحقيقة في روحه وتنساب في فجره المقبل
وتحتضن الحب قيثارة تغرد للشاطىء الاول
فحسبي من العمر وحي السماء وطهر الحياة .. فلا تسألي

بنت جبيل - لبنان

محمد حسين فضل الله

اساليب الشعراء

بقلم وجيه مبروك

*

ان الاسلوب في النقد الادبي يعني طريقة التعبير. والتعبير وليد الفكر ، متأثر به ، خاضع لظروفه، وان ما ينطق به المتكلم او يكتبه الكاتب هو صورة من صور تفكيره . فاذا كنا نجزع من الموت فان استقبالنا له متفاوت الصورة : فمنا المؤمن الصابر، ومنا الثائر المحزون ، ومنا المتشكك في جدوى الحياة ، ومنا من يجمع في نفسه بين احوال كثيرة متباينة .

وعناصر الاسلوب الادبي ثلاثة : الافكار ، الصور ، التعبيرات (نظم العبارات والافكار) والاسلوب الادبي قوامه العاطفة الصادقة التي تعبر عن نفسها في اشكال كثيرة ، والتي هي مصفاة تمر فيها الافكار المختلفة ، ونافذة تطل منها الافكار ، وهي تذكي الخيال ولا تقنع بالوصف في حدود الواقع المألوف لانه لا يشبع الحاسة الادبية في الانسان . فاذا كنا نريد وصف فرس سريعة وصفا ادبيا فاننا لا نقنع بان نقول انها فرس سريعة جدا ، لان هـذا التعبير عادي لا يثير اعجابا ولا يوقظ شوقا. اما اذا وصفناها بانها :

اذا ما سابقتها الريح فرت وألقت في يد الريح الترابا

فا نالسامع يتيقظ لمدى سرعتها ، بسبب عنصر الخيال الذي اقام سباقا بين الفرس والريح وجعل للفرس السبق على الريح بحيث انها خلفتها وراءها تتلقى التراب الذي يثيره جريها .

ويبدع الشاعر علي محمود طه أيما ابداع ، حين يصف طارق بن زياد وغزواته فيصوغ ما يجول في ذهنه من افكار في صور جميلة جذابة وبتعبيرات يعز على غيره من الشعراء ان يأتي بها فيقول :

اشباح جن فوق صدر الماء تهفو باجنحة من الظلماء
أم تلك عقبان السماء وثبن من قنن الجبال على الخضم النائي
لا ، بل سفين لحن تحت لواء لمن السفين ترى وأي لواء
ومن الفتى الجبار تحت شراعها متربصا بالموج والانواء
ما زال يرمي الروم ـ وهو سليلهم ـ ويديل من قرطاجة الغلباء
من علم البدوي نشر شراعها وهداه للابحار والارساء

وهكذا يجذب انتباهنا هذا القول البديع ، والخيال المجنح ، فترانا نحلق مع الشاعر في سماء خياله . في حين تجد شاعرا اخر يغوص في أفق الخيال ويقول :

سللت له الحسام فخلت أني شققت به لدى الظلماء فجرا

ويتطرق ابن كلثوم الى فن اخر من فنون الخيال وهو ـ تكثير القليل ـ بقوله :

ملأنا البر حتى ضاق عنا ونحن البحر نملؤه سفينا

ومن فنون الخيال ايضا ـ تكبير الصغير ـ كقول بشر يصف وقعة الاسد حين قسمه شطرين بالضربة القاضية :

فخر مضرجا بدم كأني هدمت به بناء مشمخرا

ويتطرق شاعر اخر الى فن اخر من فنون الخيال ـ وهو تخيل المعنى وتصويره في صورة المحسوس ـ وفي هذا يقول الشاعر :

مررت على المروءة وهي تبكي فقلت علام تنتحب الفتاة
فقالت : كيف لا أبكي واهلي جميعا دون خلق الله ماتوا

ويغوص العتابي ايضا خلال اطباق السحاب في وصفه للسحاب فيقول :

والغيم كالثوب في الافاق منتشر من فوقه طبق من تحته طبق
ان معمع الرعد فيه قلت منخرق او لألأ البرق فيه قلت محترق

واننا نعجب كثيرا بالحكم التي تنبت في شعر المتنبي، وتجيء معبرة عن شعوره الخالص في موقف من المواقف كما في قوله يخاطب سيف الدولة :

يا اعدل الناس الا في معاملتي فيك الخصام وانت الخصم والحكم
أعيذها نظرات منك صادقة ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
أنا الذي نظر الاعمى الى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم
اذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن ان الليث يبتسم

وقد كان المتنبي شاعرا طموحا معتزا بنفسه وفنه ، وكان كثير من الناس يكيدون له عند سيف الدولة حتى اضطر في النهاية الى مفارقته . وهو في هذه الابيات يعاتب سيف الدولة على استماعه لهؤلاء الوشاة ، ولكنه يجيء في اثناء هذا العتاب بحكم صادقة عن الحياة في مثل قوله :

أعيذها نظرات منك صادقة ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وفي مثل قوله :

اذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن ان الليث يبتسم

ونحن نتأثر بهذه الحكم لانها جاءت متصلة اتصالا وثيقا باحساس الشاعر فتحولت من مجرد افكار ذهنية الى شعور وعاطفة . وفرق كبير بين هذا الاسلوب وبين اسلوب صالح بن عبد القدوس مثلا في قوله :

المرء يجمع والزمان يفرق ويظل يرقع والخطوب تمزق
ما الناس الا عاملان : فعامل قد مات من عطش واخر يغرق
وزن الكلام اذا نطقت فانما يبدي عيوب ذوي الكلام المنطق

ولا شك ان في هـذه الابيات كثيرا من النظرات الصائبة في الحياة ، ولكننا لا نستجيب لها ولا نتأثر بها لان الشاعر عرضها عرضا ذهنيا ولم يربطها بتجارب معينة تهيء وجداننا لها من ناحية ما . وتبعا لهذا الاسلوب قسم الشعراء عند القدامى الى اربع طبقات : اولهم الفحل ـ الخنذيذ ، ودونه المفلق ، ودون ذلك الشاعر ـ فقط ـ ، ورابعهم الشعرور او الشويعر .

وقد أشار بعضهم الى هذه الطبقات بقوله :

الشعراء فاعلمن اربعة شاعر يجري ولا يجري معه
وشاعر يجول وسط المعمعة وشاعر لا تشتهي ان تسمعه
وشاعر لا تستحي ان تصفعه

القصة الانكليزية

بقلم ج.ب بريستلي

*

ان سئلنا : ما الذي كان يحدث للقصة الانجليزية في اوائل هذا القرن كان لنا الحق بان نصيح : « كل شيء » .. وندع « كل شيء » هكذا . ان القصة الانجليزية تابعت ما كان القصاصون الانجليز قد بداوا به منذ قرنين ، فوضعت يديها على معظم مواضيع الحياة .

بدات القصة الانجليزية ، تكتنه ما تزخر به الحياة فاقتربت من الموضوعية الى حد كبير . ولكن هذا لا يعني ، ان القصص الذاتية قد قلت قيمتها ، كل ما نعنيه ، انه ـ مثلا ـ عندما اكتشف علم الاجتماع وضعت القصة الاجتماعية ، وعندما اكتشف التحليل النفسي ، وضعت القصص التحليلية النفسية .

ان كثيرا من كتاب القصة الانجليزية المعاصرين هم اشبه بالصحفيين منهم بالادباء ، لان جل اهتمامهم موجه الى نقل الحدث الحياتي نقلا فوتوغرافيا اشبه بالريبورتاج الصحفي ، وضوءل اهتمامهم بالشخصية والحدث الروائي. ولكن .. هل قضت القصة الانجليزية الحديثة على القصة القديمة ؟ ان قصص جين اوستن ووالتر سكوت وديكنز لا تزال تقرأ ... مثلما تقرأ مسرحيات برنارد شو . كل ما في الامر ان طرق المعالجة والاسلوب ومنابع الوحي قد اختلفت باختلاف العصر ، ذلك ان التطور الاجتماعي يفرض على اساليب الادب ان تتطور هي ايضا ، فالادب شديد اللصوق بالحياة .

في مطلع القرن العشرين بدات محاولات القصاصين الانجليز للتخلص من الاساليب القديمة . وكانت اول محاولة للكاتب اركيبهالد مارشال ، الذي عالج حياة القرن العشرين بالطريقة التقليدية القديمة . ثم تبعت تلك المحاولة ، محاولات ، وليم دي مورجان ، الذي عاد الى ضباب ومرح القرن التاسع عشر في قصته « جوزيف فانس » . وعالج موريس هيولت القصة التاريخية في « الملك ريتشارد » . واخذ معظم الكتاب الشباب آنذاك ، يعالجون القصة ،فكتبوا قصصا ، لا يحق لنا ان نسميها فنيا قصصا . وعلى الرغم من ذلك فهي نسيج وحدها لانها تعالج الشخوص باسلوب جديد . ومن هؤلاء الكتاب : و.هـ. هوسن كيغيث جراهام، والتر دي لامير ، ج.ك شاترتون ، جيمس ستيفنس ، وصموئيل بتلر الذي تعد رائعته : Way of all flesk بحق من اعظم القصص التي ظهرت في الادب الانجليزي ، لانها تهاجم ما كان الناس ، يعتقدون فيه المثالية ، تهاجم العهد الفيكتوري بافكاره الدينية والتربوية ، وحياته العائلية وقد لفتت تلك القصة انظار النقاد ، بان عليهم الا ينظروا للقصاص كفنان فقط ، بل ايضا ، كناقد اجتماعي ، وفيلسوف .

اذا القينا نظرة عامة ، على قصص القرن التاسع عشر وقصص القرن العشرين ، لاحظنا اختلافا واضحا بين الفئتين . ان قصاصي القرن الماضي ، يريدون ان يقصوا حكاية ان يعرفوا القارىء ما الذي حدث لتوم ومابل .. وهكذا يبدأون ، الحدث الروائي في الفصل الاول ، ثم يتبلور الحدث وينتهي في الفصل الاخير . كانوا يهتمون بان يجعلوا الاحداث معقولة ولا تعارض خط سير الحياة ، ولكنهم ، لم ينجحوا في هذا كثيرا .

اما اليوم فقد اتخذت القصة الحديثة طريقة اشد لصوقا بالحياة من سابقتها وهي المعروفة بطريقة « البحث عن مفاهيم الحياة » Slice of Life . انها الطريقة التي لا تحاول اخبارك ما الذي «حدث» لتوم ومابل بل تحدثك عن كيف « بدت » الحياة لتوم ومابل في وقت ما .

« ان ما احاول ان اتجاوب معه ليس الا الحياة. انني اود ان اقص عليكم نفسي بانطباعاتها الاجمالية عن الاشياء والناس . ان اعبر عما اشعر به نحو القوانين والتقاليد والعرف والافكار التي تؤلف بمجموعها المجتمع الانساني ، وكيف نخدع نحن الافراد ونضيع في مجاهل الحيرة . » هذه كلمة من هـ.ج ويلز وهي تعبر تعبيرا صادقا عن ارائه واهدافه .

اما ميزة القصة الانجليزية هي التجاوب مع الحياة تجاوبا كاملا Render Life اما شيوخ الادباء ، فقد وجهوا اهتمامهم نحو القوانين والعادات والافكار التي تؤلف بمجموعها المجتمع فاعطونا مفاهيما للحياة اشبه بقطعة خبز جافة ، منتزعة من « رغيف » علم الاجتماع . اما ادباء الشباب فقد حرصوا على مبدأ « اود ان اقص عليكم نفسي » حرصا شديدا فعرضوا علينا نماذج متعددة لافكارهم . كانت محاولتهم تلك لاسر طير الحياة الجارح ، واقتناصه بشبكة صنعت من كل خاطرة ، وكل رفة وكل فكرة عابرة .

لم يعالج الادباء الشيوخ الشخصية Chacter والحادثة Action معالجة فنية . اما ادباء الشباب فقد اختفت الشخصية والحادثة من قصصهم ليحل محلها ذلك السيل المتدفق من الافكار والخواطر . كان لهذه المدرسة لحظات من النصر ولكنها كانت تتطلب تضحية بالشخصية والحادثة ، فاستحالت بسرعة الى قصص مملة .

اما اعلام القصة الانجليزية الذين دفعوا بها الى مقام القصة العالمية ، فاذكر منهم « جوزيف كونراد » الكاتب الرومانتيكي في « السهم الذهبي » و هـ.ج ويلز في « الرجل غير المنظور » و« وادي العميان » وسومرست موم الذي يعد من اعظم كتاب القصة في العالم كله .

وكاد هذا النوع الرابع من الشعراء يجري مجرى الامثال في يومنا هذا ، فاصبح يقال للشاعر غير المجيد والذي لا يخلو شعره من الركاكة والغث وسقط الكلام بقولهم له ـ يا رابع الشعراء .

عمان — وجيه مبروك

قصة لاوسكار وايلد

ابن النجم

ترجمة احمد عبد الله عبد العزيز

كانت الارض مغطاة بالثلوج فكانها عروس في ثوب زفافها وكانت الحيوانات قد اختبات في اوكارها من شدة البرد الا البومة التي كانت مسرورة بذلك الطقس .

وفي تلك الساعة كان حطابان يواصلان سيرهما باحذيتهما الحديدية فوق الثلوج وكم كان فرحهما عظيما حين شارفا قريتهما بعد سير طويل مضني . وقهقها عاليا عند ذاك الا انهما عادا فتذكرا انهما بائسان فقيران وان وراءهما اطفالا ينتظرون القوت فقال الاول : لم الفرح يا صاح والحياة عابسة لنا مبتسمة للاغنياء ؟ انه خير لنا لو صرعتنا الثلوج في الغابة اذن لاسترحنا من هموم الحياة ...

وهز صاحبه رأسه علامة الموافقة واضاف قائلا : في الحقيقة ان الكثير من متاع الدنيا معطى للاقلية وليس هناك ما يتمتع به الفقراء غير الحزن والاسف .

وفيما هما غارقان في افكارهما السوداء خر نجم لامع من السماء قاب قوسين منهما او ادنى ، وصاح كلاهما من فرط الفرح وركضا لالتقاط النجم الذهبي ، وحين وصلا الى القرب منه وجدا رداء من الذهب مرصعا بالنجوم .. وفكا الرداء ليقتسما ما بداخله من الذهب ولكن ماذا وجدا ؟؟ لم يجدا ذهبا ولا فضة بل .. غلاما صغيرا نائما .

وقال الاول لصاحبه: «وماذا يفيدنا الطفل ؟؟ لندعه في موضعه ولناخذ رداءه فان لدينا من الاولاد ما لا نقوى معه على ان نوفر لهم الخبز والطعام الضروري » .

فأجابه صاحبه : « انه لمن الظلم ان نتركه يهلك بين الثلوج ومع ان على اشباع افواه جياع تنتظرني ومع قلة ما في يدي من النقود الا انني ساخذه الى زوجتي لتعني به » .

وما ان تم كلامه حتى التقط الطفل بكل تؤدة ولفه بردائه عائدا الى قريته وزميله يسخر من حماقته .

وحين وصلا الى القرية قال الثاني « لنقتسم ما لقيناه فخذ انت الطفل واعطني الرداء » فأبى الحطاب الاول قائلا ان الرداء ملك الطفل وافترقا

وطرق باب داره فخرجت زوجته تحمد الله على سلامته واخذت منه حمله وحزمة الحطب وازاحت الثلج عن حذائه فابتدرها قائلا : « لقد اتيت لك بشيء ثمين من الغابة لتعتني به » ورفع الرداء عن وجه طفل صغير ينعم بالنوم .

« يا لسوء الحظ ؟؟ اليس لدينا من الاولاد ما فيه الكفاية حتى تضيف اليهم واحدا ؟؟ ومن يدري لعل سوء الحظ يحالفنا بمقدمه ؟؟ »

« انه ابن نجم من السماء ، ولا تيأسي من رحمة الله فان الله يرزق الطيور في وكناتها ولن يضن عليه بما قسم له من رزق » .

« ولكن الطيور تموت شتاء من الجوع والوقت الان شتاء ، آه اغلق الباب فانني احس ببرد شديد ان الرياح الشديدة تدخل حيث القلوب القاسية » .

وهنا لان قلب الزوجة ودنت من الطفل ترنو الى عينيه الزرقاوين وقبلته ثم اضجعته في فراش اصغر الابناء حتى الصباح حيث نزعت عنه ثوبه وسلسلة من حول رقبته فاودعتهما صندوقا كبيرا . وشب الطفل بين ابناء الحطاب ، وكان كلما كبر عاما ازداد جمالا فوق جمال فهو ابيض كالعاج المنحوت وشفتاه ورده حمراء وعيناه صافيتان صفاء الماء وشعره كخواتم النرجس ولكن لم يكن ذاك الجمال ليجلب له غير الشر فقد جعله متعجرفا شريرا يحتقر كل الناس حتى ابناء الحطاب وكان يذهب الى بركة قريبة ليرى صفحة وجهه الجميل ، وكثيرا ما استدعاه كاهن القرية طالبا منه ان يقلع عن كبريائه والا يحتقر غيره ولكن ذلك كان يزيده جفاء الى جفاء وقسوة الى قسوة .

وذات يوم مرت بالقرية عجوز رثة الثياب تنزف قدماها دما من وعورة الطريق وما ان رآها ابن النجم حتى استدعى رفاقه من غلمان القرية واخذ يقذف العجوز بالحجارة ويسخر منها ونظرت اليه نظرات ملؤها الرهبة والتفكير . وعندما رأى الحطاب ـ الذي كان يقطع الاخشاب قريبا منه ـ ذلك ركض اليه يوبخه على ما اقترفه نحو المراة المسكينة ولكن ابن النجم احمر وجهه واستشاط غضبا وضرب الارض بقدميه قائلا : « من انت حتى تسألني عما افعل لست ابنك حتى تتحكم فيّ ولكني ابن النجم » .

ولما سمعت المتسولة ذلك صرخت واغمي عليها وحين استيقظت من اغمائها في بيت الحطاب قالت للحطاب : « الم تقل انك وجدت ذلك الغلام في الغابة ؟ الم يكن ذلك قبل عشر سنوات ؟ وماذا كان في رقبته؟ سلسلة كهرمانية اليس كذلك وكان رداؤه ذهبا موشى ؟؟ »

واكد الحطاب صحة قولها فاخرج الرداء والسلسلة الكهرمانية من الصندوق ، وحين رأت ذلك بكت من شدة الفرح وصاحت « انه ابني الذي اضعته في الغابة وها قد طفت العالم بحثا عنه فاحضره لي لاراه » .

وذهب الحطاب وزوجته الى الغلام وعادا به الى البيت بعد ان انبآه ان امه في انتظاره ، وما كاد يراها بانتظاره حتى ضحك باحتقار وقال « انك لحمقاء ؟؟ أاكون ابن متسولة بشعة رثة الثياب ؟؟ اغربي عن وجهي فلست بحاجة لك » .

« ولكنك ابني الذي سرقه مني اللصوص ليموت في الغابة ؟؟ لقد عرفتك من اول وهلة لقد طفت بقاع الارض كلها بحثا عنك فتعال معي » .

ولكن الغلام اوصد قلبه واصم اذنيه عن سماع نشيجها واضاف :

« حري بك ان تنصرفي عنا فقد حلبت لي العار ، انا ابن نجم لا ابن متسولة كما تزعمين ، اغربي عن وجهي فخير لي ان اقبل افعى او ضفدعا من ان اقبلك » .

وعادت الام ادراجها وعاد الغلام لزملائه وما كادت ابصارهم تقع عليه حتى هزئوا منه قائلين « ابتعد عنا فلن نلعب معك ، انك قذر كالضفدع كريه كالافعى » وانفضوا من حوله ونظر الى نفسه في الماء فراى وجهه كوجه الضفدع وجسمه كجسم الافعى فارتمى على الارض يبكي ورن في اذنيه صوت عقله « هذه خطيئتك لقد انكرت امك وطردتها بقساوة فابحث عنها واستغفرها » وازمع ان يبحث عن امه في كل مكان فاخذ يعدو متقفيا خطاها ينادي امه باعلى صوته ولا مجيب حتى اذا جنحت الشمس للمغيب افترش بعض اوراق الشجر لينام ففرت الطيور من جانبه لوحشيته .

وعاود البحث في صبيحة اليوم الثاني وكان يسأل كل شيء يمر به عن امه حتى الخلد وحتى الطيور ولم يكن يجد لديها جوابا .

وواصل سيره اياما ثلاثة بلياليها دون جدوى بل كان الاولاد يرجمونه بالحجارة ويطاردونه كلما مر بقرية من قراهم .

وفي احدى الامسيات وبعد مسيرة ثلاثة اعوام لاقى فيها من العذاب والمشقة الشيء الكثير وصل ابواب مدينة محصنة بجانب نهر وكان منهكا خائر القوى . وهم بالدخول لو لا ان تصدى له اثنان من الجنود وضحكا من خلقته الدميمة يتهيآن لطرده لو لا ان تبرع عجوز ثري كان قريبا منهما بان يشتريه بكمية من الخمر

وتمت الصفقة وقاده الثري الى داره ، وامام الباب عصب عينيه واقتاده داخل الحديقة الى زنزانة ضيقة حيث قدم له خبزا عفنا وماء اجاجا ثم اقفل عليه الباب حتى صبيحة اليوم التالي حين جاءه قائلا: « في الغابة القريبة من هذه المدينة ثلاث قطع ذهبية : الاولى بيضاء والثانية صفراء والثالثة حمراء وعليك اليوم ان تحضر الاولى والا فسأجلدك مائة سوط وموعدك المساء حيث تلقاني عند باب الحديقة » وسار ابن النجم حتى وصل الغابة التي اخبره عنها سيده الساحر وكانت مليئة باشجار العوسج والعليق تخزه وخز الابر ، وجد في البحث عن قطعة الذهب حتى الظهيرة ولكن دون جدوى وفي المساء طفق يبكي ولكنه في طريقه راى ارنبا في فخ فهرع اليه وحل وثاقه . وشكر له الارنب حسن صنيعه وسأله عن بغيته . وحين اخبره بمطلبه قاده الارنب الى حيث القطعة الذهبية فالتقطها وعاد الى المدينة مسرورا .

وما كاد يصل البوابة حتى اعترض طريقه مجذوم تتقد عيناه شررا وطلب منه ان يعطيه نقودا ولكن ابن النجم اجاب بانه لا يملك غير قطعة الذهب التي جاء بها من الغابة .

وتوسل المجذوم اليه بمرارة ان يعطيه اياها فتملكته الشفقة وجاد بها عليه.

وحين وصل بيت الساحر دون قطعة الذهب انهال عليه هذا ضربا ولم يقدم له طعاما وقضى ليلته في حجرته الضيقة على الطوى .

وفي اليوم الثاني قال له الساحر : « اذا لم تحضر اليوم القطعة الصفراء فسأبقيك عبدا لي وستجلد ثلاثمائة جلدة » وعاد الى الغابة وبحث فلم يجد شيئا واستسلم للبكاء حين جاءه صاحب الارنب يسأله عن سر بكائه فانبأه بانه يبحث عن قطعة الذهب الصفراء ، فركض الارنب وهو يتبعه الى بركة ماء حيث كانت قطعة الذهب المطلوبة واخذها عائدا الى المدينة بعد ان شكر الارنب اجزل الشكر واحره.

وكما حدث له في اليوم الاول تصدى له المجذوم واعاد له نفس حديث الامس وشكا له ما يلقاه ، وكما فعل بالامس اشفق عليه واعطاه قطعة الذهب ثم عاد الى الساحر خالي اليدين فالقاه هذا في غياهب السجن بعد ان كبله بالقيود وجلده .

وفي اليوم الثالث جاء الساحر واخبره بانه ان لم يحضر قطعة الذهب الحمراء فان مصيره الموت وسار الى الغابة حيث جد في البحث طيلة يومه حتى المساء حيث اجهش في البكاء يندب نفسه ولكن فيما هو كذلك اتاه الارنب يعدو وانباه ان قطعة الذهب في كهف قريب وان لا داعي للبكاء ، واقتاده الى حيث القطعة فاخذها وهو يلهج بالثناء على الارنب الذي انقذ حياته .

وفي نفس المكانين الاولين لقي المجذوم في انتظاره واخذ هذا يتوسل اليه ويشكو اليه مرارة الجوع . فرثي له وناوله قطعة الذهب قائلا : «ان حياتك اثمن من حياتي » وانطلق في طريقه . ويا للعجيب ما كاد يدخل المدينة حتى انحنى له الجنود على الباب قائلين : « ما اجمل سيدنا ؟؟ » وتجمع حوله جمع غفير من ابناء المدينة يعجبون من حسن صورة سيدهم . وظن انهم يسخرون منه فبكى وواصل سيره وهم يحفون به حتى وجد نفسه امام قصر الملك حيث فتح باب كبير وهرع اليه الكهان وكبار رجال القصر قائلين : « انت سيدنا وابن ملكنا الذي ننتظر قدومه منذ امد»

وخر له الكهنة ساجدين واخبروه ان الوقت قد حان ليحكمهم والبسوه تاج الملك واعطوه الصولجان ولكنه لم يكن ليصدق مما يجري حوله شيئا واجابهم قائلا : « اتركوني فلست جديرا بالاحترام لانني انكرت امي ولن استريح حتى استميحها العفو فدعوني وشاني » .

وحانت منه التفاتة عارضة الى جموع الناس فراى المتسولة وبجانبها الرجل المجذوم بين الجماهير ، وخرج مسرعا من القصر ليقبل قدميها بدموع الغفران وليغسل جراح قدميها وانحنى بذلة قائلا : « اماه ان آلامي اكبر من ان اتحملها فاغفري لي ما اسلفت من ذنب ولاعد بعد ذلك اهيم في الغابات » ولم تملك الام الا ان تضع يدها على راسه تباركه وامرته بالنهوض ، وكذلك فعل الرجل المجذوم ونهض ويا للعجب ؟؟ لقد كانا الملك والملكة ؟؟

وتقدم منه ابوه المجذوم قائلا : « هذه امك التي غسلت جراحها بدموعك » ، وعانقاه وقبلاه ثم ادخلاه القصر وخلعا عليه الالبسة الثمينة والحلل الفاخرة وسلماه التاج والصولجان ليحكم المدينة .

وحكم بالعدل والرحمة ، ولم ينس الحطاب وابناءه بل اغدق عليهم العطاء واكرم وفادتهم ، وكسا الفقراء واطعم الجائعين وعم الناس السلام والطمأنينة في حكمه .

ولكن حكمه لم يطل لكثرة ما لقي في حياته من آلام اذ بعد اعوام ثلاثة مات ليحكم من بعده رجل شقي .

الاردن ـ حنين   احمد عبدالله عبدالعزيز

حكاية وردة

•

وانا في طريقي الى عملي ، اشتريت ورده
كانت حمراء كالدم، ندية كالفجر، متفتحة كقلبي..
قط لم أشتر من قبل ورده ولا اعرف الان ابدا لم اشتريتها
لو كنت اعرف احدا في هذه المدينة الضائعة ، لطرت بها اليه ، مضمخه بعطر قلبي ..
ولكني هنا ،وحيدضائع ـ كوردتي
كل يوم اذرع المدينة الكبيرة باحثا عن اللاشيء
وعدة ملايين ، أراهم يذرعون المدينة مثلي ، لعلهم يبحثون عن اللاشيء ايضا ..
هناك فرق واحد فقط بيني وبينهم ، هو انهم غالبا بصحبة اصدقاء وزوجات وخطيبات .. وانا دائما وحدي ..
لم اشتريك يا ورده ؟ لقد ظلمتك كثيرا ..
كانت احرى بك يدان لطيفتان ، او صدر جميل ، او قلب يطفح بالالفة والمحبة ، ما اتعس وحدتك معي يا ورده ، اني لا اعرف هنا احدا ، ولكني مستعد لان اهبك لاول عابر طريق يمر في وجهي ولو مقابل ابتسامة ..
ولكنهم هنا يخيلون جدا يا ورده ، بخيلون حتى بالابتسامات ...
وضممت وردتي الى فمي فلثمتها ، وشربت عبيرها
وبينا انا كذلك ، غافلتني واختلست من عيني دمعتين كبيرتين وخبأتهما بين خديها ..
وبدت المسكينة مزهوة بسلبيتها . فلم ادر الا وانا اقتلع خديها خدا خدا ..
وبدون أي شفقة ، آكلها واحدا واحدا ..
ولما بان لي قلبها الشاحب ذليلا مستصغرا
أكلته ايضا ، ورميت بساقها اليابسة الى الارض وسحقتها بقدمي . .
.. وانا اسحق الساق اليابسة ، شعرت بقلبي يميد ويميد حتى يصل الى الارض فينسل تحت قدمي ويضطجع بجانب الساق المنسحقة في صمت .

حلب — عبد الوهاب سايس

سراب

•

أيتها الآلهة مات قلبي الخفوق ونضبت دماء حياته
وانصهرت مقومات قدرتي
لقد ضاع اللحن الازلي في فيافي الوجود
ايتها الآلهة الشفوق لهيب الشموس يحرقني
والجدول الرقراق هيمان حولي ...
هناك كنا رفاق صغار تعشقنا الطبيعة
واحببنا زرقة السماء وظللنا وشاح الغروب
فاحمرت جباهنا السمراء وافترت ثغورنا
لقد جالسنا الوجود في صفاء جميل
كالشمس الوضوح في رابعة النهار
حيث كان نضر الزهور يفترش الارض كالحرير الوردي
والكلأ الاصفر كالاصيل الذهبي يناجي الطيور الشوارد
على جزوع النخيل والشاطىء مغناج
على ايقاعها النسيم والموج يتدحرج من الشلال
كاللؤلؤ الفضي الى نهاية الحياة .
حيث الخلود السرمدي أيتها الآلهة الحنون
هناك بمحاذاة الجدول رأينا الشعاع الاحمر
والطير الغريد يملأ الكون أغاريد
احبتها قلوبنا وتجاوبت لها ارواحنا اذ كنا احباء .
أوجدنا الخالق معا منذ رأينا الشعاع الاحمر
والحلوك الاسود والنجوم الراقصة فوق رؤوسنا
هناك شببنا عن الطوق وتخطينا الطفولة
وتأزرنا ببراقع الصبا وكرت الايام كالقطار
وسجلت اعوام وغافلني الزمن الخؤون
فبت هنا وحدي امام الجدول أرثي ما كان
لقد ضاع اللحن الازلي وراء السراب .

دمشق — منور فوال

ان جلبت له مؤلفاته العديدة الناجعة شهرة واسعة ، ودونت اسمه في سجل الادب العربي الذهبي . فرمى بين أيدينا منذ مدة، كتابه « اكابر » كناية عن مجموعة قصصية استوحى موضوعاتها الكاتب من صميم الحياة اللبنانية المتطورة تطورا ملموسا ، بعد ان حرص اشد الحرص وابلغه ، على ان يدمج فيها الاسلوب الجلي ، الذي لا يشوبه غموض او ابهام ، في جمل متناسقة الاوصال ، تتسم طابعا جذابا بحيث يشعر القارىء ان بامكانه ان يقرأها ـ أي القصص ـ في الشارع ، في الترامواي ، في السيارة ، على مكتبه ، في فراشه ... دون ان يتملكه سأم ، او يعتوره ملل ، ودون ان يتوسط بينه وبين مفرداتها أي قاموس ... فالمعاني غاية في التانق والبساطة والابتكار والروعة ، مع العلم ان صاحبها يكتب للخاصة وللعامة معا في هذا الكتاب في اسلوب ادبي ممتع يفتقره كتاب القصة في شرقنا العربي في اغلبية الاحايين .

ولا عجب اذا رأينا « ناسك الشخروب » يدأب في كتابه هذا ، على ان تكون اشخاص قصصه مرآة تنعكس عليها وجوه اشخاص كل بيئة ، وزمن ، على اختلاف نحلهم ومللهم ..

كيفما سرت وانما نزلت تجدهم : في الحانات يعربدون ، في الحقول يرعون مواشيهم ويسهرون عليها خوفا من انياب الذئاب الضارية، في الدور يقبعون في زوايا الغرف يثرثرون ، خلف الاشجار الوارفة الظلال يقطعون بفؤوسهم اغصانها ، وينزعون عنها فلذات احشائها وينهبون اعشاش العصافير وهي ـ أي العصافير ـ بعد بحاجة الى حنان الام وغير قادرة على التحليق في الفضاء ، في الغابات يتذوقون طعم الحب ، في الشوارع يستجدون بعين منكسرة وصوت ابح ، وحبات المطر تتدفق على رؤوسهم المكشوفة ، والرياح تصفر من حواليهم وقد اخذ منها الجنون كل مأخذ ، على حافة الطريق يهشمون بمطارقهم الحجـارة ويفتقونها بازاميلهم ...

على اننا لدى انتهائنا من القصة ، نجد ان المؤلف صور لنا الداء وتفشيه في البيئة ، وعجز عن تشخيص الدواء تاركا هذه المهمة للقارىء او قل لا يريد ان يفسد النفس لوصف « روشته » .

ففي قصة « مصرع ستوت » نرى « ستوتا » تتنقل في القرية طارحة اخبارها امام كل فرد تصادفه ، او تلج مسكنه . والسكان لم يتذمروا منها رغم ثرثرتها المتواصلة . لقد احبوا السماع الى قصصها حتى باتت هذه تنسيم اتعابهم ، وتدعهم ينصتون اليها في أغلب الاوقات بشوق ولهفة هذا وكانت ستوت لا يفوتها خبر خير ، او خبر موحـش . فسميت «تلفون الضيعة» . وكانت منازل الضيعة تفتح ابوابها على مصاريعها امام ستوت ما عدا منزل واحد هجره رب العائلة الى ما وراء البحار ، تاركا فيه امرأته الحسناء . فحمقت ستوت واضمرت لصاحبة البيت الشر . وذات ليلة رأت من خلال نافذتها منزل جارتها ، يشع بنور ضئيل . وبعد قليل غادره شخص بسيارة كانت تنتظره . عند ذاك المشهد ، فركت ستوت يديها ، وقالت في نفسها « الان وقعت ايتها اللعينة في قبضتي يدي » . وقبل ان ينبلج نور الصبح ، أخذت ستوت تنشر خبر خيانـة الزوجة ، جارتها . لكنها جرت اذيال الفشل الذريع ، اذ علمت ان الزائر انما كان اخ المرأة الصبية ..

وبعد مدة قصيرة رأت ستوت ان منزل جارتها يتلالا بالانوار . فقامت للحال تقصده متسلحة بعصاها . وكم كانت فرحتها كبيرة عندما وقفت تحت نافذة احدى الغرف ، وسمعت المرأة تقول : « لماذا طولت الغيبة يا حبيبي ؟ » فرجعت على اعقابها والبهجة طافحة على بشرتها ، اذ انها ستعمد في الصباح الى اذاعت ما سمعت اذناها . وقبل ان تصل بيتها ، وقعت ستوت في حفرة وقضت نحبها .

وفي اليوم التالي كان اناس يشيعون ستوتا الى مرقدها الاخير ، واناس آخرون يهنئون زوج جارتها بسلامة وصوله من ديار الاغتراب ... اذا ، نرى في هذه القصة ان ستوت النعيمة موجودةفيكل مكان وزمان .

وفي قصة « صادق » يخبرنا المؤلف عن حياة صادق ، وما جرت له من بلايا ، جعلت حظه ابدا في هبوط . لماذا ؟ لان صادقا دأب ان ينطق بالصدق ولو كلفه ذلك قطع رأسه .. هذا وصدقة قاده في نهاية الامر الى دياجير السجن ، حيث ما لبث ان شنق نفسه ، بعد ما ارتأى ان العيش بسعادة بعيد عنه بعدا شاسعا . وعثر في جيبه على ورقة جاء فيها : « تبا لدنيا لا مجال فيها لصادق » .

وهكذا يسير النعيمة في سرد قصصه في « اكابر » بطرافـة ، وتسلية تحمل القارىء انيواصلقراءتهللقصةحتىالنهاية،كييظفربمغزاها.

فهنيئا لقراء لغة الضاد بهذا الكتاب الدسم ، وهنيئا لناسـك الشخروب به وبامثاله .

ابراهيم عبدو الخوري

[تتمة المنشور في صفحة ٢٩]

يتعلق بالجسيمات او الجزيئات الاولية كالالكترونـات والنيوكليونات انفسها ، التي لا تخضع حركاتها ومواقعها ومراكزها لاحكام المراقبة ، على عكس الحال الخاصـة بالاجسام غير المجهرية : الاجسام الكبيرة .

ففي الحين الذي تفرض فيه النظرية الحاليـة ازدواجية التضاد بين فكرة المجال والاجسـام المختبـرة Duality between the concepts of fields and test bodies أظن انا شخصيا انه لا بـد من شكل رياضي جديـد New mathematical form للقوانين الفيزيائيـة تفرض وجود مجالات بدون اجسام مختبرة ، وذلك ليس من الوجهة الفيزيائية او الطبيعية المادية فحسب ، بل ايضا من الوجهة العقلية او النظرية . كذلك يجب ان يعبر بدقة كلية عن صفة « التكميلية » Complementarity بين قياس مجال ما له موضوعه الذري ، من جهة وبـين وصف هذا الموضوع الذري نفسه من جهة اخرى .انهاتين الامكانيتين يجب ان تدفع احداهما الاخرى بصورة تلقائية Automatically exclusive نتيجة لشكل معقول من اشكال نواميس الطبيعة .

وقد اعرب عن مثل هذه الاراء والافكار بوهر نفسـه وغيره آخرون من كبار العلماء . ولا اود ان اشدد هنا باننا وجهالوجه امام عملية تجريد جديدة Lyrothetical domain حيث لم يقم بعد شيء على الاختبار او ينهض على دليـل قاطع من التجربة وكل امكانية من هذه الامكانيات القائمة امامنا لا تثبت الا بنسبة ما تأتي التجربة مؤيدة لها . وما ذكري لهذه الامكانيات العقلية الا لاذكر بصورة عامة ان الانسان يجب الا يفكر بهذه الامور المعقدة بالشكل العـادي الذي اتبعناه عبر أجيال في تفسير الطبيعة وتعليل مظاهرها بل يجب ان يكون ابدا مهيء الذهن للاخذ بنظريات تجريبية وعقلية جديدة لم يرد لها ذكر من قبل ، في تضاعيف هذه النظريات التجريدية التي عرفناها .

ونحن لعلى يقين بان العقل البشري سيطلع علينا دوما باراء ونظريات تنطبـق بعض الشيء على المحسوسـات الخارجية التي عرفناها عن طريق حواسنا ، فنتخذ منهـا شاهدا على وجود المادة او الهيولى والطاقة وكلها موضوع علم الفيزياء ، اذ ان العقل البشري القائم في داخلنـا والمحسوسات التي نتبينها في الخارج ، كل هذا وذلك يخضع لنظام كوني واحد .

يوسف اسعد داغر

ظهر حديثا

● شلال الاسود ـ تاليف محمد الصباغ ـ ١٢٤ صفحة ـ لوحة الغلاف للرسام المكسيكي روخاس ـ المطبعة المهدية بتطوان المغرب .

● مؤتمر الادباء العرب الثاني (المنعقد في دمشق بين ٢٠ ـ ٢٧ ايلول ١٩٥٦) ـ كلمات الافتتاح ، المحاضرات ، التعليقات ، المناقشات ، التوصية النداء ـ ١٦٥ صفحة ـ حجم كبير ـ [لم يذكر اسم المطبعة] .

● البطريرك مكسيموس الرابع ، في امريكا بداعي المؤتمر القرباني الدولي السادس والثلاثين في ريو دي جانيرو ـ ١٧٢ صفحة ـ مع عدة صور ـ حجم كبير ـ هدية مجلة المسرة ـ المطبعة البولسية حريصا لبنان .

● رباعيات الخيام ـ للدكتور جميل الملائكة ـ مع تصدير بقلم الانسة نازك الملائكة ـ ٥٢ صفحة ـ مع عدة لوحات بريشتي الفنانين العالميين غوردون روس وادمون سوليفان ـ الغلاف بريشة الفنان علي الشعلان ـ مطبعة الرابطة ببغداد .

● يقظة العالم الاسلامي ـ الجزء الاول ـ تاليف ف.و. فرنو ـ ترجمة بهيج شعبان ـ علق عليه الشيخ سليمان ظاهر عضو المجمع العلمي العربي ـ مع تمهيد بقلم علي ناصر الدين ـ ٣٠٨ صفحة ـ منشورات دار الحكمة للتاليف والترجمة والنشر بيروت ـ مطابع الوفاء بيروت .

● شق الفجر ـ قصة ـ تاليف يوسف حبشي الاشقر ـ ١١٨ صفحة ـ [لم يذكر اسم المطبعة] .

● النصوص السائغة : مختارة من تراث العرب في الكلام والفلسفة ـ طبعة ثانية منقحة مشروحة ومجهزة بفهرس معجمي مفصل ـ ٢٤٦ صفحة ـ دار ريحاني للطباعة والنشر بيروت .

● كسب محبة الغير ـ الكتاب رقم ١٨ من سلسلة دراسات سيكولوجية: كيف نفهم الاطفال ـ تاليف هيلين شاكستر ـ ترجمة السيد محمد عثمان بالبحوث الفنية بوزارة التربية والتعليم المصرية ـ اشراف وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي المستشار الفني لوزارة التربية والتعليم المصرية ـ اشراف وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي المستشار الفني لوزارة التربية والتعليم المصرية ـ ٩٦ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية ـ مطبعة مصر

● رسالة الى ناظم حكمت وقصائد اخرى ـ ترجمة عبد الوهاب البياتي ـ قدم له الدكتور علي سعد ـ ١١٨ صفحة ـ مطابع دار الكشاف بيروت

● قناديل اشبيلية ـ مجموعة قصص ـ تاليف الدكتور عبد السلام العجيلي ـ ١٤٧ صفحة ـ مطابع دار الكشاف بيروت .

● النزعة الاشتراكية في الاسلام ـ تاليف انور الخطيب ـ مع تقديم بقلم الشيخ محمد جواد مغنية رئيس محكمة الاستئناف الشرعية الجعفرية ـ ٢٧١ صفحة ـ منشورات دار العلم للملايين بيروت ـ مطابع دار العلم للملايين بيروت .

● العراق في خدمة العرب ـ موقف العراق من الاحداث الاخيرة في الشرق الاوسط : اسرار ووثائق خطيرة تكشف لاول مرة ـ ٤٨ صفحة ـ مع صور عدة وثائق بالزنكوغراف ـ منشورات مديرية التوجيه والاذاعة العامة العراقية ـ مطبعة الرابطة بغداد .

● المجد للاطفال والزيتون ـ شعر ـ لعبد الوهاب البياتي ـ مع مقدمة بقلم عبد الرحمن الشرقاوي واحمد سويد المحامي ـ [الصفحات بدون ارقام وليس لها فهرست] مزين بالرسوم بريشة حسن فؤاد ـ منشورات دار الفكر بالقاهرة ـ دار الهنا للطباعة والنشر [؟]

● بعد الاصيل ـ شعر ـ للدكتور نقولا فياض ـ ١٠٤ صفحة ـ دار الاحد بيروت .

● عرق ، وقصص اخرى ـ تاليف جبرا ابراهيم جبرا ـ مع دراسة بعنوان عبر الارض البوار ـ بقلم توفيق صايغ ـ ٢٠٥ صفحة ـ لوحة الغلاف بريشة الفنان جواد سليم ـ منشورات المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر بيروت ـ مطابع وزنكوغراف نصار [؟]

● عالم ولكنه صغير ـ مجموعة قصص ـ تاليف عادل ابو شنب ـ مع مدخل الى القصص بقلم جلال فاروق الشريف ـ ١٤٢ صفحة ـ لوحة الغلاف بريشة PID والرسوم الداخلية بريشة فاتح المدرس ـ مطبعة الجمهورية بدمشق .

● عائلة أ. ق. ـ قصة ـ تاليف الدكتور جورج حنا ـ ٨٢ صفحة ـ منشورات دار العلم للملايين بيروت ـ مطابع دار العلم للملايين بيروت.

● هل تدمع العيون .. ـ مجموعة قصص ـ تاليف نصر الدين البحرة ـ الغلاف بريشة غازي الخالدي واللوحات الداخلية بريشة ممتاز البحرة ـ ١٠٤ صفحة ـ مطبعة الجمهورية بدمشق .

● حياة الفكر في العالم الجديد ـ تاليف الدكتور نجيب محمود استاذ الفلسفة المساعد بكلية الاداب بجامعة القاهرة ـ ٣٠٣ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ ملتزم الطبع والنشر مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة .

● حضارة انطاكية عبر العصور ـ تاليف نخلة ورد ـ ٢٤٦ صفحة ـ حجم كبير اخراج انيق وورق ممتاز مع عدة رسوم ـ مطبعة صفدي التجارية بسان بولو البرازيل ـ ويطلب هذا السفر القيم من ادارة الجمعية الخيرية الانطاكية وعنوانها :

Sociedade Beneficente Antioquina — Rua Corrêa Dias, 136 — São Paulo — Brasil.

● محاضرات مختارة من الموسم الثقافي في بغداد لسنة ١٩٥٥ـ١٩٥٦ ـ السنة الدولية للجيوفيزيكا للدكتور عبد الجبار عبدالله ، الحركة الفكرية في المغرب العربي للدكتور نقولا زيادة ، نظرة في رباعيات الخيام للدكتور احمد شاكر شلال ، الغابات في العراق للدكتور حسن كتاني ، مشاهدات في امريكا للسيدة سعاد العمري ـ مع مقدمة بقلم عبد الرحمن خالد القيسي مدير العلاقات الثقافية ـ ١٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مجلة المعلم الجديد ببغداد ـ مطبعة المعارف بغداد .

● تطور اقتصاديات الشرق العربي ـ تاليف يونس صالح الحريثي معاون مدير الادارة في المصرف الوطني العراقي ـ ٧٢ صفحة ـ دار العلم للملايين بيروت .

● ازهار شبابي ـ شعر ـ لفاضل محمد العاني ـ ٣٢ صفحة ـ منشورات مطبعة الغري الحديثة في النجف العراق .

● prisoners of time — by thurayya malhas — a book of poetry — 196 pages — Printed by Rihani Printing & Publishing House, Beirut — Khayat's College Book Cooperative 32 & 34 Rue Bliss, Beirut Lebanon.

● L'Eveil de la Conscience Picturale en Egypte (Le Groupe de l'Art contemporain) — par Aimé Azar — Avant-propos d'Eric de Nemes — 82 pages gd. f. — Extrait de « Peintres de l'Egypte Renaissante » — Imprimerie Française Le Caire Egypte.

في كلمات ...

● تحدث البروفسور انطوان لاكاسان من معهد الراديوم الفرنسي ، في اكاديمية العلوم الفرنسية عن علاقة التدخين بسرطان الرئة فقال ان مادة اكتشفت في التبغ ادت الى احداث السرطان في الفيران وقال ان احد عشر فارا حقنت بالمادة المعروفة باسم دبينزو بيرين فكانت النتيجة ان اصيبت هذه الفئران باورام سرطانية خلال عدة ايام .

وتحدث البروفسور كريستيان تشامبي من جامعة باريس في اكاديمية العلوم الفرنسية ايضا فقال ان طبيبين من المشتغلين بالابحاث المتعلقة بالسرطان استطاعا احداث السرطان في خنزيرين دون استخدام اية مادة كيمائية وذلك بان انفقا انسجة العصب الوركي فادى ذلك الى اصابة الخنزيرين باورام سرطانية ادت الى قتلهما في مدة قصيرة .

● صنع معهد الابحاث الخاص بالاجهزة والاوائل الطبية في موسكو نموذج جهاز طبي جامع يدعى اوزو ـ ١ » ويستخدم هذا الجهاز في معالجة الامراض باحداثه في الاغشية الخارجية والاعضاء الداخلية اهتزازات ما فوق الصوتية (اولترا ـ سون) .

ويمكن للاشعاع الناجم عن الطاقة ما فوق الصوتية ، ان يتم بصورة متواصلة اوبواسطة دفعات ، وذلك في اي من التوترات الثلاث التالية : ٤٥٠ و٩٠٠ و٢٥٠٠ كيلوسكل . والطاقة القصوى للاشعاع المتواصل لا تقل عن ٤٠ وات ، وبدفعات تتراوح بين ٦٠ ـ ٨٠ وات للدفعة الواحدة منها . وتحدد كمية الاشعاعات بواسطة مقياس خاص (ميزان ما فوق الصوتية) مثبت فوق الجهاز .

وقد جرب جهاز اوزو ـ ١ » في معالجة امراض الجهاز العصبي في اطراف الجسم مثل التليف ، والتليف القعدي ، وسبنديلو ارتروز وغيرها .. وشعر المرضى » بعد الجلسات الاولى ، بان اوجاعهم قد خفت . وهذا ما شعر به ايضا حتى المرضى الذين تلقوا من قبل ، دونما جدوى ، علاجات اخرى لمدة طويلة .

هذا وقد بدا المصنع التجريبي في المعهد بصنع كمية محدودة من هذه الاجهزة مخصصة لمؤسسات الابحاث الطبية .

● صرح الدكتور فيليب شديد نقيب الاطباء اللبنانيين ان اوضاع معظم (الافران) في بيروت اليوم هي غير صحية بسبب ان النار او دخان المازوت على الاقل يمر فوق الخبز الموضوع على بلاطة موقد الفرن فيمتزج اثر المازوت او دخانه بذرات الخبز ليكون مواد عفنة ربما تكون ضارة بالصحة وفي بعض الاحيان سامة .

فعلى وزارة الصحة ان تتخذ التدابير السريعة لتغيير اوضاع الافران وارغامها اتباع الوسائل الصحية . فهناك كثير من الناس يصابون بالام معوية من جراء فساد طريقة تحضير الخبز في افران المازوت ولكنهم لا يدرون سبب اوجاعهم .

● اعلن الدكتور دنهام هارمن البروفسور في جامعة كاليفورنيا في مؤتمر علمي عقد في الجامعة المذكورة ان تجارب اجريت على فئران حقنت بمادة كيمائية ، اثبتت ان في الامكان اطالة عمرها ٢٠ بالمئة .. وان ذلك يمكن ان يطبق على الانسان ..

ويقول الدكتور هارمن : ان هذه المادة اذا اعطت النتائج ذاتها على الانسان فان في الامكان اطالة حياة الانسان من ١٢ الى ١٤ سنة .

● كانت امراة شابة في غرفة العمليات في مستشفى فيكتوريا بمدينة سوموث وكان ثلاثة اطباء وممرضة يساعدونها على الوضع وقبل ان يخرج الجنين سمعوا صراخه ... ومعروف ان الجنين ، لا يمكن ان يبكي قبل ان يتنفس ولا يمكن ان يتنفس قبل ان يرى النور .

ويقول الاطباء الذين سجلوا هذا الحادث الغريب ، ان وقوع مثل هذا الحادث محتمل ولكنه نادر جدا .

● شاهد اخيرا اعضاء « رابطة الكتاب المختصين بشؤون الطيران في اميركا الشمالية» نموذجا لطائرة المستقبل وهي ذات محركات تدار بكليتها بالطاقة الكهربائية المستمدة من نور الشمس مباشرة ، بواسطة حجيرة السيليكون الشمسية .

وهذا النموذج صنعته شركة هوفمان للصناعات الالكترونية في لوس انجلوس بكاليفورنيا . ويقول رئيس الشركة في حديث له عما حققته الشركة من اعمال في حقل فيزياء الاجسام الصلدة ان من اروع ما اخرجته مختبراتها هو هذه الحجيرة الشمسية التي تولد لاول مرة كميات ، فعلية ، من الطاقة الكهربائية مستمدة من نور الشمس مباشرة .

ثم يقول هوفمان انه بالرغم من ان هذه الحجيرات الشمسية غير قادرة حتى الان على جعل الطائرة النموذجية المعروضة باكورة طائرات المستقبل ، وان كل ما تستطيعه هو ادارة محركاتها ، فان التطور السريع الذي احدثته خلال فترة قصيرة ، نسبيا ، كان مدهشا حقا .

وهذا التطور سار بسرعة بحيث بتنا نعتقد وثيقا باننا نستشرف عهدا قريبا ستتحقق فيه امور كنا نظنها في امس الغابر اضغاث احلام . ففي خلال بضعة اشهر لا غير زادت فعالية مختبراتنا التي تولد الطاقة الكهربائية بواسطة اجهزة حجيرة السيليكون الشمسية فارتفعت من ٢ الى ١٢ في المائة . وهكذا فان الحلم الذي راود العلم يوما بتزويد سقف كل منزل بجهاز خاص يمده بما تحتاج اليه العائلة من نور ونار وقوة محركة من الشمس نفسها اصبح اليوم قابلا للتحقيق ولم يعد مجرد حلم .

● صرح مدير شركة التلفونات والتلغرافات الاميركية بانه يتوقع استخدام نظام للاتصالات التليفونية والتلغرافية في اميركا لا يهيىء نقل الكلمات والصور والموسيقى فحسب بل والمعلومات الحسابية والتقارير المعقدة الخاصة برجال الاعمال بالاضافة الى المخابطات التليفونية بين الافراد .

ثم قال ان بحوثا واسعة النطاق تجري الان لانشاء نظام يؤدي كل ما يريده الناس منه .

● يجري صنع اسرع قاذفة قنابل في العالم في بريطانيا الان . وقد اصبح صنعها في مرحلة تقدمية كبيرة اذ تخصص هذه الطائرة

لمعانه في اوائل شهر ابريل ١٩٥٧ فتمكن رؤيته بالعين المجردة ، ولعله يكون يومئذ من ابهى الاجرام السماوية التي شوهدت في القرن العشرين ، وثانيا ـ انه لن يصطدم بالارض .

والمذنب واقع اليوم في كوكبة الحوت التي تظهر في الجهة الغربية من القبة السماوية بعيد غرب الشمس » ، ولكن لا تمكن مشاهدته الان الا بمرقب .

والكواكب المذنبة كثيرة في قبة الفلك ، ولكن يندر منها ما يبلغ من البهاء مبلغا يمكن العين المجردة من مشاهدتها .

ومذنب آرند رولان هو المذنب الثامن الذي كشف في سنة ١٩٥٦ . وهو كسائر المذنبات مؤلف من راس او نواة قوامها كرة مجمدة من قطع من الجمد ودقائق معدنية قطرها مئات من الكيلو مترات . فمتى دنا المذنب من الشمس ذاب الجمد وتكون حوله غلاف جوي كبير . واما الاذناب فمؤلفة من غازات تمتد في الفضاء ويبلغ طولها احيانا ملايين من الكيلو مترات .

واشهر كوكب مذنب في القرن العشرين كان مذنب « هالي » الذي ظهر في سنة ١٩١٠ . وقد مرت الارض في ذنبه دون ان يؤثر ذلك فيها . وسيعود مذنب هالي الى الظهور في سنة ١٩٨٦ .

من القاذفات لمصلحة سلاح الاسطول الجوي وتعرف باسم بلاكبورن ن ا ٣٩ واما تفاصيلها فلا تزال سرية . ويعرف انها متقدمة على القاذفة الاميركية البحرية ن ٣ ج. التي هي طائرة نافورية ذات محركين ومقعدين ومن النوع المطارد . وقد حلقت بسرعة تزيد على الف ميل في الساعة .

واما نماذج القاذفة ن ا ٣٩ فقد قامت بتحليقات ناجحة وتجارب في النزول على متن الحاملات البحرية من قطع الاسطول . ولقد ادهش الخبراء البريطانيون ما قامت به من اعمال تحليقية اتمتها بنجاح كلي . ولربما تم اختيارها للعمل لمصلحة قوات الجو الملكية كما تستخدم في ميدان البحرية .

● قامت شركة جوديير للاطارات والمطاط بالولايات المتحدة بانتاج طراز جديد من الاطارات صنعت من خيطان النيلون المتينة . ويقال ان هذه الاطارات يمكن ان تسير مسافة ٢٥٠ ميلا (٤٠٠ كيلو متر) بعد اصابتها بثقب او تمزيق .

وتتالف هذه الاطارات من اطارات مزدوجة ـ اطار داخلي واخر خارجي ـ بكل منهما كمية مستقلة من الهواء . فاذا ثقب الاطار الخارجي فان الاطار الداخلي يحفظ الاطار منفوخا . وتعتقد شركة جوديير ان هذا الطراز الجديد الذي سمته « كابتيف اير » سيحل محل الاطارات الخالية من اطار الهواء الداخلي والمستخدمة حاليا اذ انها مع كونها مأمونة الا انها تضطر السائق للتوقف بسرعة عند وقوع حادث انفجار .

● تستعد احواض السفن البريطانية لبناء ناقلات تصل حمولتها الى مئة الف طن . وربما ايضا تم بناء ناقلات تتجاوز هذه الحمولة . وسيصير انزال ناقلات عديدة من مختلف الاحجام وبينها ناقلات من حمولة ٥٠ الف طن و٤٢ الف طن . مع العلم بان اسطول الناقلات البريطانية تجاوز حمولته الان المليوني طن . وتجدر الاشارة هنا ايضا الى ان احواض السفن قد تلقت عدة طلبات من الشركات ، ولديها برامج مشحونة بالبناء والعمل وهي تعمد الى وسائل جديدة في بناء الناقلات وتطبق مبدأ المنازل الجاهزة اذ ان الكثير من اجزاء الناقلات يبنى في المصانع ويأتي جاهزا الى الاحواض لتركيبه .

● صرح اثنان من علماء جامعة كمبردج انهما توصلا الى اختراع « خرطوشة » مستطيلة من النيلون تستطيع العوم من شانها ان تحل مشكلة نقل البترول وتغني العالم عن ناقلات البترول الضخمة .

ويقول العالمان الانكليزيان ان طول هذه الخرطوشة ٦٠ قدما تزن حوالي ٢٠ طنا وهي فارغة وتتسع لحوالي تسعة الاف طن من البترول . وبامكان السفن ان تجرها عبر البحار بسهولة .

والخرطوشة مصنوعة من عجائن البلاستيك القوية بحيث تستطيع تحمل ضغط الامواج ولا تكلف اكثر من مئة الف جنيه . وثمة ميزة اخرى لهذه الخرطوشة التي يمكن لفها وارسالها بالطائرة الى حقول البترول حيث تعبأ وباستطاعة السفن ان تجر اكثر من واحدة منها في كل رحلة حتى اذا ما وصلت الى الميناء افرغت من البترول واعيد شحنها بالطائرة مختصرة بذلك كثيرا من الوقت والجهد الذي تستهلكه ناقلة البترول العادية حين تعود الى حقول البترول فارغة .

وقد اجرى العالمان وليام هورثورن وجون آهو تجاربهما الاولى على امعاء بقرة عبئت بالبنزين ووضعت في بركة ماء مالح مدة طويلة كانت تعرض خلالها لامواج اصطناعية عنيفة لفحص مدى قدرتها على تحمل ضغط الامواج العاتية التي لابد وان تصادفها في البحار .

● اشترك اكثر من مئتي مهندس في اول مسابقة تجري في المانيا الغربية لوضع تصاميم لقطع الاثاث المصنوع من البلاستيك . وقد قرر كبار المهندسين الذين اشرفوا على التدقيق في نتائج المباراة ان صناعة الاثاث من البلاستيك تبشر بمستقبل حسن لان هذا النوع من الاثاث غير قابل للفناء .

وتتضمن التصاميم فكرة صنع خزائن الكتب والاسرة المصقولة بحيث لا يمكن خدشهـا الا بصعوبة متناهية ويندر ان تقتضي الضرورة اعادة صقلها . وقد رفض المحكمون تصاميم يستخدم فيها البلاستيك الذي يبدو معه الاثاث وكانه مصنوع من الخشب .

● اجتمع ما يقارب ٢٠٠ عالم ومهندس لتوجيه اهتمامهم نحو موضوع واحد وهـو كيفية بناء فرن يعمل على الطاقة الشمسية . وسيستمع العلماء خلال هذين اليومين لخمسة عشر تقريرا بموضوع الفرن الشمسي قام بتحضيرها اتحاد القوة الشمسية بمساعدة جامعة اريزونا وكلية ولاية اريزونا . ومن خصائص الفرن الشمسي انه باستطاعته انتاج الحرارة بدون تلويث الهواء بالغازات الضارة.

● بعثت الحكومة البريطانية بمذكرة جوابية الى اليابان تبدي فيها اسفها الشديد لعدم تمكنها من ايقاف التجارب الهيدروجينية التي تجري في جزر كرسيماس القريبة من الجزر اليابانية .

وكانت حكومة اليابان قد طلبت الى بريطانيا توقيف هذه التجارب التي يخشى ان تؤدي الى بوار صناعة صيد الاسماك في الجزر اليابانية بسبب تعرض الاسماك للاشعاعات النووية .

وتقول المذكرة البريطانية ان بريطانيا لا تستطيع ايقاف هذه التجارب الهيدروجينية الضرورية لسلامتها ودفاعها ما لم تتمكن الدول المعنية من الوصول الى اتفاق عالمي يغني بريطانيا عن متابعة هذه التجارب . وتؤكد المذكرة ان بريطانيا ستواصل العمل للوصول الى اتفاق لنزع التسلح على صعيد عالمي واسع .

● ان التصوير التكنيكي لجناح الطائرة ودراسة تحليق الصواريخ التي تزيد سرعتها عن سرعة الصوت ، وعملية الاستفادة من الاقنية باكثر ما يكون من السداد ، كل ذلك يتطلب اعقد الحسابات الرياضية .

ولذلك فقد صنع العلماء الروس ماكنة حاسبة اليكترونية هي ماكنة « ستريلا » السريعة الجامعة . وهذه الماكنة معروضة في القاعة الرئيسية لمركز الحسابات لدى اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي . وتستطيع « ستريلا » ان تقوم بـ ٢٠٠٠ ، ٢ عملية حسابية في كل ثانية . ويمكن بواسطة « ستريلا » ، في مدة ٢٠ ساعة ، حل مسالة يتطلب حلها بواسطة الماكنات الحاسبة العادية ٢٥٠ سنة .

● عرضت في نيويورك بطارية ذرية صغيرة جدا ويقول مخترعو هذه البطارية ان في استطاعتها انتاج كمية من الطاقة تكفي لفترات من الزمن لاحد لها وانها لا تستدعي اتخاذ تدابير وقائية من الاشعاع الذري . اما المادة الاساسية التي يستهلكها هذ الاختراع فهي فضلات المنتجات الثانوية للتفاعلات النووية المشعة .

ويقول صانعو هذه البطارية انها غيرخطرة اطلاقا .

● نشرت في لندن تفاصيل عن صنع جهاز ذري جديد في مركز هارويل جد معقد من الناحية العلمية والهندسية وقد دعي « هرمس » . والغاية منه فصل فئات من الذرات يختلف بعضها عن البعض الاخر شيئا قليلا ويفصلها ايضا عن المزيج المتعدد الانواع المعروف بعناصر الايزوتوب او الذرات المتشابهة التي يتالف من كل منها عادة عنصر ذري واحد . ويقوم هذا الجهاز على مبدأين في آن واحد اي على استخدام الكهرباء والمغناطيسية في اداء عمله الفاصل بين الذرات لتصنيفها ، ويمكن ان نسميه الجهاز الكهرمغنطي . وعلى اساسه يمكن فصل الذرات المتشابهة كيميائيا الواحدة عن الاخرى بواسطة تيار كهربائي تشترك فيه الطاقة الذرية في هذه العمليات .

وترغم هذه القوة الكهربائية والمغناطيسية التجمعات الذرية المختلفة بعض الشيء في وزنها ان تسير في اتجاهات وسبل مختلفة عبر الجهاز الذي يرمي ايضا الى فصل عناصر الايزوتوب ذات الاشعاع الذري ، اذ ان التحري عن خصائص الذرة الاساسية وعن خصائص عناصر الايزوتوب الاشعاعية المنفصلة امر عظيم الاهمية ليس فقط لتوسيع مدى نطاق معرفة فيزياء الذرة بل ايضا للوقوف على معلومات حيوية ترتكز اليها وسائل تقدم صنع المولدات الذرية والافران من الناحية الفنية . بالاضافة الى انه سيستخدم للمساعدة في القياس الدقيق للخصائص الذرية المتعلقة بمختلف اجناس البلوتونيوم وانواعه وفئاته التي تتولد في الافران الذرية . كما يفصل الايزوتوب عن العناصر الاخرى .

● اعلنت لجنة الطاقة الذرية الاميركية انها اكتشفت طرقا جديدة لصنع قنابل هيدروجينية اكثر فعالية من القنابل المعروفة حتى الان .

وتهدف الاكتشافات الجديدة للاستفادة من كل المواد التي تصنع منها القنابل الهيدروجينية الى اقصى حد ممكن بحيث يمكن بعد الان صناعة قنابل اصغر حجما من القنابل المعروفة الان وبتكاليف اقل لها نفس قوة القنابل الكبيرة ان لم تكن اقوى .

● اعلنت لجنة الطاقة الذرية الاميركية في ٢١ الشهر الماضي عن وقوع انفجار نووي سوفياتي جديد . ثم قالت ان هذا الانفجار ليس الا بداية لسلسلة التجارب الجديدة التي كان السوفياتيون قد بداوها في شهر اغسطس الماضي . واصدر رئيس لجنة الطاقة الذرية الاميركية السيد لويس اشتراوس البلاغ التالي:

اجرى الاتحاد السوفياتي يوم ٢٠ يناير تجربة اخرى للسلاح النووي في سلسلة التجارب الاخيرة التي استانفها الان للمرة الاولى بعد اعلان الولايات المتحدة في السابع عشر من نوفمبر الماضي عن التجارب النووية السوفياتية التي اجريت .

والمعلوم ان لجنة الطاقة الاميركية الذرية كانت قد اعلنت في السابع عشر من نوفمبر الماضي عن اكتشافها الانفجار في الاتحاد السوفياتي تشابه تموجاته تموجات الانفجارات النووية . وهذا الاعلان الاميركي هو الاعلان السادس عشر من نوعه من جانب الولايات المتحدة عن وقوع تجارب نووية سوفياتية كما انه الاعلان الرابع من نوعه منذ شهر اغسطس الماضي اذ بدأت سلسلة التجارب النووية السوفياتية .

● يستخدم علماء الذرة في مركز الابحاث في هارويل بانجلترا الان المولد الذري المعروف باسم ليدو لدراسة قضايا الوقاية المتعلقة باجتناب اضرار الاشعاعات الذرية وذلك قصد التحقق من امكانية استخدام الطاقة الذرية وتطبيقها على السفن والغواصات . بالاضافة الى ان علماء الاميرالية البحرية يتعاونون في هذا المضمار مع علماء مركز هارويل المذكور منذ عدة اعوام لدراسة مختلف نماذج الافران الذرية التي يمكن تطبيقها في ميدان البحرية على افضل سبيل مع معرفة نوع الوقود الذري المفضل ودراسة العوامل الخاصة بالصحة والسلامة وقضايا النفقات ورؤوس الاموال اللازمة لتحقيق هذه الفكرة من ناحية عملية .

● اعلنت وزارة الدفاع الاميركية ولجنة الطاقة الذرية ان سلسلة من التجارب النووية ستجري خلال الربيع القادم في منطقة جبال نيفادا ، لفحص عدد من الاسلحة النووية الجديدة والصغيرة بعض الشيء .

ويقول بلاغ وزارة الدفاع ان اميركا ستواصل هذه التجارب الهامة على الاسلحة النووية لتهيئة الوسائل الكافية للدفاع عن اميركا والعالم الحر ريثما يمكن الوصول الى اتفاق عالمي بشأن خفض التسلح وتحريم

استخدام هذه الاسلحة .

● استطاع المهندسون الالكتريون الذين يعملون في مصانع شركة لوكهيد للطيران من صنع ادق آلة تصوير تلفزيوني في العالم ، وهي جهاز طوله ٥ انشات فقط (٧ ر١٢ سنتيمترا) كما انه احدث جهاز يستخدم اليوم في تجربة طائرات النقل من طراز الكترا . والالة الجديدة خفيفة الوزن جدا بحيث ان آلة تصوير من الطراز المعروف تزن ٨ اضعاف وزنها بينما آلة تصوير تلفزيوني عادية تزن ٣٠٠ مرة اكثر ، اما وزنها فهو ٦٨٠ غراما فقط .

وقد روعي في صنع الجهاز الجديد اتخاذ صور تلفزيونية لطائرات الكترا وهي في طيرانها . وبواسطة هذا الجهاز ، يستطيع المهندسون الذين يجربون الطائرة الجديدة ان يروا ويدرسوا قدرة الطائرة ومتانتها وحركاتها وهي في طيرانها مما يستحيل عليهم القيام به بدونه .

ويقول م. س. هدون رئيس قسم الهندسة في شركة لوكهيد انه بفضل هذا الجهاز الدقيق تكون طائرة الكترا هذه اول طائرة ركاب توفرت لها كل وسائل الاختبار والتجربة قبل وضعها موضع العمل . وبفضل هذا الجهاز الدقيق يستطيع المهندسون الذين يجربون الطائرة ان يتبينوا عن بعد حالة اجنحة الطائرة وما لهيكلها من متانة ايضا ، فيرون على شاشة التلفزيون بادية على لوحة المقاييس امامهم ، منتهى قدرة هذه المتانة حتى حدود الانفجار .

ويمكن تركيب هذا الجهاز التلفزيوني المصدر في مقود الطائرة فتولد الشاشة صورة مساحتها ٢٧ انشا . ومما يطرب له المهندسون العاملون في مصانع شركة لوكهيد هو انهم في حال ظهور أي خلل او مشكلة لهم في الطائرة اثناء تحليقها يستطيعون توجيه الطائرة الوجهة التي يرغبون ليتبينوا وجه الامر على صحته مفصلا .

● بدأت الرحلة التجريبية الثانية للغواصة الذرية الاميركية الثانية المسماة « سي ولف » وقد بلغت تكاليف هذه الغواصة ٦٣ مليون دولار وقد غادرت احواض غروتن بولاية كونيتيكت متجهة نحو المحيط .

و « السي ولف » وحمولتها ٣٢٦٠ طنا ، اكبر واسرع من الغواصة الذرية الاولى « نوتيليوس » . اما محرك « السي ولف » الذري فيبرد بواسطة معدن الصوديوم المصهور بينما يستعمل محرك « النوتيليوس » الماء المضغوط للتبريد . ومعدن الصوديوم المصهور ياكل المعادن الاخرى مما ادى في بداية التجارب الاولى الى بعض التلف فتاخر بذلك اجراء تجربة « السي ولف » في البحر ويقول المسؤولون في البحرية الاميركية وفي الشركة التي التزمت بناء الغواصة انه مع الوقت بالامكان جعل طريقة التبريد بواسطة الصوديوم المصهور اشد فعالية من الطريقة المستعملة في الغواصة « نوتيليوس » .

وتشا الصدف ان تبدا « السي ولف » رحلتها الاختبارية في الوقت الذي جاءت « النوتيليوس » للتزود بالوقود بعد ان قطعت مسافة خمسين الف ميل بحري .

● اعلنت شركة ماركوني البريطانية انها وقعت عقدا بقيمة مئة الف استرلينية مع حكومة السودان لارسال جهازين اذاعيين مرسلين من احدث طراز للمحطة الاذاعية السودانية التي يجري بناؤها الان في ام درمان . وستبدا المحطة عملها في وقت وجيز . وقد اتخذت الحيطة لاعداد هذه المحطة بجهاز ينظف الهواء من الغبار ويبرده قبل ارساله الى جهازي الارسال . والغاية من المحطة الجديدة تكملة مهمة المحطة القائمة في الخرطوم وجمل الارسال الاذاعي او البث في متناول اكبر عدد ممكن من سكان البلاد .

● انتهى مؤخرا مد خط انابيب البترول بين الميتيفسك (تتاريا) وسبحان كولوفو (بشكيريا) وستنقل انابيب الفولاذ البترول من تتاريا نحو الشرق الى مدينة اومسك (سيبيريا الغربية) . وخط الانابيب الجديد هو جزء متمم للانابيب المارة في اراضي سيبيريا ، والتي تربط الصناعة البترولية في تتاريا وبشكيريا بمصفاة البترول في اومسك . وسيمدد هذا الخط في المستقبل القريب الى نوفوسيبيرسك ، ومن ثم الى اركوتسك (سيبيريا الشرقية) . وسيبلغ طول هذا الخط المار بالاراضي السيبيرية ٤٠٠٠ كلم تقريبا . ان مد مثل هذه الانابيب هو بمثابة مد خط حديدي يقتصر عمله على نقل البترول ومنتجاته .

● تم اعداد المصنع المصري لصنع عربات السكك الحديدية وبدأ انتاجه يخرج الى حيز الوجود ، وسيكون في طاقته اخراج عربتين كاملتين يوميا . اما مصنع القاطرات فسيبدأ انتاجه في منتصف هذا العام ليخرج قاطرة مصرية الحديد والصنع .

● كتبت جريدة الشعب المصرية تقول انها علمت انه عثر على خمسة مناجم للذهب لم تستغل بعد في الصحراء الشرقية . وقد صرح الدكتور عزيز صدقي ، وزير الصناعة المصرية للجريدة بان البلاد مقبلة على عهد رخاء كبير وان المناجم التي اكتشفت اخيرا ستدر على البلاد ملايين الجنيهات مما يساعد على السير قدما في حركة التصنيع . وقد وجدت بعض الاثار الفرعونية في هذه المناجم مما يدل على ان المصريين القدماء سبق ان استغلوا هذه المناجم .

● وكتبت جريدة الشعب ايضا تقول ان الابحاث التي اجريت في الصحراء الغربية تؤكد وجود كميات من البترول في وجهات معينة منها وقد انفقت الشركة القائمة بالبحث في الصحراء حوالى ١٦ مليون دولار منذ فبراير عام ١٩٥٤ حتى الان .

● صرح المستر انطوني موريس ممثل شركة بولي صاحبة امتياز التنقيب عن البترول في الاردن ، بانه يعتزم السفر الى الولايات المتحدة لاتخاذ الترتيبات اللازمة لاحضار برج للحفر ، استعدادا للشروع باعمال الحفر في مطلع الصيف القادم . واوضح موريس ان هذا البرج يكلف مليون دولار وان الشركة قررت احضاره على ضوء الابحاث الجيولوجية التي اجرتها في منطقة الازرق حيث تعتقد الشركة بوجود البترول .

● تكلم ناطق باسم شركة شل في لندن عن تكهناته بوجود النفط في نيجيريا فقال ان اعمال التنقيب التي تمت هناك حتى الان تبعث على الكثير من الامال في هذا المضمار . وتوصل المسؤولون باعمال التحري عن مادة النفط الى حفر آبار عديدة ظهر النفط في بعضها . وتتواصل اعمال التنقيب ، واذا ظهر ان هذه الاعمال ستصيب بعض النجاح فان مؤن النفط ستكون اخذة بالتقدم اذ ينتظر ان تكتشف حقول جديدة هناك .

● اصدرت وكالة التعاون الدولي الاميركي بيانا تضمن فيه تكاليف عمليات التنقيب عن البترول في الاردن البالغة ستة ملايين دولار . وتغطي هذه الضمانة مبلغ مليون ونصف من الدولارات التي ستصرفها شركة بادلي في لوس انجلوس بكاليفورنيا في السنة الحالية والمليون ونصف دولار التي ستنفقها في السنة المقبلة اما الثلاثة ملايين الباقية فستنفق في مدة تتراوح بين سنة واحدة و١٨ سنة . وقد صرح السيد بادلي في لوس انجلوس بان شركته ستبدا بالحفر خلال هذه السنة .

● تلقت الحكومة اللبنانية عدة طلبات من شركات تتمنى السماح لها بالتنقيب عن البترول في لبنان وقد تقدمت اخيرا شركتان اميركيتان بطلب التنقيب .

وعلم ان الحكومة ارسلت كتابا بهذا المعنى الى الامانة العامة للجامعة العربية تسالها فيه رأيها في الموضوع وكانت الامانة العامة قد

طلبت الى الدول العربية اعلامها بكل طلب من هذا النوع لدرس وضع الشركة طالبة التنقيب بقصد معرفة علاقة رأسمالهابالرساميل الصهيونية وكانت الامانة العامة ، قد اشارت في الوقت نفسه الى القرار المتخذ في لجنة البترول العربية وهو يقضي بان تتولى الدول العربية استثمار بترولها بنفسها ، بعد تأمين التجهيزات الفنية اللازمة .

كما ان مباحثات جرت بين لبنان وسوريا منذ مدةطلبت خلالها حكومة دمشق ، ان لا تعطى الامتيازات الا لشركات تابعة لبلدان محايدة لا مطمع استعماري لها في الاراضي العربية . والجدير قوله استنادا الى اعتقاد الاوساط المسؤولة ، ان الطلبات الاميركية الاخيرة تنفى علاقة الرأسمال الصهيوني بالشركات طالبة التنقيب .

● وصل الى عدن عدد من المهندسين المعماريين الروس لمد ارصفة للموانىء على طول السواحل اليمنية ، للسفن من ماخرات المحيط . وعلم ان اليمن ستدفع النفقات بعد مرور خمسة عشر عاما على الانتفاع بهذه الارصفة .

وقد وصل كذلك عدد من الاطباء الروس لانشاء المستشفيات وادارتها ، والاشراف على العيادات والمراكز الصحية دون مقابل .

● ينوي علماء الاحوال الجوية الالمان في ميونيخ ان يشنوا حربا صاروخية ضد عواصف البرد في الصيف القادم . ويعد هؤلاء العلماء عدتهم لاطلاق صواريخ تحتوي على يودور الفضة في الفيوم التي تتحول الى برد محاولة لتحويل البرد الى نتف ثلجية لا تنطوي على أي ضرر .

● جرى تصوير القمر بواسطة جهاز تلفزيوني في مرصد بولكوفو بليننغراد ، فقد نجح العاملون في الفرع العلمي للنجوم في تصوير تفاصيل القمر على لوحة جهاز تلفيزيائي في مدة واحد على خمسين من الثانية . وبفضل الجهاز التلفيزيائي توصلوا الى ان يحصلوا على تمثيل للقمر على اللوحة وقد زادت اشعته ٦٠٠ مرة . وقد قال مخترع هذه الطريقة نيكولاي كوبريفيتش لمراسل وكالة تاس :

وتجري التصويرات العادية للقمر وسائر النجوم على لوحات بواسطة مرقب ـ تيليسكوب ـ ، ولكن ذلك لا يعطي صورة واضحة نتيجة لاهتزازات الاخراج الناتجة عن تقلبات الجو .

وكانت الفكرة في زيادة ضوء الصورة وذلك باستعمال تجهيزات التلفزة ، وقد وضع على المرقب الشمسي الكبير في بولكوفو قسطل ذو حساسية كبيرة والات مساعدة وجهاز تلفيزيائي ، ومنذ التجارب الاولى نجح في اخذ عشرة مناظر لتفاصيل مختلفة من مساحة القمر ويصار الان الى تشييد مرقب خاص في مرصد بولكوفو مزود بجهاز للتلفزة .

● انزلق احد الجبال في منطقة وادي شعيب بين عمان والقدس واقفل الطريق نتيجة لذلك . وهذه هي المرة الثانية خلال السنوات الثلاث الماضية التي تحدث فيها هذه الظاهرة الطبيعية .

● صرح عالم من جامعة كولومبيا بان هناك فجوة تحت سطح الارض طولها ٤٥٠٠٠ ميل . وقال الدكتور موريس اونغ بان معظم الهزات البحرية تجري ضمن المسافة الممتدة فوق هذه الفجوة الكبيرة التي تمتد من المحيط الاطلسي حتى المحيط الهندي ومن ثم تسير بفروعها داخل البحر العربي حتى الوديان الافريقية .

[تتمة المنشور في صفحة ١٥]

ويمنحه معنى وبدون هذا المستقبل لا يمكن تصور وجود انساني . ولتوضيح هذا الاتصال والضوء الذي يلقيه المستقبل على الحاضر اقول باني لو شعرت بالعطش وحملت القدح فجأة مارا يدي نحو حنفية الماء فان هذا الوضع الذي اتخذه لا معنى له الا بواسطة الحركة التي سأقوم بها بعد لحظات وهي فتح الحنفية وملء القدح بالماء ، ثم شربه . وحركتي الخاطفة هذه ليست انقيادا « لامتثال واضح » اعيه في فكري لهذه الحركة المستقبلة كما انها ليست « انقيادا اراديا عقليا » لانجاز هذه العملية . ان الامتثالات والقرارات الارادية ليست الا من صنع علماء النفس الذين يريدون تفسير الوجود الانساني تفسيرات عقلية محضة . والحقيقة هي ان هذه الحركة المستقبلة ـ فتح الحنفية وملء القدح بالماء ـ حتى ولو كنت لا اجعلها موضوعا لتأملي الفكري فانها تعود متقهقرة من حالتها الامكانية المستقبلة الى حركاتي الحاضرة ـ حملي القدح ومد يدي نحو الحنفية ـ لتلقي عليها ضوءا ولتربطها وتغيرها وتمنحها معنى . اني منذ البداية موجودا هناك ، فاتحا الحنفية وشاربا قدح الماء ، مقذوفا في صميم هذه الحركة المستقبلة التي اواجهها منذ الان كنقص لذاتي ، وما الحركات والاوضاع التي اتخذها للوصول اليها الا وسائل لتقريبي من هذه الحالة المستقبلة ولاذابتي فيها . وكل واحدة من هذه الحركات والاوضاع المتوسطة لا تأخذ كل معناها الا « بواسطة » هذه الحالة المستقبلة . وفي الحقيقة انه ليست هنالك لحظة من لحظات شعوري لا يمكن تعريفها او تحديدها على هذا الشكل اي بواسطة علاقة باطنة مع مستقبل معين ، سواء اكنت ادخن ام اكتب ام العب الكرة ام استريح .. الخ ان معنى لحظاتي الشعورية يكون دائما موجودا هناك ، على مسافة مني ، خارجا عني . وبهذا المعنى يكون هيدجر مصيبا كل الصواب عندما يقول عن الوجود الانساني بانه « دائما اكثر بصورة لا نهائية مما يكون عليه لو حددناه بحاضره المحض » وفي الحقيقة ان هذا التحديد او هذا الرد الى الحاضر مستحيل تماما لاننا اذا فعلناه سنكون قد جعلنا من الحاضر شيئا من الاشياء اي موضوعا مغلقا على نفسه لا افق له اي ليس لديه لحظة وراء اللحظة الراهنة .

ولكن ماذا يعني هذا الـ « ما وراء » الذي نتحدث عنه ؟ لكي ندرك ذلك جيدا يجب ان نتساءل بماذا يتميز المستقبل عن غيره من الابعاد الزمنية وما هي خاصيته الجوهرية ؟ ثم ، لماذا يبدو لنا المستقبل دائما ارضا سعيدة ستتحقق عليها جميع آمالنا واحلامنا وملجأ وافيا سيخلصنا من جميع اخطائنا الماضية ومشاريعنا الفاشلة . وفي الاخير ما هو سر هذه الخيبة العميقة التي نجدها بانتظارنا دائما كلما اندفعنا نحو المستقبل وكلما سقطنا على ارض الحاضر الباردة المتحجرة ؟

ان الخاصية الاصيلة التي يتميز بها المستقبل هي انه في جوهره : حضور « مستقبل » امام العالم ولكنه حضور شعوري « هذا » الذي انا عليه الان . فهو شعور مستقبل حاضر امام عالم مستقبل وانا اكون ذلك منذ الان. اي انه شيء ينتظر شعوري الذي انا عليه في الوقت الحاضر غير ان هذا الشعور المستقبل يبدو لنا عادة وكأنه (عالم) مستقبل فقط اي اننا نراه كعالم كامل من دون ان ننتبه الى ان هذا العالم ليس في حقيقته سوى عالم يظهر لشعور معين ، شعور سيأتي في المستقبل . وليس هذا فحسب ، اي ان المستقبل لا يقتصر على ان يبدو لنا كعالم ملء مجرد من لغة الشعور الانفصالية ، الا انه يبدو لنا ايضا النقطة المثالية التي سيتحد فيها كياني السابق (الماضي) وحضوري في العالم (الحاضر) وامكاني (المستقبل) لينبثق من كل ذلك هذه الذات المتكاملة التي طالما سعيت وراءها عبثا وطالما حلمت ببلوغها .

ومن البديهي ان هذا المستقبل لن يتحقق ابدا ولا يمكن ان يتحقق ولعل هذا هو سر شقاء الانسان . ان ما يتحقق دائما هو حضور جديد في العالم كان المستقبل « يشير له » من قبل وها هو الان يواجه مستقبلا جديدا . اي اني حتى لو اندمجت بالحركة المستقبلة التي كانت هدفي اندماجا دقيقا كاملا فان هذا الاندماج سيبقى مثاليا محضا ولا يمكن ان يتحقق واقعيا : لان المستقبل لا يسمح لاحد بان يناله وهو ينزلق بسرعة من حالته المستقبلة الى الماضي ليصبح مستقبلا سابقا وعندئذ يجد الشعور الحاضر نفسه في موقفه الذي لم يتغير : نفس الانفصال عن العالم وعن الذات ونفس العدم ونفس العوز ، كل ما في الامر انه يشعر الان ومرة اخرى بنقص جديد ويرى امامه مستقبلا اخر غير المستقبل السابق . وهذا هو سر الخيبة الوجودية التي تنتظر الانسان في كل مرة يرمي بنفسه نحو المستقبل ومعنى ذلك انه حتى اذا كان حاضري الذي احققه الان مماثلا بصورة دقيقة ـ شربي قدح الماء ـ للمستقبل الذي كنت اسعى اليه ، فليس « هذا » الحاضر هو الذي كنت اسعى اليه بل كنت اسعى نحو المستقبل باعتباره مستقبلا اي باعتباره نقطة تلاقي وجودي باكمله.

والان نستطيع ان نستخلص من كل ما تقدم بان الشعور بعد وجودي للانسان وهو الكيان الوحيد الذي يجعل بوسع الانسان ان يكون حاضرا امام العالم ، ان يضع العالم كشيء اخر غير ذاته وان يكون هذا الشيء ولا يكونه في نفس الوقت . وهذا الشعور اي هذه القابلية التي للانسان في الانفصال عن العالم وفي تغيير علاقته بالعالم بصورة دائمة هي الحرية الانسانية التي هي مصدر الفعاليات كلها .

اما الزمان فقد اتضح من هذا التحليل الظاهراني لابعاده الثلاثة ـ الماضي والحاضر والمستقبل ـ ان هذه الابعاد لا يمكن ان توجد الا بواسطة مخلوق يستطيع ان يكون شيئا اخر غير العالم وغير نفسه ، ان يكون هذه الابعاد الثلاثة في آن واحد ، وهذا المخلوق ، هذا الكائن الحر هو الانسان . وعلى هذا فالزمان ليس شيئا منفصلا عن الانسان مثل الاشياء الاخرى او بحرا خارجيا يخوض الانسان عبابه بل هو قانون وجوده نفسه . انه لكي يوجد ولكي يعي العالم ولكي يحقق ذاته لا بد ان (يتزمن) بالزمان ، ان يحيا في الزمان بواسطة الزمان . وفي اللحظة التي ينقطع فيها هذا الزمان عن الجريان ينهار قانون الوجود باكمله ويصبح الانسان كتلة من الحجر . ومعنى هذا كله ان الزمان هو الشرط الذي لا شرط بعده لكي يظهر شعور الى الوجود ، لكي يولد انسان .

فرنسا ـ بواتييه **نهاد التكرلي**

[تتمة المنشور على الصفحة ٧]

الفارق الكائن بين طفل التاسعة وطفل العاشرة . ولكننا نلحظه كثيرا بين طفل التاسعة وطفل الثالثة . الدورات تختلف وان كانت ضمن وحدة واحدة . هذه الوحدة عينها تمر في مراحل متمايزة. وهو شرط من شروط النمو، الذي تقوم عليه حياة الانسان ، والذي بدونه لا توجد تربية .

ولقد جاء علم الطب ، وعلم النفس ، وعلم الاجتماع ، تقرر هذا التقطيع الى مراحل. فمظاهرالنمو الجسمي لا تكون في عهد الطفولة مثلهافي سن العاشرة. ومظاهرالنمو النفسي لا تكون في سن العاشرة مثلها في سن الطفولة . ومظاهر النموالاجتماعي لاتكون في الصغرمثلها في عهدالشباب اذن لا شك في ان الانسان ينمو . ومعنىالنمو الانتقال من مرحلة الى مرحلة . هذا النمو يحدث بصورة دورية ، استمرارية ،دون توقف . لذلك هو عملية متصلةواحدة . وان تقطيعنا اياها الى مراحل ، يفيد من ناحيتين : فهو تبسيط ، كي لا يصعب فهمها علميا ... وهو تسهيل لعملية التعليم التي هي قوام التربية . ولكن هذا لا يلغي صعوبة الاجماع في الاتفاق على تبني تقسيم النمو الى العدد ذاته من المراحل . فقد اختلف علماء النفس ، من هذا القبيل ، لانهم لم يرتكزوا على المسلمات عينها . انطلقوا من بدايات مختلفة . ولما كانت النفس البشرية غير خاضعة لمعيار خارجي واحد ، فمن المستحيل القول بان هذا التقسيم او ذاك هو الاصح ... هو الاوفق ... هو الاحق .

ولكن هناك شيء من الاجماع ، في التقسيم ، بين علماء تحليل النفس . فالتحليل النفسي يميز ثلاث مراحل متميزة في حياة الطفل : ١) المرحلة الاولى تمتد من المهد حتى نهاية السنة الخامسة من العمر . يمكن تسميتها بمرحلة الولد ، ٢) المرحلة الثانية تمتد من الخامسة الى اوائل دور المراهقة ، اي الى نحو الحادية عشرة، او الثانية عشرة ، او الثالثة عشرة من العمر . يمكن تسميتها بمرحلة اليافع ، ٣) المرحلة الثالثة هي عهد البلوغ الذي يمتد الى حياة الراشد ، اي الى الثامنة عشرة من العمر . يمكن تسميتها بمرحلة الشاب . ونلحظ ، في كل مرحلة من هذه المراحل ، استجابات ثلاث : جسمية ، ونفسية ، واجتماعية . وقد اقتاست التربية بهذا التقسيم النفسي ، فجعلت مراحل التعليم ثلاث : الحضانة ، والمرحلة الابتدائية ، والمرحلة الثانوية .

الام

قلنا بان التربية تبدأ مع الولادة ، بل قبلها ، ولا تنتهي الا بنهاية الانسان ، لانها تكمله عقل وتهذيب واخلاق . الواقع ان التربية تستغرق العمر كله ، في حياة الانسان ، بل اكثر من العمر . فقد راينا كيف ان الذات الواعية هي امتداد للذات اللاواعية .. كيف ان الطفل هو والد الانسان.

ولكن الطفل لا يأتي العالم خلوا من كل ميل . لقد اثبتنا ، في الحديث عن الوراثة، ان الطفل مجموعة قابليات ينبغي لها ان توجه التوجيه الحسن ... اي التوجيه الذي يلائمها . لهذا قلنا بان اول مبحث في التربية يجب ان يكون دراسة لنفسية الطفل . تلك القابليات ، التي تشحن معه ، من اين تأتي ؟ أمن الوراثة ، التي تصله بالاجيال المدبرة ، وتجعله امتدادا لها في الاجيال المقبلة ؟ ام من البيئة ، التي تتلقاه اول بدء ، وتطبعه بخصائصها المحلية ؟ مهما يكن من امر ... أكانت القابليات وراثية ام بيئية .. فالام هي أسبق الاشخاص، في الحالين ، الى قولبة الطفل منذ البداية . هي أقرب الى الطفل من سواه . هي ، بالنسبة اليه ، المجتمع الانساني كله . هو لحم لحمها ، وجسم جسمها . يحيا بحياتها ، ويموت بموتها . لا محيص لنا ، اذن ، من ان نصيبها اولا بالدرس ... من ان نبدأ بها ، قبل ان نبدأ به، لانها صاحبة الكلمة في ديمومة البقاء البشري صاحبة الوصل ، والقطع ، فيما بين الاجيال . ولذا كانت التربية الاولى هي من وظائف الام ، وخصائصها المرموقة . وهو الامر الذي يبرر كتابة هذا البويب عنها .

الواقع ان الام وعاء ، او قالب ، تنسكب فيه الآدمية.. يفرغ فيه نوعنا الانساني ، وينتقل من والد الى مولود ... من جيل سلف الى جيل خلف . بالام يستمر البقاء في صيرورة الزمان . وهل يعقل ان تكون المرأة ، والحالة ذه ، ناقلة النوع الآدمي ، دون ان تتأثر بها نفس المولود بعض التأثر ؟ يصعب ، ولا شك ، تأكيد مدى تأثر الجنين بعصبية الام . ان العلم الحاضر لا يثبت شيئا ، من هذا ، بصورة يقينية . اذ ليس للعبقرية قالب خاص ، يفرغ فيه الاولاد، فيخرجون من كبار العظماء . ان قالبا كهذا ، يستحيل ايجاده بالتربية ، لانه من تهيئة الطبيعة . غاية التربية ان تجعل من كل طفل رجلا حرا ... ان تزرع فيه بذور الخير . وذلك في مقدور مساعينا البشرية .

ولكن وجود الشك ، في التأثر ، كاف لوجوب اتقاء الاسباب التي تشوه الطفل ، نفسا وجسما . ان العلاقة جد وطيدة ، بين اخلاق الجنين وانفعالات الام ، النفسية والجسمية . فنحن نعلم ان الفطر العادية ، السلمية ، تتأثر الى حد بعيد بمحيطها . هناك التماثيل البديعة ، والصور الجميلة ، والانغام المؤنسة ، والمناظر الطبيعية الساحرة ، والاستكانة ، والاستقرار ، وغيرها وغيرها ، تحدث شعور ارتياح وانبساط ، في نفس الناظر اليها . وعكسها يحدث شعور انزعاج وانقباض . هذه المظاهر كثيرا ما تكون سببا لتغيير في الامزجة .

من الصعب ان نفصل بين الجسم والنفس . ومن الصعب ان نفصل بين الانسان والطبيعة . من منا يستطيع ان يرسم الخط الفارق بين افعولات الجسم وافعولات النفس ؟ ومن منا يستطيع ان يرسم الخط الفارق بين مظاهر الانسان وظواهر الطبيعة ؟ ان كل معضلات الفكر البشري ، في أبعد مجالاته ، ناتجة عن ميلنا الى التجزئة.. تجزئة الانسان الى جسم ونفس . ثم تجزئة الجسم الى قسيمات ، وتجزئة النفس الى حالات . وهكذا قل عن الطبيعة . فاننا نجزؤها الى ظواهر مفككة . في حين ان التفاعل قائم بشدة بين الجسم والنفس ... وقائم بشدة بين الانسان والطبيعة . فهل من عجب اذا كان المرء يفعل في الطبيعة ، وكانت الطبيعة تؤثر في المرء ؟ هل من عجب، او غرابة ، في ان نقول بان الطبيعة تهز اعصاب المرأة الحامل ... وبان الجنين ينفعل بعصبيتها المتحدة ؟ لقد ذهب ديكارت الى ان عناية الانسان بجسمه هي ذاتها العناية بنفسه . الاخذ والعطاء ، بينهما ، من بديهيات الواقع البشري . وليس ادل على ذلك من الرسالة ، التي بعثها الى الاميرة اليزابيت ، في اول عهد الصداقة بينهما . هذه الاميرة لم تتعاف من مرضها ، بعد استلامها الحكم ،

ولم تزدهر كما كانت تستحق ذلك . فكتبت الى ديكارت تستفتيه. وفي ما يلي بعض من الجواب عن سؤالها . قال:

« ان الانسان الذي يملك اسباب الفرح ، ثم لا يواظب رغم ذلك الا على مشاهدة المآسي ذات الفصول الكئيبة ، ولا يعنى الا بالاشياء المحزنة ــ التي يعلم حق العلم انها اساطير مختلفة ، يستحر بها قلبه ، فتغرورق عيناه ، بدون ان يمس هذا ادراكه ــ اقول ان مثل ذاك الانسان لا بد لقلبه من ان يعتاد الانقباض والتأوه ، فتتمهل الدورة الدموية في عملها ، وتتأخر ، ثم تلتصق اخشن اجزاء دمه بعضها ببعض ، لتعرقل الحركة ، سادة مسامات الطحال . وهكذا تتوقف عن الاحتراك الطف اجزاء هذا الدم ، لتفسد رئتيه ، وتسبب له سعالا يشتد خطره كلما طال الامد .

« ونقيض ذاك ، هو الانسان الكثير المتاعب ، الذي يدرس ذاته درسا ممضا ، لينسى متاعبه . هذا الانسان لا يفكر فيها البتة ، الا عندما تضطره اعماله الى مثل هذا التفكير . ولا يشغل باقي اوقاته ، الا بالنظر الى الاشياء ، التي تجلب له الطمأنينة والفرح . ان ترويحا كهذا عن المخيلة ، يمكنه كثيرا من ان يطلق احكاما سديدة على الاشياء التي يهمه امرها ، لانه ينظر اليها غير منفعل . وهذا كاف ، بلا شك ، لنيله العافية رغم داء طحاله ، ورئتيه ، الناتج عن مزاج دمه الذي افسده الحزن ...

« ... اذا عملت جلالتك بموجب ما اعتاد الاطباء التوصية به ، وهوان يتحرر الانسان بشكل مطلق من كل انواع الافكار المحزنة ، والتأملات الرصينة المتعلقة بالعالم ، فلا يشغل وقته الا بالسير في خطوات اولئك الذين يتوصلون الى ان لا يفكروا ، وهم ينظرون الى غاب اخضر ، او زهرة ملونة ، او عصفور طائر ، الى غير ذلك من الاشياء ، التي لا تستلزم انتباها . وهذا لا يعني ضياع وقت ، بل استعماله بصورة حسنة . باستطاعتنا ، اذن ، ان نفرح انفسنا بالامل وحده ، مستعيدين الصحة الكاملة ، التي هي اساس جميع الخيرات الباقية ، والممكن الحصول عليها . »

اذا كانت المناظر الخارجية تؤثر في النفوس العادية السليمة ، من البشر ... فهل من عجب ان تكون مدعاة لاكثر من تغيير في مزاج الحامل ؟ هل من عجب اذا قيل لها ان تتقي النظر الى الاماكن البشعة ، وان تتحاشى الانفعالات الشديدة ، وان تبتعد عن الوساوس والمتاعب ؟ كثيرا ما يعود جبن الاولاد الى اهوال تلاقيها امهاتهم اثناء الحمل ... الى مصائب ورزايا تحيط بهن . ان الام بحاجة الى السكينة والاستقرار .

لقد تنبه اليونان الى مثل تلك التفاعلات ، فكانوا يحيطون نساءهم الحاملات بابدع التماثيل ، وابهى الصور ، المنسوبة الى اساطين الفن . من هنا كون التربية عملا جد خطير ، منذ البداية الاولى . ويا ليت الاباء والامهات يدركون مبلغ التبعة الملقاة عليهم من جراء الابوة والامومة . ان في هذا الادراك ما يجب ان يعمر قلب كل والد ، ووالدة ، بعيان ما يفرض عليهما من تربية الاولاد ، وتهذيبهم ، وتثقيفهم . ان مثل تلك التبعة لخليقة ان تحدث رعدة خوف ، ايضا ، لعظم المسؤولية . اجل ان الوالدين لمسؤولان عما وهب لهما من حلية الشرف . لقد اصبحا مؤهلين لان يشاركا بالخلق . اصبحا والدين . ان كمال الزوجية في صفة الامومة . اعظم قسيمة للمراة هي ان تكون ام طفل . اذ في احشائها يزاول فن تكوين الرجال . في احشائها تقوم معامل البقاء البشري . وهو اول مدماك في بناء الامة . من اراد اصلاح مجتمعه ، عدل عن مكالمة الرجال ، وخاطب الوالدات . ان مثل الام الحامل كمثل الشجرة المثمرة . لهذا كان لها دخل كبير ، في الطفل ، وهو جنين ... دخل نفسا وجسما . فقد تدفع دين الامومة من نقد مزيف . اجل ، قد تشوهه ، رغم جمالها الخلاب ، اذا لم تعرف كيف تسوق حياتها ، وهي حامل . ولهذا يجب ان تكون من جنينها دائما على بال .

الطفل ، في الاحشاء ، وديعة . وديعة الاجيال الغابرة تنقلها الام الى الاجيال الآتية ... وديعة الحضارات المنصرمة للحضارات المزمعة ... وديعة الانسان الراغب في الخلود .. وديعة الحياة ، رمة ، التي تنزع الى شق سجف الغد . هذه الوديعة يجب ان ترد الى واليها بامانة . الوالي ، هنا ، الانسانية ... النوع البشري الزاحف صعدا نحو بلاغ الاكمل . ولا يعقل ان ينسلخ جسم الطفل عن جسم والدته دون ان يجلب معه شحنات منها ... شحنات نفسية وشحنات جسمية ... لانه انبثاق منها . هو انبلاج وامتداد . ما هو عابر سبيل في احشائها . ان احتكاكا من التداخل يحصل بين الام والجنين . هذا الاحتكاك يترك من اثاره في الوديعة البشرية . وبذلك يدوم الانتقال . منذ ان يتحرك الجنين ، في الاحشاء ، يصبح سلوة امه . يصبح قرة عينها ، وعزة نفسها . وتشتد الرابطة بين الوالدة والطفل . اذا حزنت حزن في احشائها . واذا فرحت ، فرح في احشائها . ان شخصها يضمه وهو جنين .

اول ما ينبغي قوله ، من هذا القبيل ، هو ان المفروض على الام ان تكون صحيحة الجسم . قوية البنية . سليمة من الاعراض . خالية من كل داء يمكن تسربه الى الوديعة التي استودعت اياها . على الام ان تكون ، في الحمل ، مستجدة القوى . ان تصبر على افعول الحمل . ان تحيط الجنين بكل ضروب الرعاية . وفي ذلك بعض التضحية ، من قبلها ، بل كل التضحية . ولكن يندر ان تصبر الام الحامل . يندر ان تطلق مباهج الدنيا الكبرى ، فتترك مجامع الافراح التي يحصل فيها الهرج والمرج ، من تمثيل وملاعب ... الخ . قليلات هن اللواتي يقدرن شرف الاتيان باولاد اصحاء ... باولاد حسان . وكثيرات هن المترفات من النساء . المرغات في حماة الشهوات . الناسيات وظيفة المراة في الوجود . الضاربات كل شيء في الحياة بعرض الحائط بغية زينتهن . البائعات بابخس الثمن وظائف الحبل ... كل ذلك في سبيل البقاء ضمن بحبوحة التمتع بمعسول اللذائذ . فمن النساء الخواص ، اللواتي يرغبن في التزام مقتضيات فنون الجسم الغاوي ، من يفضلن اخفاء حبلهن . ولذلك يتلفن سمنهن ، وبروز بطنهن ، فيلبسن الغلائل الضيقة الضاغطة . اما صدق الاطباء الذين يشددون النكير على هذا ؟ نشاهد في مجتمعات كثيرة نساء يقمن ، وهن يشارفن الوضع ، بافعال مرهقة في ميادين العمل . وهناك من يثابرن على الشغل ، ومن تضطرهن ضرورات العيش الى السهر ليلا ، او الى اثقال باهظة . كل ذلك يسبب رداءة نسل .

يقول احد الاطباء ما يلي : « يجب ان تكون كعوب حذاءيها منخفضة وعريضة في جهاتها الامامية عند اباهم

الرجلين ، وراسها وكتفاها مرتدةالى الوراء حفظا لاتزان جسمها ، فتنشأ من هذه الحالة زاوية في الظهر ، تخلع على المراة شكلا خاصا سماه شكسبير « كبرياء الحمل ». فاذا كانت عقبا المراة عاليتين ينحني الجسم الى الامام بدلا من ان يرتد الرأس والكتفان الى الوراء . وهو الوضع الذي يجب ان تكون فيه الحامل ، وتتولد بخلاف ذلك آلام في الخواصر وضغط فيالبطن ، يعوقان حرية المشي. ويجب ان لا تلبس الحامل ثيابا ضيقة ، لانها تسبب احتقان الاعضاء ، وتعوق النفس وحرية حركة الجسم ، والمشدات، والصدريات ، ورافعات الجواريب غير صالحة (والمشد) يضر الحامل بصورة خاصة ، لانه يضغطالرحم والجنين ، فيدفعها الى اسفل الحوض ، فتتأذى من جراء ذلك اوردة الحوض ، وتضعف العضلات البطنية ، وربمايحدث تشويه في تكوين الجنين (٧) »

وثاني ما ينبغي قوله ، من هذا القبيل ، ان الام هي التي ترضع طفلها ... هي التي يجب ان ترضعه . تلك الشريعة الحكيمة لا تعاكس، الا عند الضرورة الملجئة ، حيث تكون الام في غاية من العجز عن ارضاع طفلها . ومن الافضل ، في مثل هذا العجز البالغ ، ان تلقم الام طفلها زجاجات لبن معقم ، على ان تلقمه ثدي ظئر (أي ثدي مرضعة مستأجرة) . ان الام ، بالنسبة الى هذه ، هي مرضعة ذات بلال . اما الظئر فمرضعة جافة ، قاسية ، عاسية ، خشنة ، لا يبل لبنها حلق الولد الرضيع. ولااخال اللواتي يلمن الارضاع المستأجر الا محقات في لومهن . فقد تكون المرضعة قذرة البدن ، جافية الطبع ، حمقاء ، ذات خرق ، وسوء راي . وهي امزجة ، وصفات ، لا تقف محايدة ، وقت الارضاع ، بل تندس في وحدات اللبن « ان اللبن يعدي » . هذا قول ابن سينا في كتابه السياسة.

لا شيء يعدل عطف الام. ان الحرارة التي يرضعها الطفل مع لبن امه ، تقيم الحنان بينهما ...تكون الامومة الحقة . الام التي ترضي ان يرضع طفلها ثديا غير ثديها هي أم فاسدة . تاجرة . هي ام تبيع طفلها بابخس الاثمان. هي املا تبالي بان تقتسم الامومة مع سواها . ان في مثل هذا التنازلعن ارضاع الطفل تنازلاعن حقوقها في الامومة. ذلك لان الولد لا يشعربالحب الا نحو التيارضعته. وفي هذا تقويض لاركان العائلة ، والحياة الزوجية . يقول روسو ، في الجزء الاول من كتاب « اميل » ، ما فحواه :

يجب ان ننزع من قلب كل امراة جراة ارضاع ولدها من امراة اخرى . وذلك كي لا تقتسم حقوق الام ، او تنقل تلك الحقوق ... كي لا ترى الام ولدها يحب امراةاخرى، كما يحبها واكثر مما يحبها ... كي لا تشعر بان العطف الذي يحفظه لامه الخاصة هو لطف ، وبان العطف الذي يحمله لمرضعته المستأجرة هو حب فواجب . كيف تعالج الام هذا الخطأ ؟ هل تلقن ولدها ازدراء مرضعته بان تعاملها كخادمة حقيقية ؟هل تبعد ولدها عنها ، متى اكملت خدمتها ، وسرحت ، وردت بسوء استقبال ؟ هل هذا يكفي لتفتر الام ، وتعتقد بان ولدها لم يعد يعرف المرضعة ، ما دام لا يراها ؟ هل هذا العمل يجعلها تتلافى غلطتها ؟ ان اما كتلك تعود الرضيع الفاسد انكار الجميل بدلا من ان تجعل منه ابنا عطوفا . هي تعلمه ان يزدري ، ذات يوم ، تلك التي ولدته ، كازدرائه التي ارضعته من لبنها .. لتتفضل الامهات بارضاع اولادهن ، فتصلح الاخلاق من تلقاء نفسها، وتنتبه مشاعر الطبيعة في القلوب ، وتعمر الدولة ثانية .

يقول احد الاطباء ما يلي : « مما لا ريب فيه ان اللبن الطبيعي ، اي لبن الام ، خير غذاء للطفل . والاطفال الذين يتغذون بلبن امهاتهم اقوى بنية واكثر نشاطا ونماء ، واقل تعرضا للامراض ، واطول عمرا ، ممن يتغذون تغذية صناعية كلبن البقر ، واللبن الرائب ، وانواع الالبان المجففة وغير المجففة . يجب ان لا تهمل الام التي تحب طفلها ، وتحب نفسها ، ارضاعه من لبنها ... وان لا يجرفها تيار المدنية ، فتحول الزيارات والقبولات والملاهي بينها وبين القيام بهذا الواجب المقدس (٨) » .

لا شك في ان اصلاح الاخلاق يجب ان يبدأ بالامهات. الام هي اركن اركان المجتمع . هي العامل الاول فيتكوينه، قلبا وقالبا ، وعليها يتوقف ازدهاره . ولهذا كان على الام ان لا تستهين بتلك الوظيفةالسماوية . اذ عليها ترتفع شخصية الانسان . ان قول أبي العلاء بان النسل جناية امثولة رائعة في كيف يجب على الوالدين ان يتصرفا بحياتهما . كلنا يعلم تلك الصرخة التي ارسلها من اعماق عصره ، والتي ما زالت تدوي في الاجيال المتتالية . لقد اوصى ان يكتب على قبره :

هذا جناه ابي علي — وما جنيت على احد

لم تكن المراة ، في عصر ابي العلاء ، ذات خطورة . ولذا نراه يلقي المسؤولية كلها على ابيه وحده . لا ريب من ان الوالد صاحب دخل كبير في تكوين شخصية الولد . ولكنه لا يعادل دخل الام في عملية التكوين . الام هي الحياة مصغرة . هي الوجود مضغوط في احشائها . ولهذا كان اصلاح البيت يتوقف عليها ، اكثر مما يتوقف على الرجل . وكان اصلاح المجتمع يتوقف عليها ، اكثر مما يتوقف على الرجل . وكان اصلاح الانسانية يتوقف عليها ، اكثر مما يتوقف علىالرجل . ومن هنا اعتناء علم الصحة ، في الوقت الحاضر، بما سماه «رعاية الام والطفل» هذه الرعاية تمتد على مراحل ثلاث : العناية قبل الولادة . العناية في اثناء الولادة . العناية بعد الولادة . والمقصودمن كل ذلك تحسين صحة الامة بتحسين صحة الام .

الانسان وحده بحاجة الى عناية . تلك العناية وفاء ودين . وفاء من جهة الاباء ، ودين في اتجاه الابناء . هذا هو معنى التاريخ ، الذي يستمر فيه البقاء – عن طريق الام – من السلف الى الخلف . هذا هو معنى الوديعة ، التي تعطيها الاجيال الماضية للاجيال المقبلة . ذلك الانتقال، عبر الديمومة ، لا يحصل الا عن طريق المراة ... أعني عن طريق الام . اولا الام ما بقي الوجود ، ولا استقام ، ونما . ام الكلاب ليست بحاجة الى رعاية ، ودراية، واعتناء . ام الكلاب لا تحمل في احشائها وديعة اخلاقية ، ولا هي مسؤولة حيال اجيال مزمعة . الام ، في الانسانية ، هي وحدها التي تحمل الآدمية الصاعدة . اجل ، هي الحياة مصغرة . وما الحياة غير الام مكبرة .

كمال يوسف الحاج

---

(٧) الدكتور شريف عسيران . علم الصحة . الجزء الثاني ص ٣٢٥

(٨) الدكتور شريف عسيران . علم الصحة . الجزء الثاني . ص ٣٥٦

أنباء العالم في شهر

١٨ يناير ١٩٥٧ ـ غادر بيروت بعد ان اقام فيها بضعة ايام الامير عبدالاله ولي عهد العراق قاصدا انقره ومنها سيسافر الى لندن ثم الى واشنطن .

ـ صدر في موسكو بلاغ مشترك نتيجة المحادثات التي قام بها رئيس وزراء الصين الشعبية تشوان لاي مع الماريشال بولغانين وقد تحدث البلاغ عن مواضيع مختلفة وتعهدت الحكومتان بحماية اقطار الشرقين الادنى والاوسط من اي اعتداء او تدخل بشؤونها يهدف اليه مشروع الرئيس ايزنهاور .

ـ وصل الى القاهرة الملك سعود والملك حسين واجتمعا الى الرئيس عبدالناصروالرئيس صبري العسلي الذي ينوب عن الرئيس القوتلي .

١٩ ـ وقع في القاهرة اتفاق تقديم المعونة المالية العربية للاردن وقد وقعتها العربية السعودية ومصر والاردن وسوريا وستحل محل المعونة الانجليزيةوقدرها ١٢ مليون دينارونصف .

٢١ ـ اذيع بلاغ مشترك بنتائج مؤتمر حلف بغداد الذي عقد في انقرة وقد ايد البلاغ مشروع الرئيس ايزنهاور الخاص بالشرق الاوسط ودعا الامم المتحدة الى تسويةمشكلة فلسطين وتأمين حرية الملاحة في قناة السويس مع عدم المساس بسيادة مصر .

٢٢ ـ جرت الانتخابات النيابية فيبولونيا وفاز حزب اتحاد العمال الذي يرأسه غومولكا رئيس الحكومة .

٢٣ ـ اعلن دافيد بن غوريون رفض اسرائيل الانسحاب من غزة والمنطقة الساحلية لخليج العقبة قبل الحصول على ضمانات لحرية الملاحة وعدم عودة القوات المصرية الى غزة .

٢٥ ـ رفع المستر هامرشولد تقريره الى الجمعية العمومية بعد انقضاء مهلة الايام الخمسة التي حددها قرار الجمعية لانسحاب القوات الاسرائيلية وجاء في التقرير ان اسرائيل لم تنفذ قرار الجمعية وارفق التقرير بمذكرة اسرائيلية عن اسباب عدم الانسحاب .

ـ أقر مجلس الامن مشروعا بتجميد الاوضاع الراهنة في ولاية كشمير ريثما يقرر سكان الولاية مصيرهم بانتخابات تجري باشراف الامم المتحدة .

٢٦ ـ اعلنت الهند ضم نصف ولاية كشمير الذي تحتله وحلت المجلس التشريعي الذي يحكم المقاطعة وقامت مظاهرات عنيفة فيمعظم المدن الباكستانية احتجاجا .

٢٨ ـ وصل الملك سعود الى نيويورك في زيارة رسمية والقى خطابا في هيئة الامم المتحدة ندد فيه باستخدام القوة ونادى بالاستقلال وتقرير المصير لجميع الشعوب .

ـ اعلنت المدن الجزائرية الاضراب العام لمدة ثمانية ايام لمناسبة قرب بحث القضية الجزائرية في الامم المتحدة .

٣٠ ـ وصل الملك سعود الى وشنطن واستقبله الرئيس ايزنهاور بنفسه في المطار وهذهالبادرة هيالاولىفيتاريخالرئاسةالامريكية

ـ على اثر المحادثات التي جرت في موسكو بين الزعماء السوفيات ووفد تشيكوسلوفاكيا برئاسة الرئيس زابوتوكي صدر تصريح مشترك جاء فيه ان حلف وارسو سوف يقوى بسبب رفض الغرب مقترحات السلم السوفياتية القاضية بحل منظمة حلف شمال الاطلسي وقال التصريحان الولايات المتحدة تريد استعباد الشعوب العربية وسوف يخلق هذا الامر خطرا عظيما على السلم .

اول فبراير ١٩٥٧ ـ وصل الى نيويورك الامير عبد الاله ولي عهد العراق

ـ قدمت امريكا والبرازيل ويوغوسلافيا والهند وكولومبيا والنروج واندونيسيا مشروع قرار للجمعية العامة للامم المتحدة ينص اولا : على دعوة الجمعية العمومية اسرائيل للانسحاب فورا من الاراضي المصرية. ثانيا : تدعو الجمعية كلا من مصر واسرائيل للتقيد باحكام اتفاق الهدنة ويعطي للمستر هامرشولد حق استخدام القوة الدولية عند خطوط الهدنة للحيلولة دون تجددالاشتباكات

٢ ـ توفي في المانيا الشرقية الماريشال فردريك فون باولس قائد الجيش الالماني السادس في معركة ستالينجراد خلال الحرب العالمية الاخيرة وكان يعيش في عزلة تامة منذ عودته من الاسر الروسي في اكتوبر ١٩٥٣

ـ وجه الملك حسين الى رئيس وزرائه السيد سليمان النابلسي رسالة خطيرة حذره فيها من تغلغل الشيوعية تغلغلا خطرا في الاردن وطلب اليه اتخاذ التدابير لمكافحتها .

٤ ـ عقدت اللجنة السياسية للامم المتحدة جلسة خاصة لمناقشة المشكلةالجزائرية

ـ تجري في عمان اجتماعات بين الجانب البريطاني والجانب الاردني في سبيل انهاء المعاهدة الاردنية البريطانية .

٥ ـ امر المستر جوكوستيلو رئيس وزراء ايرلنده بحل البرلمان واجراء انتخابات جديدة

٦ ـ قدمت اسرائيل الى المستر هامرشولد مشروعا جديدا من ثلاثة حلول بشأن قطاع غزة ومنطقة شرم الشيخ .

ـ صرح الملك سعود ان مشروع الرئيس ايزنهاور الخاص بالشرق الاوسط مشروعجيد يستحق كل عناية وتقدير من البلاد العربية .

ـ قدمت ثماني عشرة دولة عربية واسيوية مشروعا من ثلاث نقاط لتسوية المشكلة الجزائرية التي تناقشها اللجنة السياسية

٧ ـ اجتمع الملك سعود في وشنطن بالامير عبد الاله ولي عهد العراق وبحثا في عدة قضايا

٨ ـ صدر بيان مشترك عن محادثات الملك سعود والرئيس ايزنهاور ومما جاء فيه: تمديد اتفاق قاعدة الظهران خمس سنوات وتسليح الجيش السعودي واحترام حرية الشعوب وحماية الاوضاع الراهنة والتمسك بالامم المتحدة .

٩ ـ توفيمنفيا في اسبانيا الاميرال نيكولاس هورتي الذي ظل دكتاتورا لهنغاريا مدة ٢٥سنة

ـ غادر الملك سعود واشنطن بطريق الجو الى مدريد في زيارة رسمية لاسبانيا

ـ وصل الى مدريد الملك محمد بن يوسف ملك المغرب للقيام بمحادثات مع الجنرال فرانكو والملك سعود

١١ ـ رفع المستر هامرشولد تقريره الى الامم المتحدة وفيه انه لم يحرز أي تقدم في محادثاته مع اسرائيل

ـ وقع اتفاق تجاري هام بين فرنسا والاتحاد السوفياتي مدته ثلاث سنوات

١٢ ـ ارسل الاتحاد السوفياتي مذكرة الى امريكا وبريطانيا وفرنسا يقترح فيهاعقد مؤتمر رباعي لدرس قضايا الشرق الاوسط وانماشه اقتصاديا ومنع ارسال شحنات السلاح الى دوله وجددت المذكرة رغبةروسيا في ايجاد التعايش السلمي .

ـ اقترحت امريكا على اسرائيل مشروعا يهدف الى ازالة بعض المخاوف التي يتذرع بها اسرائيل لتاخير انسحابهامن غزة وشرمالشيخ

١٣ ـ صدر بيان اردني بريطاني مشترك جاء فيه ان معاهدةالصداقةبين الاردنوبريطانيا المعقودة عام١٩٤٨ ستصبحلاغية اعتبارا من اول شهر مارس القادم وفي خلال ستة اشهر ستسحب بريطانيا قواتها .

ـ انتهت اللجنة السياسية للامم المتحدة من مناقشة القضية الجزائرية وقد اعلنرئيس اللجنة فشل مشروع الكتلة الاسيوية الافريقية

١٥ ـ اعفي السيد ديمتري شبيلوف من منصب وزير خارجية الاتحاد السوفياتي وعين مكانه السيد اندريه غروميكو . وقد عين السيد شبيلوف سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي